الملك فيصل الأول

حياته ودوره السياسي

في

الثورة العربية وسورية والعراق

١٨٨٣ ـــ ١٩٣٣



علاء جاسم محمد

الملك فيصل الأول

حياته ودوره السياسي

في

الثورة العربية وسورية والعراق

١٨٨٣ — ١٩٣٣

اشتريته من إبن صاحب مكتبة اليقظة العربية
ببغداد ٢٣/رجب/١٤٤٣هـ
٢٥/٢/٢٠٢٢م

علاء جاسم محمد
الجامعة المستنصرية

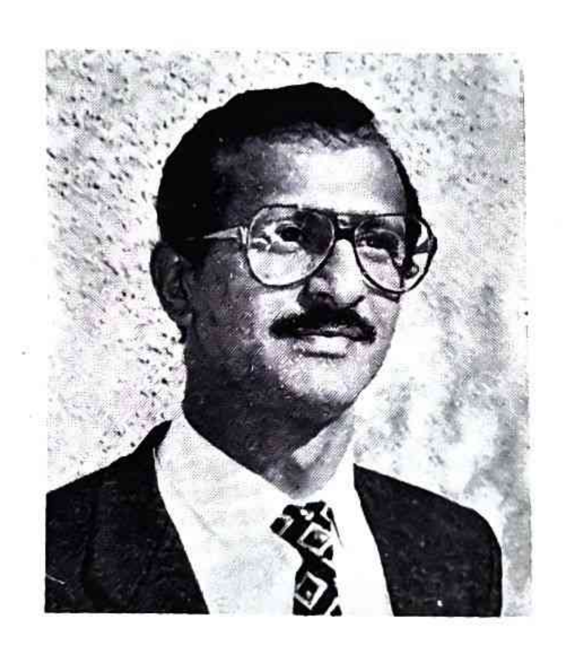
م. سرمد حاتم شكر







بغداد ـ هاتف ٨٨٨٢٧٢٦



المؤلف

الاهــــداء

الى استاذي الجليل
الدكتور سامي سعيد الاحمد

وفاء وتقديراً وعرفاناً بالجميل

تلميذكم
عــلاء

شكر وتقدير

اتقدم بمزيد شكري وتقديري الى الاساتذة الافاضل الذين ساعدوني على اتمام هذا البحث واخص منهم بالذكر استاذي الدكتور كمال مظهر احمد والاستاذ فيصل فهمي سعيد والسيدة سلوى ساطع الحصري والاستاذ جعفر حسن حياوي الذين راجعوا مسودات الدراسة وابدوا ملاحظاتهم وكذلك الدكتور عبد الكريم شديد النعيمي والاستاذ احمد اسماعيل النعيمي لملاحظاتهما اللغوية، كما اتقدم بشكري الى الاساتذة عبد الرزاق الحسني وحسين جميل وخيري العمري الذين امدوني بما حوته مكتباتهم من نوادر المصادر وكذلك زوجتي السيدة انوار عبد اللطيف جاسم لكتابتها مسودات الدراسة.

آراء في الملك فيصل الاول

قد لا يدرك الجيل الحاضر كل الادراك قيمة الاعمال الخطيرة التي قام بها البطل الراحل «فيصل الاول» ولكن الاجيال القادمة ستفهم كل الفهم، وتقدر كل التقدير اخلاص فيصل وجهاده وتضحيته.

محمد مهدي البصير

شاعر ثورة العشرين

المجاهد الاعظم والقدوة الصالحة للزعامة المخلصة والجهاد المقدس والتضحية العظيمة الملك العظيم فيصل الاول.

المجلس الاسلامي الاعلى

ان موت فيصل معناه اختفاء ابرز شخصية عرفها العالم العربي.

بونسو المندوب السامي الفرنسي في سورية

نحن نعرف ان فيصل يتمتع بشخصية جذابة ساحرة فعسى ان لا يؤثر في حلفائنا الانكليز هناك، تأثيراً يؤدي الى تعكير صفو العلاقات القائمة بيننا وبينهم.

بونكارية: رئيس الجمهورية الفرنسية

قالها عندما قرر فيصل ان يزور لندن

ان سياسة خذ وطالب التي وضعها لنفسه ولدولته والتي اوصلت العراق الى اوج رفعته كان يمكن ان تصبح سياسة مضرة لولم تحمل نفس فيصل الكبيرة طاقة لاتنصب من روح النشاط والمثابرة، ولولم تؤجج في اعماق صدره سعيراً من الوطنية الخالصة.

رائد القومية العربية

الاستاذ ساطع الحصري

اذا نظرت الى فيصل شعرت انك تنظر الى رجل اختارته الطبيعة اميراً على الرجال.

لانسنغ مدير خارجية امريكا

لوكان القواد جميعهم يتمتعون لدى جنودهم بالحب الذي أراه متأصلاً في نفوس العرب لهذا الامير الشاب لاستطاع اولئك القواد ان يفتحوا العالم باسره.

لورنس

كان الملك فيصل الاول، ولاريب عربياً صميمياً يبحث في جميع الاعمال التي قام بها عن طريق يؤدي به للعيش بسلام. وكان الفرنسيون يرمونه بصداقة الانكليز وكان هؤلاء يقولون عنه بانه محب للعرب، والصفة الاخيرة هي الصفة التي كان يختارها ويرتضيها لنفسه.

هنري فوستر

صاحب كتاب تكوين العراق الحديث

مقدمــة : ـ

لا يخفى ان الملك فيصل الاول من ابرز الشخصيات السياسية التي عرفها تاريخ العرب المعاصر. فقد ساهم بالاعداد والتخطيط للثورة العربية الكبرى التي فجرها والده الشريف حسين ضد الدولة العثمانية، عام ١٩١٦، كما قام «الامير فيصل» بقيادة الجيش الشمالي للثورة، ذلك الجيش الذي اخذ على عاتقه تحرير الحجاز وبلاد الشام من السيطرة العثمانية. وقد انتهى زحف الجيش الشمالي بتحرير دمشق من الاحتلال العثماني عام ١٩١٨. وقد شهد العديد من القادة العسكريين الغربيين لفيصل بالكفاءة وحسن القيادة.

كما كان «للامير فيصل» دور سياسي واضح في عرض القضية العربية على مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس عام ١٩١٩، اذ انتدبه والده لهذه المهمة.

وفي عام ١٩٢٠ انتخبه الشعب ملكاً على سورية، لكن هذا لم يرق للحلفاء فاتفقوا على ازاحته عن عرش البلاد بعد اربعة اشهر من تتويجه، فغادر سورية بعد معركة ميسلون التي وقعت بين الجيشين السوري والفرنسي.

وحرصاً من بريطانيا على الحفاظ على سمعتها السياسية باعتبارها قد نكثت بوعودها التي قطعتها لوالده الشريف حسين باستقلال البلاد العربية اذا ما ساهم العرب الى جانب الحلفاء في الحرب، فقد قررت اسناد عرش العراق الى فيصل، وذلك في ٢٣ آب ١٩٢١ لتبدأ مرحلة سياسية جديدة في حياته. وقد تمكن فيصل من انتهاج سياسة غايتها حصول البلاد على الاستقلال، لكن بالطرق الدبلوماسية وتجنب الاصطدام مع بريطانيا لان

الوضع انـذاك لم يكن يسمح لذلك حسب اعتقاده، وبالذات انه خاض في هذا الجانب تجربة مريرة مع الفرنسـيين الذين اخرجوه بالقوة من دمشق.

وكانت لفيصل جهوده الكبيرة فـي ان يخطـو العراق خلال فترة حكمه التي امتـدت حتى عام ١٩٣٣، خطـوات جيـدة باتجـاه الاستقـلال وبنـاء مؤسسـات الـدولـة. وقـد اجمـع المؤرخون والسياسيون على ان الفضل في ذلك يعود بشكل كبير الى جهود الملك فيصل حتى انهم اعتبروه مؤسـس الدولة العراقية.

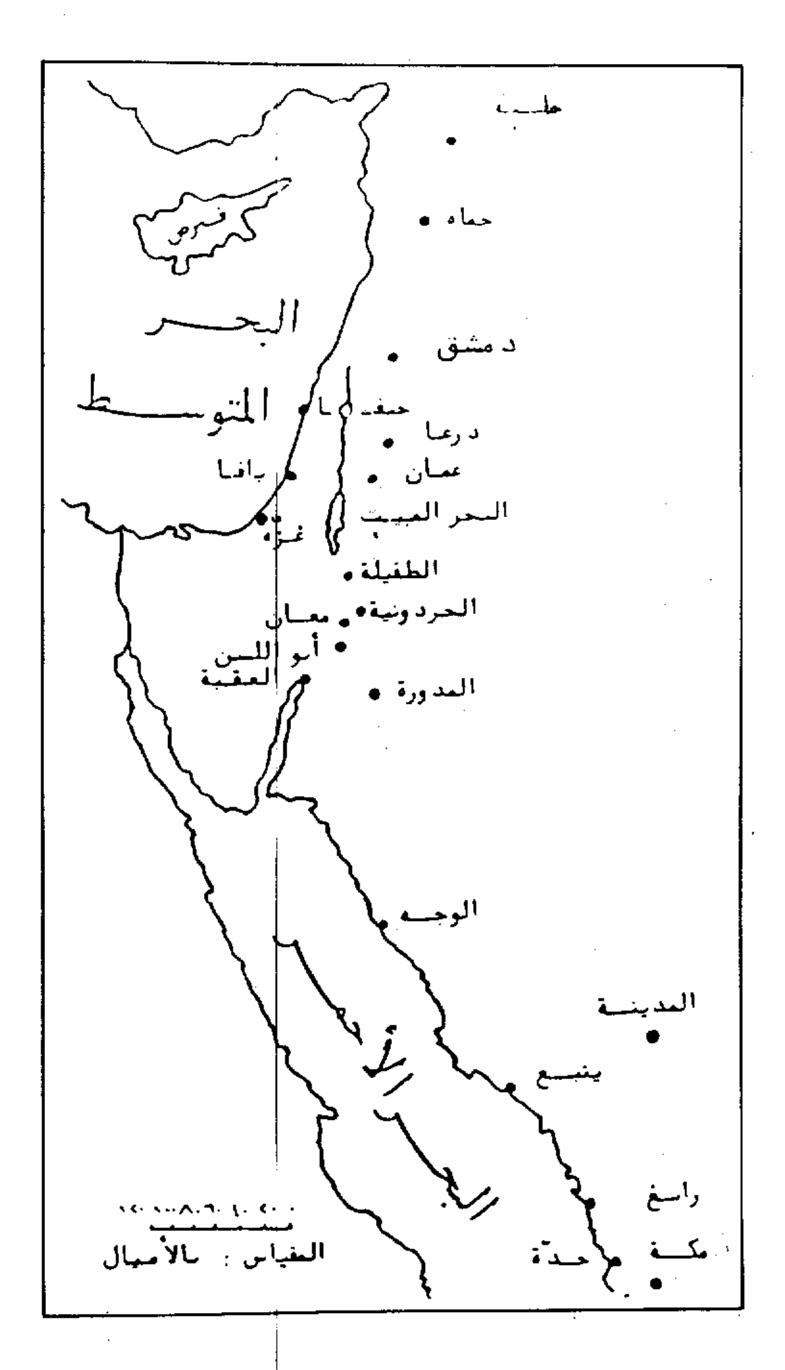
لقـد وجـدت ان المكتبـة العـربيـة تفتقر الى دراسة جيدة عن شخصية الملك فيصل فقدمت هذا الجهد المتواضع، وهو حسب رأي اول دراسة علمية تتناول شخصية الملك فيصل. وقد اعتمدت في اعدادها على مصادر ومـراجـع اسـاسيـة منهـا الـوثـائق العراقية والبريطانية والدراسات الجامعية واخص منها بالذكر دراسة الدكتور فاروق صالح العمر المعاهدات العراقية البريطانية ودراسـة الدكتورة رجاء الخطاب العـراق بيـن ١٩٢١ - ١٩٢٧، فـضـلا عن رسـائـل المـس بيـل بلغتهـا الاصليـة وغيـرهـا من الـدراسـات والمراجع المهمة عن تاريخ العراق في العهد الملكي. واود ان اذكر للامانة العلميـة اني استعنت ببعض الـوثـائق العـراقيـة والبريطانية من خلال بعض المصادر وبالذات كتاب الدكتور فاروق صالح العمر وكتاب الدكتورة رجاء الخطـاب المـار ذكرهما وكـذلـك كتـاب احمـد رفيق البـرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبـريطـانيـة ١٩٢٢ - ١٩٣٢.

ان هذا الجهد الفكري المتواضع لا بد وان حوى اخطاء وهفوات، فارجو من القـراء الافاضل ابداء ملاحظاتهم وآرائهم ما دمنا جميعاً نسـعى لخدمة تاريخ قطرنا وامتنا العربية الخالدة.

والله ولـي التـوفيـق

الرموز المستخدمة في الكتاب

دائرة الوثائق العامة «لندن»	P.R.O. Puplic Record Office
وزارة الخارجية «البريطانية»	F.O. Foreign Office
وزارة المستعمرات «البريطانية»	C.O. Colonial Office
طبـــعة	ed. edition
م . و . و .	المركز الوطني للوثائق



موقع الجيش العربي الشمالي الذي قاده الأمير فيصل بن الحسين

الفصل الاول
حياته ونشأته ودوره في الثورة العربية
١٨٨٣ - ١٩١٨

حياته ونشـأته : -

الملك فيصـل الاول، هو الابن الثـالث للشـريف حسين من زوجته عابدية، ابنة عمه الشريف عبد الله بن محمد بن عون، اذ سبق وان انجبت له نجليه علي وعبد الله.

ولد فيصل في مدينة مكة في العشرين من أيار سنة ١٨٨٣[١]، وتشير بعض المصادر الى ان ولادته كانت في الطائف سنة ١٨٨٥[٢]. بعد ولادته بايام ارسل فيصل الى قرية «رحاب» التي عاش فيها جده الشريف محمد ابن عون، فنشأ بين عشائر «العبادلة» «وعتيبة» وامضى سبعة اعوام، تعلم خلالها الفروسية وركوب الخيل والابل، ونام في العراء، وسكن الخيام، وكابد الكثير من المشقة والعناء في بيئة الصحراء القاسية، وروى بعد ذلك ان ساعده كُسِر حين حاول ذات مرة تسلق الصخور[٣].

---

١ - محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظيان، فيصل بن الحسين من المهد الى اللحد، جـ١، المطبعة الصورية، دمشق، سنة الطبع بلا، ص٢٤.

٢ - مديرية الدعاية العامة، فيصل بن الحسين في خطبه واقواله، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٥، ص٢٣. وهناك من يذكر ان ولادته كانت في الطائف سنة ١٨٨٣.
انظر. المحامي محمد عبد الحسين، ذكرى فيصل الاول، او العراق في اثنى عشر عاما، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٢، ص٤.

٣ - مديرية الدعاية العامة، المصدر السابق، ص٢٧؛ ستورث ارسكين، فيصل ملك العراق، ترجمة عمر ابو النصر، مطبوعات المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٣٤، ص٢٧.

لقد تعلم فيصل الكثير في «مدرسة الصحراء» فعلى الرغم من انه نشأ نحيف البنية الا ان الصحراء اكسبته قابلية بدنية كبيرة، وصفاء ذهنيا بقي معروفا عنه حتى ايامه الاخيرة. وكان لنشأته الصحراوية اثرها في حبه الكبير للشعر العربي، وتحمسه الواضح له. وكان كثيراً ما يبدي رأيه في القصائد الجيدة ويكافئ الشعراء[٤]. قبل ان يبلغ فيصل السابعة من عمره، عاد الى مكة حيث بدأ يتلقي دروساً في قواعد اللغة العربية، ومبادئ اللغة التركية على ايدي معلمين مختصين[٥]، كما حفظ سوراً من القرآن الكريم. وحين بلغ الثامنة من عمره توفيت والدته[٦]. في عام ١٨٩٣ سافر الشريف حسين الى الاستلنة بامر من السلطان عبد الحميد، ليقيم هناك تحت الاقامة الجبرية، في قصر يطل على القرن الذهبي، في مضيق البسفور. وقد استصحب الشريف معه افراد عائلته.

في الاستانة بدأت حياة جديدة بالنسبة لفيصل، فقد درس على ايدي معلمين خصوصيين، مثل صفوة العوا، الاستاذ في المدرسة الحربية، فدرس الحساب والجغرافية والتاريخ الاسلامي والعثماني، واستمر في حفظ القرآن الكريم على يد والده[٧]. كما تعلم مبادئ اللغة الفرنسية، والم باللغة الانكليزية، حتى أتقنها بعد ذلك بشكل كبير، وكان محضوراً عليه وعلى اخوته التكلم بالعربية[٨].

---

4. T.E. Lawrance, Seven Pillars of Wisdom, Deluxe edition, Garden City, M.S.A, 1936, P. 125.

اثرت الاعتماد على النص الانكليزي لهذا المصدر، لأن الترجمة العربية تفتقد الى بعض الدقة.

٥ ـ مديرية الدعاية العامة، المصدر السابق، ص٢٨.

٦ ـ ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص٣٥.

٧ ـ الملك عبد الله، مذكرات الملك عبد الله، ط٢، منشورات مجلة الرائد، عمان، ١٩٤٧، ص٣٧.

٨ ـ المصدر نفسه، ص٣٧.

كما عرف مبادئ الفنون العسكرية من خلال اختلاطه بضباط الجيش العثماني ، الذي كان يقوم بتدريبه ضباط المان. والتقى بعدد غير قليل من رجال السياسة والفكر والادب، الذين كانوا يزورون والده(٩). ويذكر ابراهيم الراوي في مذكراته، ان الملك عبد الله قال له بأن آثار النبوغ ظهرت على فيصل في سن مبكرة. وكانوا في اسطنبول يشبهونه بخالد بن الوليد(١٠).

كل هذا هيأ لفيصل جواً من الثقافة الغربية، لكنه بقيّ متمسكاً بجذوره العربية، والتقاليد الاسلامية، فكان يقيم الصلاة في اوقاتها، وكان حين يترك مجلس والده، لا يدير ظهره، بل يرجع الى الوراء منحنياً، وكان يخاطب والده بعبارات تنم عن احترام كبير له، ويفتتح معظم رسائله اليه بالعبارة التالية «بعد تقبيل ثرى موطئ الاقدام» ويذيلها بعبارة «المملوك فيصل». وكان ابناء الشريف حسين يخاطب بعضهم الآخر بكلمة «سيدي» حتى اذا كان اصغر منه سناً، اذ هكذا كان يخاطب عبد الله اخاه الاصغر فيصل.

يشير احد المصادر الى ان فيصل كان ذات مرة يتحدث مع الملك عبد العزيز بن سعود، واراد ان يدخن، وكان يعلم ان الوهابيين يحرمون التدخين، فاستأذن من الملك وخرج دقائق ليدخن ثم عاد. ولما علم ابن سعود بذلك اجله واكبره(١١). في الاستانة تزوج فيصل من «حزيمة» ابنة عمه، ولم يتزوج غيرها. وقد وصف فيصل حالة العائلة في العاصمة

---

٩ - ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص٣٦؛ المحامي محمد عبد الحسين، المصدر السابق، ص ٢٨ - ٣٠.

١٠ - ابراهيم الراوي ، من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٩، ص١١٩.

١١ - محمد عابدين حمادة، المصدر السابق، ص١٤.

العثمانية بانها «كانت ضيقة شاقة لم يتوفر لنا اللحم فيها، الا مرة في الاسبوع . . . ولعل هذا من ضرورات التربية الصحيحة»[12].

حين قام الاتحاديون بانقلابهم المعروف عام ١٩٠٨ ، عاد الشريف حسين وعائلته الى مكة بعد ان امضى خمسة عشر عاما في اسطنبول . وكان فيصل قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، فأوكل اليه ابوه مهمة قيادة بعض الغزوات التي كان يقوم بها لاخضاع القبائل وتأديبها[13] . ولا بد ان يكون الشريف قد وجد في فيصل كفاءة عسكرية وقابلية بدنية جعلته يفضله على بقية اخوته في اكثر الاحيان ، للقيام بمثل هذه المهمة الصعبة . في العام التالي للانقلاب انتخب فيصل نائبا عن جدة في مجلس المبعوثان العثماني ، كما انتخب اخوه عبد الله نائبا عن مكة . وقد حضر الاخوان مراسم افتتاح المجلس واكثرا من التردد على قاعاته لمناقشة القضايا الخاصة باوضاع العرب[14] . وكان الاخوان يعودان الى مكة بعد انتهاء دورة المجلس .

في عام ١٩١١ اعلن محمد بن علي الادريسي ثورته على الدولة العثمانية ، التي كانت تبغي سيطرتها عليه . فاستنجدت بالشريف حسين ، فارسل نجليه فيصل وعبد الله للقضاء عليه ، وقد ابدى فيصل مهارة واضحة في المعارك التي دارت بين الطرفين . وقد تمكنت قوات الشريف حسين من السيطرة على «ابها» عاصمة عسير[15] . وفي عام ١٩١٣ ، قاد الامير فيصل حملة مماثلة على عسير، لكنها لم تحقق غايتها .

ويذكر فيصل انه التقى بزعيم من عرب عسير وقع في الاسر، وقد رفض هذا الزعيم ان يكلم فيصل حين علم انه ابن الشريف حسين ، لأنه حارب ابناء

١٢ - ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص٣٣ .

١٣ - محمد عابدين حمادة، المصدر السابق، ص٢٥ .

١٤ - ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص٤٠ .

١٥ - محمد عابدين حمادة، المصدر السابق، ص٢٥ .

قومه ووقف مع الاتراك. ثم خاطب الأسير القائد التركي بقوله ان الاتراك حين دخلوا البلاد العربية لم يقاومهم العرب. وانهم وعدوا بتعمير البلاد والنهوض بها، «لكنكم خدعتمونا والآن وجب علينا ان نحاربكم»[١٦]. وقد يكون هذا الحدث من العوامل التي جعلت فيصلا اكثر ابناء الشريف حسين اندفاعا للثورة ضد الدولة العثمانية.

وفي العام نفسه سافر فيصل الى دمشق، لحماية المحمل الشامي المتوجه الى الحجاز[١٧]، وقد وفق في مهمته. كما التقى هناك ببعض رجال الحركة العربية. ومن المؤسف ان المعلومات المتوفرة عن رحلته هذه قليلة للغاية.

حين نشبت الحرب العالمية الأولى، كان فيصل في الاستانة مع شقيقه عبد الله، فعادا منها الى الحجاز. وفي طريق العودة مرا في القاهرة، حيث زارهما في قصر عابدين المستر رونالد ستورس «Ronald storss» السكرتير الشرقي للمعتمد البريطاني في مصر، وسلمهما كتاب شكر من حكومته الى الشريف حسين، ذكرت فيه انها لا تعارض اعادة الخلافة الى العرب[١٨].

دور الامير فيصل في مرحلة الاعداد للثورة : ـ

لم تكن علاقة الشريف حسين بالاتحاديين تسير بالشكل الذي يطمح

---

١٦ ـ حديث الملك فيصل الى جريدة الكشكول المصرية، جريدة العالم العربي، ١٩٢٥/٨/٢٥.

١٧ ـ المحامي محمد عبد الحسين، المصدر السابق، ص٣٩.

١٨ ـ امين سعيد، اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، دار الكاتب العربي، بيروت سنة الطبع بلا، ص٣٦.

اليــه الطّرفان، بسبب السيـاسـة العنصـريـة التي اسـرف الاتحـاديـون في ممارستها ضد ابناء القوميات غير التركية.

وقد بدأت العلاقات تسوء بشكل واضح اثر تعيين «وهيب بـك» والياً على الحجـاز. وحـدث ان عثـر احـد رجـال الاميـر علي ـ النجـل الاكبـر للشريف حسين ـ على بعض الاوراق الخاصة للوالي الجديد توضح انه كان مزوداً بتعليمات تقضي بالحـد من نفوذ الشريف حسين، واغتياله اذ اقتضى الامر[19]. فقرر الشريف ارسال ابنه فيصل الى اسطنبول لعرض المسألة على الحكومة العثمانية. كما طلب منه الاتصال برجال الحركة العربية في دمشق لمعرفة موقفهم من سياسة الاتحاديين العنصرية تجاه العرب، ومدى استعدادهم للثورة ضد الحكم العثماني[20].

في آذار ١٩١٥ سافر فيصل الى دمشق، ونزل ضيفاً عند عطـا باشـا البكـري، حيث التقى بعـدد من رجـال الحـركـة العربية من اعضاء جمعية «العـربيـة الفتـاة» الـذين طلبوا منه التوسط لدى السلطات العثمانية لاطلاق سراح الوطنيين العرب المعتقلين في عاليـة. وقد حاول فيصل معرفة مدى قوة الحركة العربية في سوريا وهل بالامكان الاعتماد عليها للقيام بالثورة. فاجتمع بياسين الهاشمي والشيخ بدر الدين الحسيني ورضا باشا الركابي، واستفسر منهم عن طبيعة المساعدات التي تحتاجها الحركة العربية لاعلان الثورة. فكان رد الهاشمي ان سوريا لا تحتاج الا الى ترأس الشريف حسين

---

١٩ ـ جورج انطـونيـوس، يقظـة العـرب،ترجمة الـدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس، طـ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٣٣؛ تحسين العسكري، مذكـراتي عن الثـورة العـربيـة الكبـرى والثـورة العـراقية، جـ١، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٦، ص ١٠٧؛ طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز «١٩١٦ ـ ١٩٢٥» منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص٣٨.

٢٠ ـ امين سعيد، المصدر السابق، ص٥١.

للحركة. فاوضح لهم فيصل ان بريطانيا تحاول كسب والده الى جانبها. وطلب منهم ابداء رأيهم في الموضوع، فاجتمع اعضاء الجمعية ووضعوا شروطاً للاتفاق مع بريطانيا تضمنت استقلال البلاد العربية ضمن الحدود التالية : ـ

- شمالاً : من خط مرسين ـ اطنه على موازاة درجة العرض ٣٧ ومنها الى خط اورفه ـ ماردين ـ جزيرة ابن عمر حتى الخليج العربي.
- شرقاً : الخليج العربي.
- جنوباً : المحيط الهندي «باستثناء عدن».
- غرباً : البحر الاحمر ثم البحر الابيض المتوسط الى خط مرسين.

كما تضمنت الشروط الغاء جميع الحقوق الممنوحة للاجانب والمعروفة باسم الامتيازات الاجنبية، وعقد حلف دفاعي مع بريطانيا والحكومة العربية المستقلة عند تكوينها، يكون التفضيل فيه لبريطانيا في المشاريع الاقتصادية[٢١].

وقد بعث فيصل بهذه الشروط التي اصبحت تعرف بميثاق دمشق الى والده بيد احد اتباعه[٢٢].

استمرت اجتماعات فيصل برجال الحركة العربية، وكانت تعقد عند منتصف الليل، بعد ان ينتفض، مجلسه من عامة زواره[٢٣]. وقبل ان يغادر

---

٢١ ـ سليمان موسى، المصدر السابق، ص٧٦ ـ ٧٧؛ طالب محمد وهيم، المصدر السابق، ص٥٢ ـ ٥٤.

٢٢ ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٢٤٥. وقد وضع رسول فيصل «الشروط» في نعل حذائه وخاط عليه بطانة الحذاء. ومن الجدير بالذكر ان فيصل كان يضع مثل هذه الرسائل في اغماد السيوف، او يكتبها بحبر غير واضح.

٢٣ ـ سليمان موسى، الحركة العربية ـ المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة، «١٩٠٨ ـ ١٩٢٤» ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧، ص١٢٩.

دمشق حاول فيصل اقناع جمال باشا السفاح باطلاق سراح المناضلين العرب المعتقلين في «عالية» لكن جمال باشا رفض ذلك، فأبرق فيصل الى ابيه للسعي عند جمال باشا لاطلاق سراحهم، وقد حاول الحسين ذلك، لكن دون جدوى[٢٤].

في بداية نيسان ١٩١٥ غادر فيصل دمشق الى اسطنبول حيث وصلها في اواسط الشهر، فالتقى بالصدر الاعظم، وعرض عليه الاوراق التي وجدت في محفظة «وهيب بك» فحاول الصدر الاعظم التخفيف من حدة المشكلة، ووعده بأن الامور ستسير بشكل طبيعي، وان تحقيقاً سيجري في القضية[٢٥]. ومن اجل ازالة شكوك الشريف وابنائه تم عزل «وهيب بك» وعين مكانه الفريق غالب باشا.

كما التقى فيصل بالسلطان العثماني مرتين، وزار أنور باشا ـ وزير الحربية ـ وقدم له هدية باسم والده، عبارة عن سيف مرصع. كما اجتمع ايضا بكبار رجال الدولة، والتقى ايضا بالسفير الالماني «البارون او بنهايم»[٢٦]. وقد قدم له كبار المسؤولين في الدولة هدايا ثمينة، وخمسة آلاف ليرة ذهب لتغطية نفقات الحملة المقرر اعدادها من المتطوعين الحجازيين للمشاركة في الحملة الثانية على قناة السويس[٢٧]. ويذكر فيصل انه وجد اسطنبول في حالة اضطراب بسبب هجوم الحلفاء على الدردنيل، وانه اجتمع «الى قائدين من كبار قواد الترك، ومن الذين كانوا على جانب عظيم من الثقافة والمعرفة بالفنون الحربية، فلفتوا نظري الى ضرورة العودة سريعاً الى مكة،

---

٢٤ ـ احمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مطابع ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦، ص٤٧ ـ ٤٨.

٢٥ ـ ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص٥٧.

٢٦ ـ امين سعيد، المصدر السابق، ص٥٥.

٢٧ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص١٣٠.

وتنبيه والدي الى خطة جماعة الاتحاد والترقي وسياستهم التي كانت ستدفع الامبراطورية الى الخراب العاجل»ويضيف فيصل ان هذين الضابطين نصحاه بالتأكيد على والده بضرورة انقاذ البلاد العربية. ويبدو ان فيصل لمس حراجة الموقف العسكري للجيش العثماني، اذ ذكر انه شعر «بالخطر الذي يهدد الامبراطورية، والذي اصبح قريبا جداً منها، خصوصاً بعد ان تحدث الى بعض كبار رجال السياسة بالامر[٢٨].

في اواخر ايار ١٩١٥ عاد فيصل الى دمشق، فاستقبله جمال باشا بكل حفاوة وتكريم، بناء على تعليمات من حكومته. وذكر فيصل انه وجد «الافكار في غليان شديد في دمشق» وان رجال الحركة العربية كادوا ان يجمعوا على ضرورة الثورة باسرع وقت، واكدوا لفيصل انهم لن يترددوا في ان يهبوا هبة رجل واحد، اذا وافقت بريطانيا على استقلال العرب ضمن الحدود التي عينها «ميثاق دمشق». وتأكيداً لعهدهم هذا فقد اعطى كل من الشيخ بدر الدين الحسيني وهو من كبار علماء دمشق، وعلي رضا باشا الركابي رئيس البلدية، خاتميهما الى فيصل ليسلمهما الى الشريف حسين[٢٩]. ووعدهم فيصل بعرض نتائج محادثاته معهم على ابيه.

وقد اصبح فيصل عضواً في جمعية «العربية الفتاة» بعد ان اقسم اليمين امام اعضائها[٣٠]، وتبرع الى صندوق الجمعية بالفي ليرة ذهب من المبلغ الذي اعطته له الحكومة العثمانية[٣١]. ومن اجل ان تكتمل عنده الصورة عن وضع الحركة العربية في بلاد الشام، اجتمع ببعض اعضاء «جمعية

---

٢٨ ـ ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص٥٨.

٢٩ ـ سليمان موسى، *الحركة العربية*، ص١٣٣.

٣٠ ـ جورج انطونيوس، *المصدر السابق*، ص٢٣٧.

٣١ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص١٣٠.

العهد» وهي تنظيم سري يضم الضباط العرب في الجيش العثماني، فوجد تقارباً كبيرا بين اهداف الجمعيتين وافكار اعضائها[٣٢].

قبل ان يعود الى الحجاز، قرر فيصل ان يزور جمال باشا في القدس. واشار الاخير في مذكراته انه اتفق مع فيصل على ان يقوم الشريف بارسال (١٥٠٠) متطوع من الجمالة الى فلسطين. وقد القى فيصل خطبة طويلة على موظفي مركز القيادة، اقسم فيها. على حد قول جمال باشا، باغلظ الايمان «وبروح المصطفى عليه الصلاة والسلام»، ان يعود في امد قريب على رأس محاربيه للمساعدة على قتال اعداء الدين، الى ان يموتوا شهداء[٣٣]. ويبدو ان السفاح ذكر ذلك ليؤكد ان فيصل لا يحترم الاسلام. وان من المشكوك فيه ان يكون فيصل قد قال ذلك لابعاد الشبهة عن نفسه. ثم رجع فيصل الى دمشق ووعد رجال الحركة العربية بالعودة باسرع وقت.

قفل فيصل راجعاً الى الحجاز حيث وصل مكة في العشرين من حزيران، واجتمع بابيه واخوته في الطائف، وقدم تقريراً مفصلاً عن مهمته، في كل من دمشق واسطنبول.

في كل من دمشق واسطنبول. وبعد دراسة مستفيضة للموقف تقرر القيام بالثورة ضد الدولة العثمانية، بالاتفاق مع بريطانيا. كما تقرر ايضا ان يعود فيصل ثانية الى دمشق للاعداد للثورة في سورية، واعلانها بعد ان تتم الاستعدادات في كل من دمشق ومكة[٣٤]. ويذكر فيصل ان ذلك الاسبوع كان «من اقسى ما مر بي في حياتي»[٣٥].

---

٣٢ - جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٢٣٩.

٣٣ - جمال باشا السفاح، مذكرات جمال باشا السفاح، ترجمة علي احمد شكري، تحقيق عبد المجيد محمود، دار البصري، بغداد، ١٩٦٣، ص٢٣٤.

٣٤ - سليمان موسى، الحركة العربية، ص١٩٠؛ امين سعيد، المصدر السابق، ص٥٧.

٣٥ - جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٢٤٥.

في بداية كانون الثاني ١٩١٦، عاد فيصل الى دمشق على رأس خمسين فارس من رجاله، ليكونوا من حيث الظاهر في طليعة المجاهدين العرب الذين من المقرر ان يشاركوا في الهجوم العثماني على قناة السويس. ونزل فيصل كعادته عند آل البكري وخصص له جمال باشا مكتباً في مقر قيادته. ويشير جمال باشا في مذكراته انه جعل داره مقاما لفيصل، لمساعدته في تجهيز المتطوعين، المقرر ارسالهم الى دمشق وارسال المهمات اللازمة الى مكة[٣٦]. وقد لاحظ فيصل في زيارته هذه ان جمال باشا قام خلال الاشهر السبعة الماضية، بنقل الكتائب العربية من دمشق وحلب الى جبهات القتال البعيدة، واستبدلها باخرى تركية. فكتب الى ابيه شارحاً له تطورات الموقف، مؤكداً له بانه قد اصبح من الصعب قيام الثورة في بلاد الشام. وان عبء ذلك سيقع على الحجاز[٣٧].

وامعانا في خداع السفاح، ذكر له فيصل ان اخاه علي يعمل الان على تنظيم قوات المجاهدين، وانه سيقودهم بعد انتهاء الاستعدادات، الى صحراء سيناء، للمشاركة في الهجوم على قناة السويس[٣٨].

بعد ان أقام فيصل في دمشق قرابة الشهر، وصل انور باشا وزير الحربية العثماني، ثم سافر الى المدينة مستصبحا معه جمال باشا، والامير فيصل، لتفتيش القطعات العسكرية، والمتطوعين العرب[٣٩]، ويذكر الكاتب البريطاني روبرت كريفز إن فيصل اعد الراية القرمزية للثورة، وكان من المقرر ان يباغت الاتراك باعلانها «لكنه الآن مرهق بضيفين جاءا بدون

---

٣٦ ـ جمال باشا السفاح، المصدر السابق، ص٢٣٥.

٣٧ ـ ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص٦٢؛ امين سعيد، المصدر السابق، ص٥٩.

٣٨ ـ سليمان موسى، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، دار النشر والتوزيع، عمان، ١٩٥٧، ص٧٧.

٣٩ ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٤٨.

دعوة. . . وبموجب الضيافة، كان عليه المحافظة على حياتهما. . . وقد رفض فيصل بشدة اقتراح احد اتباعه بقتلهما مؤكداً ان كرم الضيافة العربية يمنعه من ذلك[٤٠]، وان من العار عند العرب ان يغدر المضيف بضيوفه، مهما بلغت العداوة بينه وبينهم»[٤١]. وقد طلب انور باشا مقابلة الشريف حسين، الا ان الاخير اعتذر عن استقباله، وارسل اليه والى جمال باشا سيفاً مرصعاً بالاحجار الكريمة، مع هدايا ثمينة[٤٢]. ويذكر جمال باشا ان الشريف اراد خداعهما بهذه الطريقة، لأنه كان في الوقت نفسه، يعد للثورة[٤٣]. وبعد الانتهاء من المهمة عاد فيصل مع ضيفيه الى دمشق. وكان يبعث لابيه عن تطورات الوضع في سورية، واليأس الكبير الذي بدأ يعاني منه اهالي الشام. كما كتب اليه عن الوضع العسكري، واندحار الجيوش العثمانية في جبهات القتال، واكد له ايضا ضرورة تكوين جيش عربي يصون البلاد العربية[٤٤]. وحين اعتقل جمال باشا القافلة الثانية من رجال الحركة العربية، بذل فيصل مساعي كبيرة للافراج عنهم، ولكن دون جدوى. كما بعث الشريف حسين برقية الى انور باشا، طلب فيها الافراج عن المعتقلين العرب، والاعتراف باستقلاله - الشريف - في الحجاز من تبوك الى مكة، وجعله اميراً ووراثياً. وقد ارسل انور باشا مضمون هذه البرقية الى جمال باشا، الذي عرضها بدوره على فيصل، بحضور رئيس اركان حربه «فؤاد بك» ليكون شاهداً على الحديث بينهما. واوضح

---

40 – Robert Graves, Lawrance and the Arabs, London, 1927, P.75

٤١ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص١٩١.

٤٢ ـ سليمان موسى، الحسين بن علي، ص٧٧؛ الملك عبد الله، المصدر السابق ص١٤٢

٤٣ ـ جمال باشا السفاح، المصدر السابق، ص٢٣٥.

٤٤ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص١٩٢.

السفـاح لفيصـل، ان شقيقـه الامير علي اخـذ يتـدخـل في سلطـة حاكم المدينة المنورة، وانه ـ جمال باشـا ـ طلب الى كل من الحاكم والشريف حسين، وضع حد لتصرفاته. ثم اطلعه على برقية ابيه. ويذكر السفاح في مذكراته ان فيصل قال له «أفندم لا يمكن ان تتصور مقدار الغـم الذي اثارته فيّ هذه البرقية. ولا شـك عندي في انها نتيجة سـوء تفاهم كبير، واني أؤكـد لك بصـراحـة ان ابي لا يقصـد شيئـاً ضاراً بهـا. انـك تعـرف انـه لا يحـسـن فهـم الـلغـة الـتـركـيـة، فمن الـمـحـقـق ان هذه البـرقيـة انمـا كتبت بيـد كاتب عجـز عن فهم النص العربي، فترجمها هذه التـرجمـة المحـرفـة، ومعـاذ الله ان يخطـر لابي مثـل هذا الخاطـر». وبعد محادثته هذه مع فيصل ابرق الى الشريف حسين، رافضا مقترحاته. ويذكر السفـاح ان «المحكمـة العسكـريـة» في عاليـة حين اصـدرت حكمها على الوطنيين العرب «جاهد فيصل اشد جهاد للحصول على العفو عن المجـرمين وصـار يحضـر اليّ كل يوم وقـد حول الـدفـة في المنـاقشة الى جهة العفو عن المجرمين. «وكنت اسمع بين آن وآخر انه عنف الاعيان الذين ذهبوا لزيارته، ووبخهـم على عدم القيام بشيء ما لانقـاذ مواطنيهم، واستمر على تأنيبهم، اذ يقول لهم كان في استطاعتهم ان يشفعوا لهم عندي على الاقـل». ويضيف السفـاح ان فيصـل ارسـل اليـه الشيـخ بدر الدين ليشفع للوطنيين، لكن دون جدوى[٤٥]. ويذكر فيصل ان السفاح قال له حين قام والده بالتوسط على عدم اعدام الثوار، ان نابليون اقام لنفسه تمثالا وطلب من صانع احذية ان يبدي رأيه في حذاء التمثال فيما اذا كان. بحاجة الى تغيير او تعديل، وقد رأى صانع الاحذية ان الحذاء جيد، وحين اراد ان

---

٤٥ ـ جمال باشا السفاح، المصدر السابق، ص٢٣٦ ـ ٢٣٩.

يبدي رأيه في البنطلون قال له نابليون «انت صانع احذية ويجب ان تقف عند رأيك في الحذاء فقط» كذلك يجب ان يكون امير مكة في حدود عمله. ولا رأيَ له في ان نشنق او لا نشنق[٤٦]، ولا بد ان يكون رد السفاح قد الم فيصل.

في اليوم الذي تم فيه تنفيذ حكم الاعدام برجال الحركة العربية ـ ٦ـ آيار ـ ١٩١٦ـ كان فيصل في مزرعة آل البكري يتناول ومضيفوه الفطور، جاء رجل ليبلغهم النبأ. فانتفض فيصل من مكانه، وانتزع كوفيته من رأسه ورماها على الارض وسحقها بقدمه وصرخ بصوت جهوري «طاب الموت يا عرب»[٤٧].

بعد أيام من تنفيذ حكم الاعدام، تلقى فيصل امراً من ابيه بالعودة الى الحجاز. وقد فهم فيصل من صيغة الامر ان اباه قرر اعلان الثورة. وكان لا بد لفيصل ان يكون في منتهى الحيطة والحذر. اذ كان عليه ان يغادر دمشق دون ان يثير شكوك جمال باشا الذي كان يراقبه بشكل دقيق. فاجتمع فيصل به وذكر له بأن اخباراً وردته من الحجاز تؤكد انتهاء الاستعدادات لتوجه المتطوعين العرب الى الشام. وسأل فيصل جمال باشا عن رأيه في قدوم احد اخوته على رأس المتطوعين. فاستحسن «السفاح» الفكرة وفضل ان يقوم هو ـ فيصل ـ بقيادتهم ومن اجل ان يبدد شكوك السفاح، تظاهر فيصل بعدم تفضيله هذا الرأي، باعتبار ان له اخوين اكبر منه سناً. لكن السفاح فضل ذهاب فيصل بنفسه، للاستعجال في ارسال المتطوعين. وقد اقتنع فيصل برأي السفاح، ويذكر الاخير في مذكراته، ان فيصل هو الذي

---

٤٦ ـ حديث الملك فيصل الى جريدة الكشكول المصرية، جريدة العالم العربي، ١٩٢٥/٨/٢٥.

٤٧ ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

اقترح عليه ان يذهب بنفسه لجلب المتطوعين، لأن ذلك سيؤثر في نفوس المجاهدين «ولما كنت قد تعودت الخديعة من الشريف حسين واولاده، اثرت ان اكون انا الغالب، تنكرت ثم قلت «حسنا جداً لقد صرحت لك فاغدو الى المتطوعين في المدينة، واستقبلهم باسمي، ثم ائتني بهم هنا. . وما كدت افرغ من هذه الكلمات حتىٰ ابرقت اسارير وجهه، وكاد فؤاده يطير فرحاً، فانجلت لي الحقيقة وتكشفت». ويضيف السفاح ان رئيس اركان جيشه ـ علي فؤاد ـ تنبه الى ذلك، واكد له ان الثورة لا بد وان ستقوم في الحجاز[48]. ويذكر الملك عبد الله في مذكراته ان السفاح كتب الى الشريف حسين مهدداً اياه باعتقال فيصل اذا لم يرسل المتطوعين وكان رد الحسين ان المتطوعين يرفضون الذهاب الى الشام ما لم يأت فيصل ليقودهم فما كان من السفاح الا ان ارسله[49]. لا بد ان نأخذ ما ذكره السفاح بشيء من التحفظ، اذ انه ادعىٰ معرفته بنوايا فيصل ووالده، وقد تأكد من ذلك بعد ان برقت اسارير وجه فيصل. اذ ان من المستبعد ان يكون فيصل قد اظهر ارتياحه لقرار عودته الى الحجاز وهو يعلم ان السفاح بدأ يشك فيه وبوالده. فالموقف كان يتطلب منه الحذر والدقة في التصرف بشكل لا يثير الشك. وقد اثبتت الاحداث انه كان اذكىٰ من ان يظهر ارتياحه حين سمح له السفاح بالعودة الى الحجاز.

في السادس عشر من ايار عاد فيصل الى الحجاز مستصحبا معه نسيب البكري وبعض الاشراف. وفي محاولة اخرىٰ لتبديد شكوك السفاح، ابقىٰ رجاله الخمسين في دمشق وبعد وصوله مكة بيومين طلب الى نسيب البكري العودة الى دمشق، واتفق معهُ على كلمة سر هي عبارة «ارسلو

---

٤٨ ـ جمال باشا السفاح، المصدر السابق، ص٢٤٥.

٤٩ ـ الملك عبد الله، المصدر السابق، ص١٤٤ ـ ١٤٦.

الفرس الشقراء» ومعنى هذا ان الثورة قد اعلنت، وان عليه ان يترك دمشق ويتوجه الى الحجاز مع الخمسين فارس[٥٠].

لقد انتهى بذلك دور فيصل في الاعداد للثورة، وقد تمكن حقاً من اداء دوره بحذر وذكاء واتقان. فالمعروف ان السفاح كان قد وضعه تحت المراقبة الشديدة. كما ان الحركة العربية في بلاد الشام كانت مرصودة بشكل كبير من قبل السلطات العثمانية. وليس ادل على ذلك من الاعدامات التي نفذت بالوطنيين العرب، الامر الذي ادى الى صعوبة قيام الثورة في بلاد الشام. رغم كل هذا فان فيصل لم يمكن السفاح منه ولم يترك له دليلاً مادياً واحداً يؤكد انه كان يخطط للقيام بالثورة. وقد اعترف السفاح بانه كان يعلم بان فيصل قد غادر دمشق اخر مرة ليشارك في الثورة. ولكن لم يكن لديه دليل يسمح له بالقبض عليه[٥١]. واذا ما قارنا بين مهمة فيصل في الشام، والمهمة التي كلف بها شقيقه عبد الله بالاتصال بالمسؤولين البريطانيين في مصر لنقل شروط والده لاعلان، الثورة، ترى ان مهمة فيصل كانت اصعب بكثير من مهمة عبد الله، فمصر كانت بعيدة عن انظار الاتراك مقارنة بسورية.

دور فيصل في الثورة العربية : ـ

كان الامير فيصل اكثر ابناء الشريف حسين تحمساً لاعلان الثورة واول من دعا الى ضرورة التعجيل بها. وربما يعود هذا الى اتصالاته المباشرة برجال الحركة العربية في الشام، ووقوفه بشكل مباشر على سياسة

---

٥٠ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٢٦٨.

٥١ ـ ان هذا لا يعني ان هناك تناقض بين ما ذكرناه قبل قليل حول مبالغة السفاح في ادعائه انه تمكن من معرفة نوايا فيصل.

الاتحـاديين العنصـريـة. وقبيـل اعـلان الثـورة طلب فيصل من ابيه مناشدة الحلفـاء بالقيـام بمظـاهـرة عسكرية على شواطئ بلاد الشام[٥٢]، لاضعاف معنويات العثمانيين، والهاب حماس المؤيدين للثورة هناك. وكان فيصل قد اتفق مع اخيـه علي على تحـديـد يوم الخـامس من حزيـران سنـة ١٩١٦، لاعلان الثورة. وفي فجر ذلك اليوم توجه الاخوان الى قبر حمزة حيث كان بانتظارهما ١٥٠٠ مقاتل ممن جندهم الشريف حسين، فاعلنا باسم ابيهما الاستقلال عن الدولة العثمانية، ثم توجها مع القوة الى معسكر يقع الى الجنـوب الشـرقي من المـدينـة، حيث بدأ التخطيـط للقيـام بالعمليـات العسكـريـة. امـا بالنسبـة لفيصـل فقـد توجـه شمـالاً لتخريب خط السكـة الحديـد حتىٰ تمكن من قطع كميات من القضبان على مسافة ٢٠ كم، لكنـه اخفق في هجـومـه المشتـرك مع اخيـه لاحتـلال محطـة المحيط، اذ تمكنت قوات فخري باشا في منتصف حزيران من اخبارهما على التراجع الى «بير الماشي» على مسافة ٣٠ كم من المدينة، وقد شجع هذا الانتصار القائد العثماني على مواصلة هجومه حتىٰ تمكن من احتلال بير الماشي، فاضطر الامير علي الى التوجه نحو الجنوب الغربي باتجاه رابـغ. اما فيصل فقد سار نحو الشمال الغربي باتجاه ينبـع. وقد واصل فخري باشا ضغطه على القوات العربية، فهاجم قوة الامير علي في ٣ آب، لكن جيشه سرعان ما ارتد مهزوماً. وبعد اعادة تنظيم سريع شـن هجوماً علىٰ قوة الامير فيصل في التاسع عشر من الشهر نفسه، وبعد معركة شرسة بين الطرفين تراجعت قوات فخري باشا الى مواضعها. اما فيصل فقد قرر ان يتخذ موقفاً دفاعياً، اذ كان هدفه هو عدم تمكين العثمانيين من احتلال ينبـع[٥٣] وبقىٰ متمسكاً

---

٥٢ ـ جورج انطونيـوس، المصدر السابق، ص٢٨٦.

٥٣ ـ سليمان موسىٰ، الحركة العربية، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩.

بهذا الموقف حتىٰ بداية عام ١٩١٧.

في تشرين الاول ١٩١٦ ، زار فيصلاً ضابط المخابرات البريطاني المعروف «لورنس» والتقىٰ به لأول مرة في وادي الصفراء، وقد تحدث لورنس في كتابه المعروف «اعمدة الحكمة السبعة» عما خلفه هذا اللقاء في نفسه، اذ يقول «وما كاد نظري يقع عليه حتىٰ ايقنت بانه الشخص الذي جئت لابحث عنه في بلاد العرب.وانه القائد الذي سيسير بالثورة العربية الى مجدها».ويضيف لورنس بعد ان تحدث الى الامير عن مشاق رحلته، بان فيصل سأله «هل تحب مكاننا هذا في وادي الصفراء؟» وكان جوابه «انه حسن ولكنه بعيد عن دمشق». وقد ترك رد لورنس وقعا سيئاً في نفوس الحاضرين. اما فيصل فقد عالج ما خلفه الموقف من حرج بابتسامة،ورد على لورنس بالقول «الحمد لله فانه يوجد اتراك اقرب الينا من دمشق»(٥٤).

ثم شرح فيصل للورنس الموقف العسكري، فاوضح له ان غاية العثمانيين هي احتلال مكة، اذ ان لقواتهم قابلية على التحرك، وبامكانهم توجيهها الى رابغ. واكد بانه سيزحف شرقاً باتجاه خط سكة الحجاز خلف المدينة، واستحسن ان يتقدم سوية مع اخيه علي،على ان يقوم عبد الله بمهاجمة المدينة من الشرق. وفي الوقت ذاته يتحرك زيد الى وادي الصفراء، ليعزل القوة العثمانية في «بير عباس» ويحرمها بالتالي من المشاركة في المعركة الرئيسية، وبذلك تصبح المدينة مهددة بالهجوم من كل الجهات في وقت واحد. مهما يكن من امر نجاح هذه الخطة، فان تحشيد هذه القوة من ثلاث جهات سيساعد على تحطيم الهجوم العثماني المرتقب، ويمكن قوات رابغ وجنوب الحجاز من استرجاع

54 – T.E. Lawrance. op. Cit., p. 91 .

انـفـاسـهـا والاستعـداد لدفـاع فعـال او هجوم مضاد. لقد اعجب لـورنـس بخطط فيصل وافكاره، اذ سرعان ما دون انطباعات جيدة عن لقاءه معه، فكتب يقول «انه مفعم بالذكاء، وان خدمته العسكرية مع الاتراك اكسبته خبـرة عمليـة في التكنيـك، وان حيـاتـه في اسطنبـول، وبالذات عمله في البرلمان - مجلس المبعوثان - جعلته حسن المعرفة بالقضايا والسلوك الاوربـي»(٥٥).

ويـذكـر لـورنـس ان فيصـل اوضـح له بـأن العـرب يرون ضرورة الارتبـاط بالبـريطـانيين «واننـا مسـرورون بان نـكـون اصـدقـاءهم ومقريـن بمسـاعـدتهم ومتـوقعين منهم المسـاعـدة في المستقبـل، ولكننـا لسنا رعايا بريطانيين، وسنكون في غاية الطمأنينة اذا ما نظروا الينا كحلفاء متكافئين معهم»(٥٦).



كان العثمانيون قد تمكنوا من التسلل وراء الخط الدفاعي الذي اقامته العشائر العربية في وادي الصفراء، وبذلك قطعوا خط الرجعة عليها، الامر الـذي احـدث اربـاكـاً في صفـوفهـا، وادى الى تركهـا مواضعهـا، فتمكن العثمانيون من الاندفاع باتجاه «بئر سعيد» ومباغتة الامير زيد وهو نائم في خيمته. وقد تمكن من النجاة في اللحظة الاخيرة، وانسحـب بقواته بشكل غير منظم باتجاه ينبـع، التي اصبحت تواجه خطر السـقوط.

ازاء هذا الموقـف قرر الامير فيصل الاندفاع للسيطرة على موارد المياه

---

55 – Ibid., p. 97 .

56 – Ibid., p. 99 .

القريبة من ينبع، في محاولة لجذب العثمانيين، املا في تعطيل تقدمهم نحو ينبع، كي يكسب الوقت لبناء تحصينات دفاعية حول ينبع. وقد تمكن فيصل من السيطرة على مصادر المياه في يوم واحد. واشار لورنس الى ان اجراء فيصل عبر عن حكمة بالغة. وكان فيصل قد القى باللوم في تدهور الموقف على جهاز استخباراته الذي كان ينقل اليه معلومات متناقضة عن نوايا العدو واهدافه العسكرية(٥٧).

وجد فيصل ان بقاءه في وادي الصفراء قد يسبب له متاعب كبيرة اذا ما سقطت الامطار، فقام بترك الموقع، واتخذ موضعا بديلا قرب بساتين نخيل مبارك(٥٨)، وكتب لورنس هنا انطباعات اخرى عن الامير فيصل بعد الفترة الوجيزة التي امضاها معه، فاشار الى الجهود الكبيرة التي بذلها لرفع معنويات المقاتلين، واستماعه الى شكاواهم، وانه اذا ما شعر بعجزه عن حل بعض مشاكلهم، كان يستعين بآراء رجال حاشيته. واكد لورنس ان كبح فيصل جماح نفسه كان عظيماً، فحين حمل اليه مرزوق الكحيمي انباء الهزيمة التي حلت بقوات الامير زيد قهقه بصوت عال، ثم صرف الكحيمي، وواصل حديثه مع شيوخ عشائر حرب وعقيل، الذين كانوا سبب الهزيمة.(٥٩).

كانت الخطوة المقبلة هي تحرير الوجه، تلك الخطوة التي اعتبرها الجنرال بريموند - رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في الحجاز - عملية انتحارية(٦٠). وقد تمكن سيرل ولسون Wilson - المعتمد البريطاني في جدة - من اقناع الامير فيصل بالقيام بالعملية، كما تمكن ايضا من اقناع

57 – Ibid., p. 119-120.

58 – Ibid., p. 121.

59 – Ibid., p. 122.

60 – *Ibid*., p. 132.

الشريف حسين. وكان فيصل متردداً من اتخاذ هذه الخطوة، اذ ان قوة الدفاع عن ينبع ستصبح ضعيفة. وقد طلب فيصل من ولسون ان يقسم له بشرفه من ان تحرير الوجه لن يؤثر على القوة الدفاعية لينبع، فما كان منه الا ان يعطيه التأكيد. وقد صدرت الاوامر لفيصل من ابيه بالزحف على الوجه وتحريرها[٦١]. فقامت السفن البريطانية بانزال ٥٠٠ من رجال البدو قرب الوجه، وفي الوقت نفسه قامت سفن اخرىٰ بقصف المواقع العثمانية بالمدفعية[٦٢]، وقد تمكنت القوات العربية من اسر ثمانين جنديا، كما ترك العثمانيون عشرين اخر بين قتيل وجريح[٦٣].
اخر بين قتيل وجريح[٦٣].

وبتحرير الوجه في ٢٤ كانون الثاني ١٩١٧ ، تكون القوات العربية قد حصلت على قاعدة تموين على الساحل الشمالي للبحر، تمكنها من مهاجمة خط السكة الحديد. وقد بدأ فيصل وعبد الله من بمهاجمة الخط بمساعدة الضباط البريطانيين، ومن ابرز الهجمات التي شنت في هذه الفترة، الهجوم على قلعة المعظم ومحطة دار الحمراء،في آذار ومحطة زمرد في تموز[٦٤]. كما استولت قوات فيصل على «ضبا» و «مويلح» بعد ان اسرت أربعين عثمانياً، وطاردت بقية القوة نحو تبوك[٦٥].

وهكذا اصبحت سواحل الحجاز كلها تحت سيطرة القوات العربية، بعد ان تركها العثمانيون وقد اعترف سيرل ولسون، بان القوات العربية تمكنت

---

61 – Ibid., p. 132 – 133 .

٦٢ـ سليمان موسىٰ، الحركة العربية، ص٢٩٨.

٦٣ـ محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، جـ٢، مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٢٤، ص٢٠٠.

٦٤ـ سليمان موسىٰ، الحركة العربية، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

٦٥ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ص٢٠١.

من تعطيـل ثلاث فرق عثمـانيـة في الاقـل، وفي مرحلة حرجـة، اضطـرت القيـادة العثمـانيـة الى ارسـال تعـزيـزات عسكـرية الى الحجاز، كما انها ـ القـوات العـربية ـ على حد تعبيـر ولسـون «قضت على خطـر في منتهى الجـديـة، كان يحتمـل ان تكـون له نتـائج ذات تأثيـر مدمر، بعيد المدى بالنسبـة لنـا كامبـراطـوريـة[٦٦]». كمـا ان السيـر ارشبـالـد مري Sir Archibald Murray ـ احـد القـادة البـريطـانيين في جبهـة فلسطين ـ الـذي كان ينظـر الى الثورة العربية نظرة استخفاف وتحقير، واعتبرها عملا هامشياً لا قيمة له، غير وجهة نظره بعد تحرير الوجه. ويذكر لورنـس ان الجنرال ارشبالد «تنبه فجأةً الى ان الفرق التركية التي كانت تحارب العرب، اكثر من الفرق التي تحاربه»[٦٧]. كما ان تحرير الوجه جعل العثمانيين يتخلون عن فكرة استعادة مكة، حتى ان الشريف حيدر الذي عينه السلطان العثماني ـ محمد الخامس ـ ومـده بأكياس الذهب لاستمالـة اهالي مكة اليه لاستعادة مدينتهم قرر العـودة بعـد سقـوط الـوجـه[٦٨]. واكـد لـورنـس هذه الحقيقـة بقوله ان الهجوم على الوجه كان الفرصة الوحيدة امام العرب لفرض حصارهم على «المدينة المنورة» وحرمان العثمانيين من الاستمرار في تهديدهم مكة[٦٩].

★ ★ ★

انتمـاء جعفـر العسكـري الى الثـورة العربية

كان جعفـر العسكـري احـد الضبـاط العـراقيين العـاملين في الجيش العثماني، وقد كلفته القيادة العثمانية بقيادة القبائل السنوسية المدعومة

---

٦٦ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٢٩٩.

٦٧ ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٣١٤.

٦٨ ـ المصدر نفسه، ص٣١٢.

69 – T.E. Lawrance, op. Cit., p. 133 – 134.

بقوات عثمانية لمهاجمة مصر من جهة ليبيا، لاشغال القوت البريطانية، وتسهيل عملية الهجوم العثماني على مصر عن طريق فلسطين، وقد تمكن العسكري من انجاز المهمة بنجاح، لكنه سرعان ما وقع اسيراً بايدي القوات البريطانية، وتم سجنه في قلعة القاهرة. وقد تمكن البريطانيون، بمساعدة بعض الضباط والساسة العرب، من اقناعه بالانضمام الى الثورة العربية، لكنه تردد اول الامر، واخيراً قرر الانضمام بعد ان سمع بالاعدامات التي قام بها جمال باشا السفاح، بحق رجال الحركة العربية. فكتب رسالة الى الشريف حسين عارضا عليه تقديم خدماته للجيش العربي لكن الشريف رفض ذلك بحجة ان الجيش العربي لا يزال حديثاً، وليس بامكانه قبول قائد «شهير» مثل جعفر العسكري. ولكن الواضح ان الشريف حسين توجس خيفةً من العسكري، وربما كان يظن انه لا يزال يميل الى العثمانيين. وقد خفف الحسين بعد ذلك من شكوكه، ووافق على انضمام العسكري الى الجيش العربي. ويشير لورنس الى ان الشريف لم يكن موافقا على مجيء العسكري، وان فيصل ضمه الى قواته على مسؤوليته الخاصة، للاستفادة من خبرته لرفع مستوى جيشه، فضلا عن سمعته العسكرية الطيبة، وقوة شخصيته(٧٠). ولكن ليس من المعقول ان يكون الشريف حسين قد اصر على عدم قدوم العسكري، وان فيصل ضمه الى جيشه، رغم عدم موافقة ابيه، اذ ليس هناك ما يؤكد ذلك والمرجع ان الشريف حسين كان متحفضاً من انضمام العسكري، لكن فيصل وبعض البريطانيين تمكنوا من اقناعه. والواضح ان فيصل كان متحمساً لانضمام العسكري، ولو ان فيصل خضع لوجهة نظر ابيه، لحرمت الثورة من خدمات ذلك الضابط الذي قاد القوات النظامية لجيش فيصل في الكثير من

70 – Ibid., 167

المعارك، ولعبت دوراً قياديا بارزاً في الثورة، فضلا عن مساهمته في اعداد وتدريب القوات النظامية، لما يمتلكه من خبرات ميدانية واسعة في هذا الجانب، ويذكر لورنس ان انضمام العسكري كان دعماً كبيراً لقضيتنا، ويعني الثورة العربية[٧١].

كما ان موجة من الارتياح سرت في نفوس رجال الجيش العربي حين وصل جعفر العسكري الى الوجه. وقد شجع ذلك على انضمام عدد من الضباط والجنود الى الثورة. كما ان انضمامه يعتبر خسارة للعثمانيين الذين فقدوا قائداً من قوادهم، فضلاً عن الجانب المعنوي الكبير لالتحاق قائد برتبة لواء الى جيش عدوهم[٧٢].

لقد وضع فيصل كل هذه الامور نصب عينه حين قرر الموافقة على انضمام جعفر العسكري، ومن المؤكد ان اختلافه مع ابيه في وجهة النظر، كان له اثره بمجيء العسكري، اذ ان البريطانيين لم يكن بامكانهم فرض ارادتهم على فيصل وابيه، واجبارهما على قبول العسكري ضابطاً في الجيش العربي.



بعد تحرير الوجه بدأت انظار فيصل تتوجه نحو العقبة، ذات الموقع الستراتيجي المهم، فكتب الى شيوخ القبائل العربية في شمال الجزيرة، للانضمام الى الثورة، وبذل جهوداً كبيرة في اصلاح ذات البين، وتوحيد كلمتهم ضد العدو المشترك.

71 – Ibid., p. 166.

٧٢ - للمزيد من التفاصيل انظر. علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق حتى عام ١٩٣٦، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص٣٦ وما بعدها.

وقد مكنته شخصيته القوية من النجاح في مهمته، فكان في بعض الاحيان يدفع من ماله الخاص قيمة الديات، ولم يكن حكمهُ ـ كما يذكر لورنس ـ قابل للطعن، وكان لعدالته وعدم تحيزه الى جانب دون آخر، اثره في تأييد شيوخ القبائل للثورة وانضمامهم تحت لواءها. ويكون فيصل بذلك قد تمكن من السيطرة على القبائل العربية القاطنة بين المدينة ودمشق(٧٣).

وكان عودة ابو تايه، شيخ عشيرة «التواية» بطن من الحويطات ـ اكثر الشيوخ الذين اهتم فيصل بحضورهم الى الوجه. فقد كان شيخ قبيلة قوية مجربة، ووصفه بعضهم بانه «قبيلة في رجل» وقد حاول العثمانيون كسبه الى جانبهم، ولكنه رفض. وحين جاء الى فيصل ليقدم الولاء والطاعة، قبل يده حين التقى به(٧٤)، ورغم عداءاته المزمنة مع شيوخ القبائل، فقد عاهد فيصل على ان يكون العثمانيون اعداءه الوحيدين، واكد لفيصل بانه يستطيع وابناء عشيرته تحرير العقبة دون عون من احد. وقد عاد ابو تايه ليجمع ابناء عشيرته، واعدادهم لمهاجمة المواقع العثمانية، التي تحمي العقبة.

كما ارسل فيصل بعض اتباعه لاثارة العرب ضد الدولة العثمانية، فبعث نسيب البكري الى جبل الدروز، كما ارسل الشريف ناصر ليقيم في وادي السرحان. اما لورنس فقد ذهب الى دمشق لمقابلة رضا باشا الركابي.

وقد التقى لورنس به، وسلمهُ رسالة من فصيل،اوضح له فيها بانه مصمم على الزحف نحو سورية، وان الخطوة القادمة هي تحرير العقبة، واعرب له عن امله في ان يبذل رجال الحركة العربية في دمشق جهودهم لتشجيع

---

73 – T.E. Lawrance op. Cit., p. 176.

74 – Ibid., p. 221.

العرب العاملين في الجيش العثماني على الالتحاق الى القوات العربية في العقبة.

كما قابل لورنس كلًا من الزعيم الدرزي حسين الاطرش والشيخ نوري الشعلان ـ شيخ مشايخ الرولة ـ وغيرهما، ليبلغهم الرسالة ذاتها[٧٥].

كان اهتمام فيصل بالزحف شمالاً معروفاً لدى المسؤولين البريطانيين. فقد كتب الميجر فيكري الى مدير المكتب العربي في آذار ١٩١٧، بأن فيصل مهتم بالتوجه شمالاً، الامر الذي سيترك اثراً كبيراً على السوريين، واشار فيكري الى ان عشائر الحويطات كانت قد طلبت الى الامير فيصل الاهتمام بتحرير العقبة. كما اوضح گلبرت كلايتون Gilbart Clayton ـ مدير المخابرات العسكرية البريطانية في مصر ـ ان تحرير العقبة غير مفضل في الوقت الحاضر لأنه سيصرف اهتمام فيصل عن الهدف الاهم، وهو تخريب السكة الحديد، فضلاً عن ذلك فان السفن التي كان من المقرر ان تقوم بنقل الجنود لم تكن متوفرة آنذاك[٧٦]. وكان كلايتون قد بعث برقية الى لورنس اوضح له فيها ان العثمانيين سينسحبون من المدينةويتركزون حول معان، فطلب منه تأجيل الزحف نحو الشمال والاستمرار في مهاجمة السكة الحديد. ويذكر لورنس ان فيصل قبل بهذه الفكرة رغم انها لا تتفق ومصلحة العرب التي تقضي بالاستمرار بالزحف شمالا.ـ وقد تقرر ان يبقى فيصل في معسكر الوجه، بعد ان تم توزيع مهام قطع السكة الحديد على عدد من شيوخ القبائل[٧٧]. وحين سمح الموقف العسكري بمواصلة التقدم نحو الشمال، اختار فيصل الشريف ناصر لقيادة حملة تحرير العقبة، الذي

---

٧٥ ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٣٢٠ ـ ٣٢٢.

٧٦ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٣٠٠.

77 – T.E. Lawrance op. Cit., p. 177.

تم في ٦ تموز ١٩١٧، فنقل فيصل مقر قيادته اليها في ٢٣ آب، ثم ارسل مفارز الى وادي موسىٰ «البتراء» و «غرندل» كما تمت السيطرة على التلال المشرفة على العقبة [٧٨]. ويكون بذلك قد افشل الخطط العثمانية - الالمانية في المنطقة[٧٩]. كما استمر في ارسال الحملات العسكرية التي اربكت القوات العثمانية بشكل كبير في المنطقة.

فيصل وفكرة الصلح مع الدولة العثمانية : -

ان الدور الكبير والفاعل الذي قامت به القوات العربية في معارك الحجاز وبلاد الشام جعل القيادة العثمانية تدرك خطأ سياستها التي دفعت العرب الى اعلان الثورة، مما جعلها تفكر في عقد الصلح مع الشريف حسين. وقد تم عرض هذه الفكرة على كل من الاميرين فيصل وعبد الله، فضلا عن جعفر العسكري. وكان الامير فيصل اكثر العناصر التي تم التحرك عليها، فقد كتب جمال باشا السفاح رسالة اليه في ١٩١٧/١١/٢٦، اوضح له فيها ان الحلفاء قرروا جعل فلسطين تحت ادارة دولية، وان سورية ستخضع لفرنسا، والعراق لبريطانيا. وجاء في رسالته «ولكن مهما يكن من امر فان فرصة اصلاح الاخطاء وازالة اسباب سوء التفاهم لم تقف تماماً، فاذا ما اقتنعت بصحة هذه الاقوال، دعنا نبحث عن هذه المسألة، ونعمل على التوصل الى تفاهم افضل من اجل صداقتنا القديمة. اعتقد انني بكتابة هذه الرسالة قد اديت واجباً دينياً ملقىٰ على عاتقي والويل لاولئك الناس الذين لا يعتبرون، والسلام على من

٧٨- سليمان موسىٰ، الحركة العربية، ص٣٠٥.

٧٩- ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص١٢.

يتبعون الهدىٰ» ؛ كما ذكر له بان الثورة العربية جلبت الفوضى[٨٠].

ان الشيء المثير للانتباه في هذه الرسالة ان عبارات التهديد فيها تطغي بعض الشيء على عبارات المجاملة الدبلوماسية والترغيب في عقد الصلح ، مما يجعل الباحث يرجح ان السفاح كان يائساً من استمالة فيصل الى جانبه، وان الغاية من عرض فكرة الصلح ليست اكثر من محاولة لشق صف رجال الثورة، اذ ان السفاح توقع ان يحدث خلاف بينهم حول فكرة الصلح مع العثمانيين، وبالذات بعد ان اعلن هو نفسه في بيروت بنود اتفاقية سايكس ـ بيكو، التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم البلاد العربية. اذ كانت الحكومة الروسية التي اطاحت بالنظام القيصري قد نشرت نصوص الاتفاقية[٨١]. كما ان السفاح توقع ان فكرة الصلح قد تكون مقبولة لدى فيصل باعتباره اكثر ابناء الشريف حسين تحمساً للثورة، والتحالف مع بريطانيا، وانها ستكون خط رجعة للشريف وابناءه فيما اذا ادركوا حقيقة نوايا الحلفاء. اما عبارات التهديد التي كتبها السفاح الى فيصل فانها نقطة ضعف كبيرة تؤخذ عليه، وتعبر عن افق دبلوماسي ضيق.

اما لورنس فقد اشار الى ان فيصل كان على اتصال ببعض العناصر العثمانية بمعرفة جمال باشا، الذي كان متديناً، على حد تعبير لورنس، وانه كان صادقافي نواياه السلمية، ومستعدلأن يبذل كل شيء من اجل ايقاف الثورة التي ساءت الى الاسلام. ولكن التفاهم مع جمال باشا كان مستحيلاً باعتباره قد امر بشنق اصدقاء فيصل.

---

٨٠ ـ سليمان موسىٰ، المراسلات التاريخية «١٩١٤ ـ ١٩١٨» جـ١، طـ١، عمان، ١٩٧٤، ص١٥١.

٨١ ـ كانت روسيا القيصرية طرف في هذه المعاهدة، لكن اطماعها كانت في الدولة العثمانية ولم تكن لها اطماع في البلاد العربية.

ويؤكد لورنس ان العثمانيين عرضوا على فيصل الاستقلال الذاتي للحجاز، ثم بعد ذلك سورية والعراق. ولكن هذا لم يرض فيصل. فارسل جمال باشا مندوباً اكد لفيصل موافقة جمال باشا على اعلان الشريف حسين ملكاً، كما ان العثمانيين اعلنوا ان مطالبة الاسرة الشريفية التي يرجع نسبها الى الرسول محمد ﷺ يتزعم العالم الاسلامي روحياً، مسألة لا يرفضها المنطق(٨٢).

كما استغل جمال باشا الصغير - قائد الجيش العثماني الرابع - اندحار اللنبي في السلط فقدم عرضاً للصلح، الى فيصل. اذ بعث مذكرة بهذا الخصوص مع محمد سعيد شقيق عبد القادر الجزاري - حفيد الوطني الجزائري المعروف الذي يحمل الاسم نفسه - ويذكر لورنس ان فيصل اخبر المبعوث بانه قد جاء في الوقت المناسب، وانه سيقدم ولاء الجيش العربي للدولة العثمانية، اذا ما اخلى العثمانيون عمان، وجعلوها تحت السيطرة العربية. فعاد محمد سعيد بسرعة الى جمال باشا معتقداً انه حقق انجازاً هائلاً. لكن السفاح اعدمه. ويبدو ان فيصل اراد خداع جمال باشا بتظاهره بالموافقة على الصلح والانسحاب من عمان، ليضعف موقف العثمانيين العسكري، وبالتالي يخفف من وطأة هزيمة الحلفاء. وربما يكون السفاح قد ظن بان محمد سعيد الجزائري، تواطأ مع فيصل في ذلك مما دفعه الى اعدامه . ويذكر الجنرال ليمان فون ساندرس - Liman Von sandars - رئيس البعثة الالمانية - ان جمال باشا الصغير، نقل اليه عرضا من الامير فيصل يعرب فيه عن استعداده للانضمام بجيشه الى العثمانيين. وتعهد بقيادة جبهة نهر الشريعة الشرقية، وان فيصل ذكر في عرضه «ولما كان الجيش البريطاني على وشك القيام بتعرض شديد في

82 – T.E. Lawrance op. Cit., p. 554 – 555.

جبهة نهر الشريعة الغربية، فيتمكن الا تراك حينئذ من استخدام الجيش الرابع في تلك الجبهة لصد هجمات الانكليز». ويُضيف فون ساندرس، انه اوعز الى جمال باشا عن طريق رئيس اركانه كاظم باشا، بالدخول في مفاوضات مع فيصل، ثم ابرق الى انور باشا، ليعطي فيصل الضمانات الكافية بالسرعة الممكنة، لكن ساندرس لم يتلق اي رد من الحكومة العثمانية. ويذكر انه توصل الى ان العثمانيين لا يعتمدون على كلام فيصل، لأنه ليس اكثر من خديعة، يهدف منها احلال الجيش العربي محل الجيش العثماني الرابع، في الوقت الذي يهاجم الجيش البريطاني القوات العثمانية من الغرب[٨٣].

وقد حذر مصطفى كمال، فيصل من الوقوع في يد جمال باشا، واوضح له بأن سيطرة العرب على دمشق ستجعل العناصر التركية الساخطة تستجمع قواها، وتستخدم مناطقها قاعدة للهجوم على انور وحلفاءه الالمان في الاناضول وكان مصطفى كمال يأمل بالزحف المباشر على اسطنبول، حين تكون القوات العثمانية ملتحمة في معارك مع اعدائها.[٨٤] وهكذا انتهت محاولات عقد الصلح مع الدولة العثمانية الى الفشل.



لم تترك عروض الصلح العثمانية اثراً كبيراً على معنويات القوات العربية، رغم انها اثارت قلق المقاتلين، وبالذات بعد كشف الاتفاقيات السرية، حتى ان الشريف حسين استفسر من المسؤولين البريطانيين عن مضمون تلك الاتفاقيات، وكان ردهم ان الامر لا يعدو اكثر من خطة

٨٣ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

84 – T.E. Lawrance p. Cit., p. 556 .

عثمانية للايقاع بين الطرفين.

رغم صعوبة العمليات العسكرية في فصل الشتاء فقد اعد فيصل حملة بقيادة الامير زيد، توجهت شمالاً. وكانت تتألف من ثلاثة ارتال زحفت في كانون الاول، وشكلت كماشة، استهدفت اثنان منها، الطفيلة، والثالث، الشوبك. وقد تمكنت القوات العربية من دخول الطفيلة في ١٤ كانون الثاني ١٩١٨، وكانت قبل ذلك قد دخلت موقع ابي اللسن في ٣ كانون الثاني، وهو موقع مهم يبعد ١٥ ميلاً جنوب غرب معان[٨٥].

وفي الوقت الذي كان فيه الضباط يتوقعون بأن الاوامر ستصدر اليهم بالتقدم نحو معان، علموا ان لورنس طلب الى فيصل ارسال قوة عسكرية الى فاصوعة لتحريرها وتدمير السكة الحديد. فاعتقد الضباط ان غاية البريطانيين من ذلك هي ابقاءهم في الخلف، كي لا يسهم الجيش العربي بتحرير سوريا، واعتقد الضباط ايضا ان هذه هي فكرة لورنس وجويز اللذين كانا يحثان فيصل على تأخير زحف الجيش العربي نحو الشمال.

وقد رفض مولود مخلص ـ قائد الفرقة الاولى ـ تنفيذ امر الزحف نحو فاصوعة، وكتب مذكرة الى الامير فيصل، عبر فيها عن وجهة نظره ـ والضباط العرب ـ الرافضة لتنفيذ العمليات العسكرية الصغيرة والجانبية.

على اثر ارسال هذه المذكرة، تم استدعاء مولود مخلص، وحجز في قصر القيادة في ابي اللسن، وعين مكانه ضابط سوري، وقام جعفر العسكري بقيادة القوة التي توجهت نحو فاصوعة، الامر الذي اثار غضب الضباط والجنود العرب، وبالذات بعد ان اخفقت الحملة في تحقيق هدفها نتيجة لسوء الاحوال الجوية، اذ هبطت امطار غزيرة، وهبت عواصف

---

٨٥ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٣١٠.

شديدة، فتاه الجنود في الصحراء، ومات عدد منهم، فضلا عن هلاك حيواناتهم، فسارع فيصل الى ارسال نجدات لانقاذ الجنود، كما ارسل البريطانيون الكثير من العجلات، وذهب الامير فيصل بنفسه للاشراف على عمليات انقاذ الجنود. وحين لاحظ استمرار استياء افراد القوات العربية بسبب اعتقال مولود مخلص، اعاده الى منصبه وغض النظر عن مسألة ارساله الى مكة، كما اعطيت له التعليمات للاستعداد بالهجوم على معان[٨٦].

ان الملاحظ على موقف فيصل هنا، هو انه لم يكن يخالف وجهة النظر البريطانية في العمليات العسكرية، فقد سبق له ان صرف النظر عن تحرير العقبة، حين طلب اليه البريطانيون ذلك. ويبدو ان البريطانيين كانوا يقدمون له مبررات عسكرية مقنعة. اذ ليس من المعقول ان لا يكونوا حريصين على تدمير القوات العثمانية باستخدام القوات العربية، وتكليفها بمهمام عسكرية هامشية، بدليل ان فيصل كان متفقاً مع مولود مخلص في ضرورة المساهمة الفعالة في العمليات العسكرية، كما سيأتي ذكره بعد قليل.

بعد عمليات عسكرية استهدفت انهاك القوات العثمانية، قرر فيصل تحرير معان، فزحفت القوات العربية لتحريرها، لكن العثمانيين ابدواصلابة واضحة في الدفاع عن المدينة، فاصدر فيصل اوامره بالانسحاب، ثم كتب الى ابيه في ايار يطلب منه ارسال اخيه عبد الله الى معان ليتولى القيادة فيها كي يتمكن هو من الزحف نحو هدفه الآخر ـ دمشق ـ وقد رفض الشريف حسين الاقتراح مؤكداً ضرورة مواصلة محاصرة القوات العثمانية في المدينة المنورة، حتى استسلام فخري باشا. وبعد شهر اعادت القيادة البريطانية

٨٦ - محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ص٢٤٢ - ٢٤٣.

بنفسها تجديد الطلب باعتبار ان القوات العثمانية في المدينة اصبحت في حكم المنتهية، واقترح البريطانيون وضع كافة القوات النظامية تحت قيادة فيصل، الامر الذي سيمكنه من القيام بعمليات عسكرية واسعة، وتم تكليف لورنس باقناع الشريف حسين بنقل القوات النظامية العاملة في جيش كل من الاميرين علي وعبد الله الى الجيش الشمالي الذي يقوده فيصل[٨٧]. وقد اعتذر الشريف حسين عن مقابلة لورنس الذي وصل جدة، اذ اعرب عن عدم تمكنه من ترك مكة لكونه صائماً، فبعث لورنس اليه برسالة شرح له فيها الموقف العسكري الحرج لقوات فيصل، واكد له اهمية ارسال القوات النظامية العاملة في جيشي ابنيه، لكن الشريف حسين اعرب عن عدم قناعته بتبريرات لورنس[٨٨].

خلاف فيصل مع ابيه حول منح جعفر العسكري وسام القديس ميخائيل : ـ

تقديراً للجهود التي بذلها الضباط العرب العاملون في الجيش الشمالي، منحت القيادة البريطانية بعض هؤلاء الضباط، اوسمة عسكرية، وبما ان جعفر العسكري كان قائداً للقوات النظامية للجيش، فقد كان تكريمه متميزاً عن بقية الضباط، اذ منح وسام الفروسية لفرقة القديس ميخائيل (C. M. G) في حفل رسمي اقيم في مقر قيادة الحلفاء في بير سالم في ـ فلسطين ـ يوم ١٨ آب ١٩١٨ . وقام بتقليده الوسام الجنرال اللنبي نفسه. وقد عزز هذا التكريم مكانة العسكري بين افراد الجيش العربي وشاع بين الجنود والضباط اطلاق لقب القائد العام عليه، مما ترك وقعاً سيئاً

---

٨٧ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ٣١٣.

٨٨ ـ المصدر نفسه، ص٣١٤ ـ ٣١٥

في نفس الشريف حسين الذي فوجيء بهذا التكريم، فضلاً عن انه كان ضد ظهور مراكز قوىً في صفوف الجيش. ففي ١٩ آب ١٩١٨، وهو اليوم التالي لمراسيم التكريم، نشر اعلانا في جريدة القبلة ـ الجريدة الملكية الرسمية ـ جاء فيه ان اطلاق لقب القائد العام على «الشيخ جعفر» مخالف للحقيقة، لأن الحكومة العربية لم تمنح مثل هذا اللقب لأحد[٨٩].

كانت غاية الشريف حسين من نشر هذا الاعلان، هي الحد من نفوذ جعفر العسكري والتقليل من شأنه بين الضباط والجنود[٩٠]، مما دفع العسكري الى تقديم استقالته ثم تبعه عدد من ضباط الركن وامراء الافواج والكتائب. وقد بذل لورنس جهوداً لاقناع الضباط بالعدول عن الاستقالة، وتجاهل اعلان الحسين. اما فيصل فقد رفض قبول الاستقالات، واتصل بأبيه، آملاً في اقناعه بالتراجع عن اعلانه. لكن الحسين اتهمه بالخيانة، واعتبره خارجاً عن القانون، فما كان من الامير الا ان قدم استقالته وترك قيادة الجيش ثم تبعه عدد من ضباط الركن وامراء الافواج والكتائب. وقد بذل لورنس جهوداً لاقناع الضباط بالعدول عن الاستقالة، وتجاهل اعلان الحسين، الذي عين زيداً قائداً للجيش، وقد رفض الاخير بدوره تسلم المنصب.

وبعد محاولات عديدة بذلها كبار الضباط والساسة البريطانيون كالجرال اللنبي Allnby وربكنالد ونجتت Reginald Wingate ـ المندوب السامي البريطاني

---

٨٩ ـ للمزيد من التفاصيل انظر. علاء جاسم محمد، المصدر السابق، ص٥٣ ـ ٥٥.

٩٠ ـ يرى كريفز ان الاعلان جاء نكاية بالسوريين والعراقيين العاملين في جيش فيصل، الذين كانوا يقاتلون لتحرير اقطارهم وحكمها بانفسهم، في الوقت الذي كان فيه الشريف حسين يهدف الى تأسيس امبراطورية عربية يحكمها بنفسه.

انظر: Robert Graves, op. Cit., 345

في مصر - ابدى الحسين مرونة في موقفه، ونشر ايضاحا في جريدة القبلة، جاء فيه ان الغاية من نشر الاعلان السابق هو ان الحكومة ترى ضرورة تأجيل النظر في رتب الضباط، الى ما بعد الحرب، باعتبار ان انظار الحكومة متوجهة نحو المهمة القومية. فانتهت بذلك الازمة.

ان موقف فيصل الرافض لرأي ابيه، يوضح انه كان اوسع تفكيرا منه فهو يتعامل مع الاحداث بمرونة فكرية. فاعلان الحسين كاد ان يسبب تصدعا في صفوف الجيش العربي، في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات جارية لشن هجوم كبير على القوات العثمانية. وان قرار فيصل بعدم قبول الاستقالات يعني انه لم يكن مؤيدا لرأي ابيه، وقد اكد موقفه هذا بان قدم هو ايضا استقالته الى ابيه، مما جعل الشريف حسين في موقف حرج، اضطره الى التراجع. ولعل موقفه هذا هو الذي شجع لورنس على التفكير في تنصيب فيصل اميرا مستقلا عن ابيه، رسميا فيما اذا اصر الحسين على رأيه(٩١). ويشير سليمان ان موسى الى ان سبب الازمة يعود الى خشية الشريف حسين من وقوع الامير فيصل تحت تأثير الضباط الاجانب والعرب(٩٢).

لقد انتهت الازمة بسلام، وواصل الجيش الشمالي استعداداته العسكرية للمشاركة في الهجوم العام الذي قررت القيادة البريطانية القيام به ضد الجيوش العثمانية. وكان الجنرال اللنبي قد جعل من جيش فيصل، الجناح الايمن لقواته الممتدة من يافا الى اريحا، الواقعة على البحر الميت، وقد دفعه هذا الى رفع القوة القتالية لجيش فيصل الذي اصبح عدد

---

91 – T.E- Lawrance Revolt in the desert, 2nd ed, London, 1927, p. 346.

٩٢ - سليمان موسى، الحركة العربية، ص٣١٦.

المقاتلين النظاميين فيه اربعة آلاف، فضلاً عن ابناء العشائر. كما شكل فيه هيئة من الضباط تولت الاشراف على عملياته العسكرية «عمليات الحجاز» كما اصبحت تسمى، وقد رأسها العقيد «داوني» كما زود فيصل بخمس سيارات مدرعة وسرب طائرات ومدفعيين محمولين ومفرزة من عشرين هندياً مسلحين بالرشاشات، ومفرزة من الجمالة المصريين بقيادة النقيب «بيل» وسرية من فيلق الجمالة، للنقليات، فضلاً عن المفرزة الفرنسية بقيادة النقيب «بيزاني» وكانت تضم اربعة مدافع جبلية، ومعظم رجالها من الجزائريين. وكان الجيش يعتمد في تموينه وتسليحه على جيش اللنبي. وقد اكدت التقارير البريطانية ان عملية التموين لم تكن بالشكل المطلوب، وان الجيش العربي كان يعاني من نقص الطعام والذخيرة[٩٣].

وقد لاحظ فيصل ان جيشه بحاجة الى قوة سيارة خفيفة الحركة لاستخدامها في تخريب السكة الحديد وضرب خطوط امداد العدو، والانسحاب بسرعة الى مواقعها. فقرر تشكيل «المفرزة الشمالية» وذلك في آب ١٩١٨، فتألفت من لواء هجانة ضم اربع رشاشات ثقيلة، وعشرين رشاشة خفيفة وبطرية جبلية فرنسية «اربعة مدافع» ومفرزة تخريب مع اربع مهرعات انكليزية وطائرتين. وقد انضم الى المفرزة نوري الشعلان مع ٥٠ خيال، وعودة ابو تايه مع ١٠٠ خيال ايضاً، ومفرزة هجانة تحت قيادة الشريف ناصر. وقد اصبح فيصل نفسه قائداً لهذه المفرزة[٩٤]. والواضح انه اراد ان يبين مدى الاهمية الكبيرة المعلقة على هذه المفرزة فجعل نفسه قائداً لها.

---

٩٣ - المصدر نفسه، ص٣١٧.

٩٤ - محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ص٢١٦ - ٢١٧.

كانت المهمة التي اناطها اللنبي لجيش فيصل، هي القيام بهجوم سريع وخاطف خلف درعا، حيث عقدة مواصلات

هي القيام بهجوم سريع وخاطف خلف درعا، حيث عقدة مواصلات الخطوط الحديدية بين دمشق وفلسطين وشرق الاردن، وحرمان العثمانيين من خطوط امداداتهم، تمهيداً لهجوم اللنبي. وهذه بطبيعة الحال مهمة صعبة للغاية، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار حجم قوات فيصل. وقد تقرر ان يقوم فيصل نفسه بقيادة الهجوم، يساعده الشريف ناصر، ويكون نوري السعيد قائداً للقوات النظامية. وقد اتخذ من «الازرق» قاعدة امامية للحملة التي تكاملت في ١٢ أيلول ١٩١٨، واصبحت تضم ٦٠٠ مقاتل نظامي، وحوالي ٥٠٠ من فرسان البدو بقيادة نوري الشعلان وعوده ابو تايه، وضمت عدداً من الضباط العرب والبريطانيين، مثل علي جودت الايوبي وجميل المدفعي ولورنس وهيوبرت يونغ، وغيرهم. وقد طلب تضم من فيصل عدم التوسع في العمليات العسكرية، والتوغل في الاراضي التي يسيطر عليها العثمانيون، خشية من عدم تمكنه من تقديم العون[٩٥]. وان هذا الطلب يؤكد ان اللنبي كان يعرف مدىٰ تلهف فيصل لتحرير دمشق والمساهمة في القضاء على القوات العثمانية. وكان فيصل يُعتقد ان المساهمة العربية الفاعلة في المعارك ستجعل موقفه قوياً بعد الحرب، ويجعل الحلفاء في موقف يكونون مضطرين فيه الى منح العرب استقلالهم، باعتبارهم قد ادوا واجبهم تجاه القضية المشتركة.

ويذكر علي جودت الايوبي في مذكراته ان غاية اللنبي من تحذير فيصل كانت ابعاد المسؤولية عنه، فيما لو توغل فيصل بعيداً وسط الصحراء القاحلة، حيث صعوبة التموين. وربما اراد حرمان العرب من التقدم نحو

٩٥ - سليمان موسىٰ، الحركة العربية، ص٣١٩.

دمشق،ودخولها من قبل القوات البريطانية[٩٦].

بدأت الحملة فعالياتها العسكرية في ١٤ أيلول، وقد تمكنت القوات العربية من نسف ثلاثة جسور للسكة الحديد بين درعا من جهة ودمشق وفلسطين من جهة اخرى، كما اشتبكت مع القوات العثمانية في اكثر من معركة، مما سبب ارباكاً كبيراً لها، الامر الذي دفع ليمان فون ساندرس الى ارسال قوة احتياطية من حيفا لصد الهجمات العربية على درعا[٩٧].

وفي الوقت الذي شن فيه اللنبي هجومه الواسع فجر التاسع عشر من ايلول، كانت القوات العربية تواصل فعالياتها العسكرية في قطع خطوط السكة الحديد. فاضطر العثمانيون الى الانسحاب سيراً على الاقدام بعد ان تركوا اسلحتهم ومعداتهم[٩٨]. وقد بعث اللنبي الى الامير فيصل رسالة في ٢٠ أيلول، هنأه فيها على الانجاز العظيم لقواته الباسلة في منطقة درعا، والتي اربكت العدو.

اعتقد بعض الضباط البريطانيين، ان بامكان القوات العثمانية المتراجعة، الحاق الهزيمة بالجيش العربي، فاقترحوا ابتعاد العرب عن خط الانسحاب العثماني، بعد ان انجزوا واجبهم. لكن فيصل عارض هذا الاقتراح، اعتقاداً منه، ان العرب سيخسرون فرصتهم في اثبات دورهم وفاعلية قوتهم في تحرير اراضيهم. فبعث برسل الى حوران وجبل الدروز

---

٩٦ - علي جودت الايوبي، ذكريات علي جودت، «١٩٠٠ - ١٩٥٨»، مطابع الوفاء، بيروت، ١٩٦٧، ص٥٩ - ٦١.

٩٧ - محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ص٢٦٩.

٩٨ - ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص١٢ - ١٣؛ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٣١٨.

والقبائل العربية، داعياً الى الاشتراك في القتال[99].

في الخامس والعشرين من ايلول واصلت القوات العربية هجومها على خط السكة الحديد بين درعا ودمشق، وقامت بتخريب ما تم اصلاحه قبل يوم واحد، وبذلك حُرم العثمانيون من استخدام هذا الخط عند انسحابهم الى دمشق. وبعد انضمام الحوارنة والبدو والدروز، ازدادت القوة القتالية للقوات العربية، الامر الذي مكن القوة النظامية من تحرير درعا ورفع العلم العربي فوقها، في السابع والعشرين من ايلول.اثناء زحف القوات البريطانية على طريق درعا ـ ، ومطاردتها القوات العثمانية، كانت قوات فيصل تسير على ميمنة قوات اللنبي. وقد بعث فيصل رسلا الى مؤيديه في دمشق مطالبا اياهم استلام زمام الامور بعد انسحاب العثمانيين. وبعد ان غادر وكيل الوالي العثماني دمشق، قام شكري باشا الايوبي، باطلاق سراح السجناء في القلعة، باسم الملك حسين، كما قام في الوقت نفسه، الامير سعيد الجزائري برفع العلم العربي على دار الحكومة باسم الحسين ايضا[100]. وقد اكد فون ساندرس في مذكراته ان «جواسيس» فيصل، الكثيرين، لعبوا دوراً كبيراً في تحريض الناس على «العصيان» وبدأت الجماهير بتهيئة علم الثورة العربية، واطلقوا النار على الجنود العثمانيين[101].

في الاول من تشرين الاول ١٩١٨، دخلت القوات العربية دمشق، وكان فيصل مع ١٢٠٠ من رجاله، يمتطي صهوة جواده[102]، فاسقبله

---

٩٩ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٣١٩ ـ ٣٢٠.

١٠٠ ـ المصدر نفسه، ص٣٢١.

١٠١ ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ص٢٧٥.

١٠٢ ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٣٤١.

اهالي المدينة. بحفاوة بالغة لثقتهم الكبيرة به[١٠٣]. وبذلك يكون قد انتهى دوره في الاعداد للثورة العربية وقيادة الجيش الشمالي، الذي لعب دوراً كبيراً في معارك الحجاز وتحرير بلاد الشام. وقد اشاد عدد من الضباط البريطانيين الذين خدموا في جيش الثورة العربية، بقابلية فيصل وخبرته بالقواعد العسكرية الحديثة[١٠٤]. وذكر الجنرال اللنبي ان فيصل كان«يجمع بين حسن القيادة العسكرية وبراعة السياسي الحاذق. . . بعيد النظر سريع الاقرار لما يعرض له من امور ووسائل، مخلص، صريح، جري»[١٠٥]. ويذكر جعفر العسكري ان بعض خصوم فيصل من الفرنسيين اعترفوا بمقدرته وذكائه، واكد العسكري نفسه ان فيصل اثبت كفاءة عسكرية بارعة، اثناء قيادته الجيش الشمالي «واذا كانت امامه خارطة جغرافية فقد كان سريعاً في الاشارة الى مواطن الضعف واماكن القوة، فكان يقود رجاله اليها بنجاح دائم ومستمر، وكانت احكامه غاية في الصدق وبعد النظر»[١٠٦]. وجاء في تاريخ الحرب الرسمي، «ان الجيش الشمالي كان موفقاً بقيادة الامير فيصل الذي تمكن من توحيد المنازع المختلفة، والاهواء المشتتة التي كانت تضطرب في جيشه بلباقته وحسن تصرفه، وقوة شخصيته»[١٠٧].

---

١٠٣ - تحسين العسكري، المصدر السابق، ص ١٩٠ - ١٩١.

١٠٤ - ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص٨٥.

١٠٥ - المصدر نفسه، ص١٠.

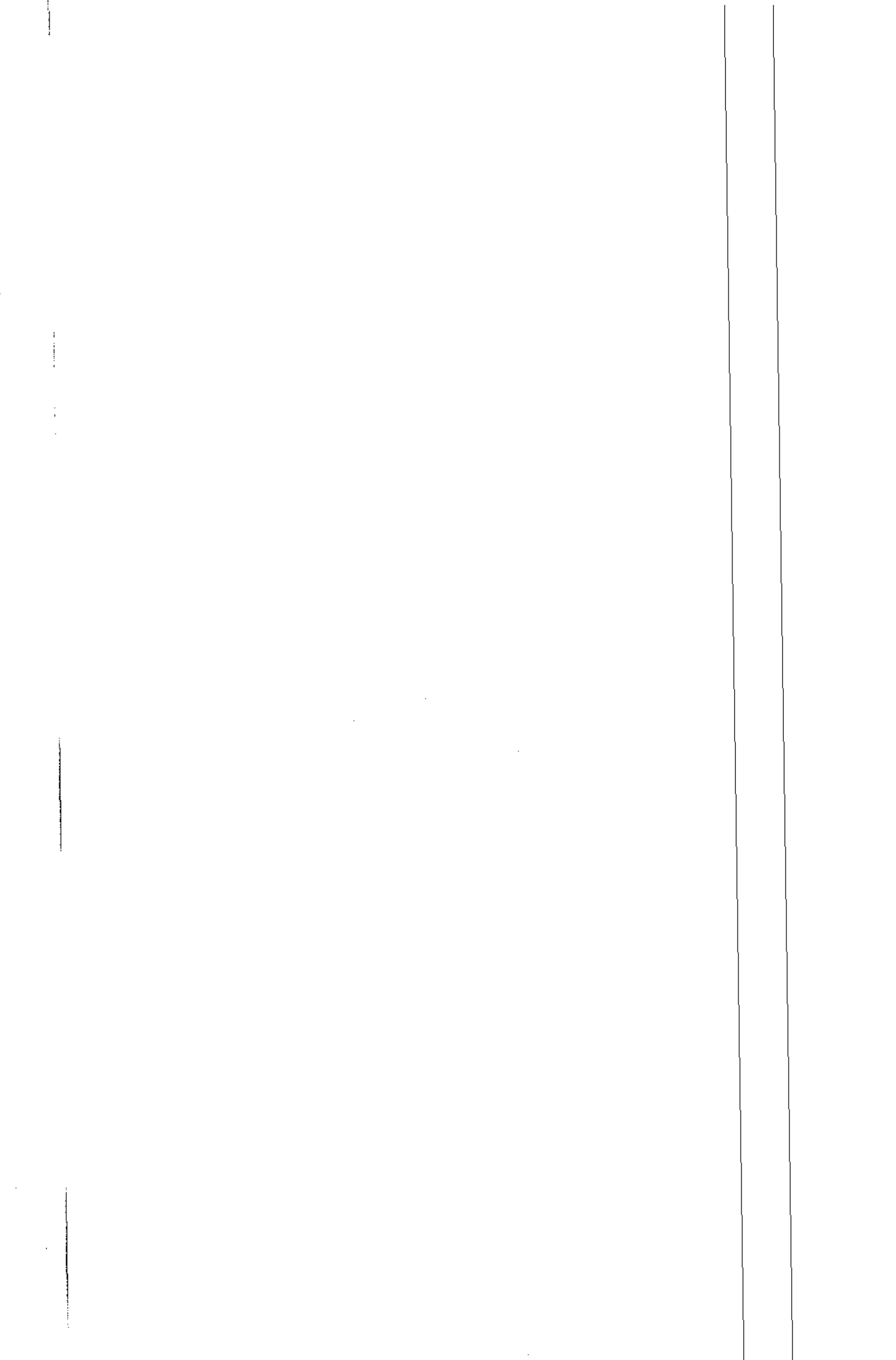
١٠٦ - المصدر نفسه، ص١٢.

١٠٧ - المصدر نفسه، ص٨١.

ويذكر ابراهيم الراوي«ان الانكليز وجدوا في فيصل من السجايا والقابليات، ماجعلهم يوكلون اليه مهمة «القائد العام للثورة»[١٠٨]. والمقصود ان عبء قيادة الجيش وقع على عاتقه، لأنه لم يكن يحمل ذلك اللقب رسمياً.



١٠٨ - ابراهيم الراوي، المصدر السابق، ص١١٩.



الفصل الثاني
دور الملك فيصل السياسي في سورية
١٩١٨ - ١٩٢٠

في الثالث من تشرين الاول ١٩١٨ دخل الامير فيصل دمشق دخول الظافرين، وقد استقبلته الجموع على اختلاف طبقاتهم. وكان في مقدمة المستقبلين الحاكم العسكري علي رضا الركابي، واعضاء حكومته[١]. ويذكر يوسف الحكيم، ان الامير حل «من القلوب في الصميم»[٢]، حتى انه لم يتمكن من تمالك عواطفه، فاغرورقت عيناه بالدموع[٣]، وبعد يومين من وصوله، نشر بلاغاً اعلن فيه تأسيس حكومة عربية، باسم والده جلالة الملك حسين، واوضح فيه مضمون سياسته العامة، وناشد السكان المحافظة على الهدوء واطاعة الاوامر. وتعهد بانه سيكون بمثابة الاب الشفوق للجميع «كما اني ساكون شديد العقاب على من يجرؤ على مخالفة اوامرها - الحكومة - والعبث بقوانينها، وايقاع العراقيل في سبيل رقيها وسيرها.... فهي تنظر الى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم نظراً واحداً - نظرةً واحدةً - فهي لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي...»[٤].

١- كانت الحكومة قد تشكلت قبل دخول فيصل، دمشق

٢- يوسف الحكيم، ذكريات الحكيم، «سورية والعهد الفيصلي» منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٧، ص٢٢٠

٣- مديرية الدعاية العامة، المصدر السابق، ص٥١، ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص ١١٢

٤- انظر نص الخطاب في، احمد قدري، المصدر السابق، ص٧٤-٧٧؛ ساطع الحصري، يوم ميسلون، مطابع الكشاف، بيروت، ١٩٦٧، ص١٩٤-١٩٥

وفي الايام الاولىٰ لوجوده في دمشق زاره الجنرال اللنبي ، واجتمع به في فندق فكتوريا، لمناقشة الموقف العسكري، واوضح له ان سوريا ستبقىٰ جزءاً من ارض العدو المحتلة «الدولة العثمانية»، وستكون هناك ادارة عسكرية عربية علىٰ المنطقة التي تقع شرق نهر الاردن من العقبة حتىٰ دمشق. وسيكون هو ـ فيصل ـ قائداً للقوات العربية، ويصبح مسؤولاً امامه، عن طريق كلبرت كلايتون، رئيس مكتب المخابرات البريطانية في مصر، اما فلسطين فانها ستوضع تحت الادارة العسكرية البريطانية المباشرة. وتصبح ادارة الشريط الساحلي من واجبات الحكومة الفرنسية، ولكن تحت قيادة الجنرال اللنبي .

احتج فيصل علىٰ هذه الاجراءات، لكن اللنبي اصر عليها، ووعده باجراء تسوية نهائية في المستقبل[٥]، فكانت اول خيبة امل لفيصل في تعامله مع الحلفاء[٦].

ويذكر جورج انطونيوس «ان اللنبي ، وهو عنوان الشرف ومغزاه كان يؤمن بسلامة التأكيدات التي امر باعطائها الى فيصل، فاعطاها في نغمة توحي بالثقة، كما كانت عادته حين يكون مقتنعاً بما يقول»[٧]. لكن الاحداث اثبتت عكس ذلك، اذ ان بريطانيا تخلت عن فيصل في محنته بعد ان اطلقت فرنسا يدها في الموصل كما سيأتي ذكره.

ثم وقع الحادث الثاني الذي كشف عن نوايا الحلفاء في انتهاج سياسة لا اخلاقية اتجاه العرب، وفيصل بالذات. فبعد ان تم رفع العلم العربي

٥ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١، ص٥٢. انظر كذلك , Hubert Young,the independant Arab, Ist ed. London, 1933,p.256

٦ـ ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص١١٩

٧ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٣٩٠

فوق مباني بيروت، بامر من الحكومة العربية، التي حددت الوانه[٨]. احتج الفرنسيون لدىٰ اللنبي ، باعتبار ان العربَ استولوا علىٰ منطقة، في الاصل من حصة فرنسا، استناداً الى اتفاقية سايكس ـ بيكو. فطلبت السلطات البريطانية من فيصل سحب ممثله في بيروت، وانزال العلم العربي. وقد اعتبر فيصل ذلك اهانة كبيرة بحقه، وبحق القضية العربية، رغم انه قبل سحب ممثله. فتم انزال العلم وانسحب ممثل فيصل[٩].

كانت هذه ثاني صفعة يتلقاها فيصل من حلفاء كان ما يزال يقاتل الى جانبهم، وانقذ جيوشهم من مآزق عسكرية حرجة. ثم لاحت في الافق بعد ذلك نوايا فرنسا باحتلال الموانئ ، فهدد فيصل بترك قيادة الجيش، اذا ما سمح للفرنسيين بذلك، لأن معنىٰ هذا ان العرب «سيعيشون في بيت بلا ابواب» علىٰ حد تعبيره، فاكد له اللنبي ، انه هو المسؤول عن الادارة بصفته القائد العام، ويجب النظر الىٰ الفرنسيين علىٰ انهم حلفاء،لاعلى انهم فرنسيون. فاقتنع فيصل بهذا الحل «المؤقت» بعد ان اكد له اللنبي ان الحلفاء صادقون في تنفيذ وعودهم التي قطعوها للعرب[١٠].

ازاء هذا الموقف الذي ابداه الحلفاء من القضية العربية، سعىٰ فيصل الى بناء علاقات قوية مع جماهير الشعب السوري، ليتخذها قاعدة يستند اليها في صراعه المرتقب مع الحلفاء. فاتصل بعدد كبير من العلماء وكبار رجال الدين والوجهاء والشخصيات الوطنية. وانتهج سياسة تقوم علىٰ اساس التسامح ، فاسند بعض المناصب المهمة الىٰ بعض الشخصيات، رغم مقاتلتها القوات العربية اثناء الثورة، مثل ياسين الهاشمي[١١]، الذي

٨ـ خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص٥٧

٩ـ المصدر نفسه، ص٥٧

١٠ـ المصدر نفسه، ص٥٨ـ٥٩

١١ـ لاينكر ان ياسين الهاشمي كان متعاطفاً مع الثورة

اصبح رئيساً لديوان الشورىٰ الحربي، وعلي رضا الركابي الحاكم العام للمنطقة الشرقية. كما اعطى المسيحيين مناصب اكثر من نسبة عددهم. وكان هذا الاجراء ضربة للدعاية الفرنسية التي عمدت الى استغلال الجانب الديني لضرب الوحدة الوطنية[١٢]. كما قام بجولة في مدن سورية الشمالية «حمص وحماة وحلب»، فاستقبل بكل حفاوة وتكريم، وكانت الهتافات بحياته تتصاعد اينما حل. وقد حث فيصل الاهالي علىٰ الاهتمام بالعلم والمعرفة. وذكر فيصل ان بضعة اشخاص من سكان حماة تبرعوا اربعة آلاف جنيه، ووعدوا بزيادتها الى ١٢ ألف[١٣]. وفي حلب القىٰ خطاباً اشار فيه الى الجهود التي بذلها والده والحلفاء لانقاذ العرب من الاضطهاد التركي، والعمل علىٰ ضمان حرية البلاد العربية واستقلالها. وندد بسياسة البطش التي اتبعها الاتراك ضد العرب. وعلق بعض السياسيين علىٰ هذا التنديد بانه جواب علىٰ ما كان يامله الاتراك من تاييد اهالي حلب لهم، بعد انسحاب قواتهم من المدينة. اذ ان هناك بعض الاقليات التركية التي تسكن المنطقة، فضلاً عن وجود علاقات مصاهرة مع بعض الاسر الحلبية[١٤]. وذكر فيصل في خطابه «نحن الان كالطفل الصغير ليس لنا حكومة ولا جيش ولا معارف. والسواد الاعظم من الشعب لا يفقه معنىٰ الوطنية والحرية، ولا ماهو الاستقلال حتى ولا شيء يذكر من كل هذه الامور، ذلك نتيجة ضغط الاتراك على عقول وافكار الامة. لذا يجب ان نفهم هؤلاء الناس قدر نعمة الاستقلال... انا عربي وليس لي فضل على عربي ولو بمثقال ذرة. انني وفيت واجبي

١٢ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤١٤ـ٤١٥

١٣ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٨٩

١٤ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص٢٤

الحربي كما وفى والدي واجبه السياسي. . . انني اكرر ما قلته في جميع مواقفي بان العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد. وان الديانات تأمر باتباع الحق والاخوة على الارض. وعليه فمن يسعى لايقاع الشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي» ثم حث الشباب على الانخراط في صفوف الدرك، لأن «الدرك والشرطة هما قوام البلاد، وبدونهما لا تنتظم احوال الحكومات لذلك اطلب من الجميع وخصوصاً الشبان ان ينتظموا بهما. وان لا يتاخر احدهم عن خدمة وطنه وبلاده. . . ان الشرطة وظيفة شريفة عالية. وان الانسان يتولى كل عمل في داخليته وبيته حتى لنجد رب البيت يكنس داره بيده، ولا يرى بذلك استخفافاً. . .». والواضح من خلال الخطاب ان الامير أراد من الشعب ان يتعاون معه في وضع اسس دولة سوريا الجديدة. ولكن الملاحظ ان فيصل لم يكن مستوعباً الواقع القومي للامة العربية فذكر في خطابه ان «العرب نحل وشعوب مختلفة باختلاف الاقاليم، فالحلبي ليس كالحجازي والشامي ليس كاليماني، ولذا قرر والدي ان يجعل البلاد مناطق تطبق قوانين خاصة متناسبة مع اطوار واحوال اهلها. فالبلاد الداخلية تكون لها قوانين ملائمة لموقعها والبلاد الساحلية ايضاً يكون لها قوانين طبق رغائب اهلها»[١٥].

وفي اثناء جولة الامير فيصل في شمال سوريا، وبعد ان وصل إلى حلب ابرق اليه والده طالباً منه التوجه الى اوربا لحضورمؤتمرالصلح، ممثلاً له.

وكانت قد جرت مراسلات بين وزارة الخارجية البريطانية والجنرال اللنبي، تمخضت عن دعوة الشريف حسين لارسال ممثلاً عنه الى

١٥ـ انظر نص الخطاب في، احمد قدري، المصدر السابق، ص٨٥ـ٨٩

المؤتمر. وكانت الانظار قد توجهت الى الامير فيصل، اذ ابرق لورنس الى الشريف حسين في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ راجياً تكليف فيصل بهذه المهمة «لأن انتصاراته الرائعة كونت له شهرة شخصية في اوربا، وذلك سوف يسهّل نجاحه»[١٦]. وكان نص البرقية التي بعثها الشريف الى نجله هو «حليفتنا الوفية بريطانيا العظمىٰ ترغب حضورك نائباً عن مصالح العرب، وكل ما يكون اساساً لحياتهم، سواء ما يتعلق بالحدود او الادارة مما هو معلوم لديك. فانفاذاً لرأي عظمتها تتوجه بكل سرعة ممكنة لباريس. وحيث ان رابطتنا الوحيدة هي العظمىٰ بريطانيا ، ولا علاقة لنا ولا مناسبة مع سواها في اساساتنا السياسية. فكل ملاحظاتك وما تراه في الموضوع تبديه لعظمتها ونوابها الاماجد ان كانوا زملاءك في المجتمع او معتمديها السياسيين، وما يكلفونك به من قول او عمل ان كان في المجتمع او سواه تعمل به، وتجنب كل ما سوىٰ ذلك. هذه درجة مأذونيتك عما يختص بالمجتمع وخير الاهالي بالمصلحة والقصد»[١٧].

الواضح ان الحسين كان واثقاً من ان بريطانيا ستفي بوعودها، فحذر فيصل من التفاوض مع الفرنسيين، اذ ليس هناك ما يربط العرب بهم من معاهدة او اتفاق. ويبدو ان الشريف حسين كان يعرف ان اطماع الفرنسيين في سوريا ستجعلهم اكثر تصلباً في منح العرب الاستقلال، لأنهم غير مرتبطين بالعرب بوعود، كما هو الحال بالنسبة لبريطانيا.

حاول فيصل اول الامر الاعتذار عن قبول هذا التكليف، ربما لاعتقاده ان شقيقه عبد الله افضل منه، كونه على معرفة اكثر بما تم بين والده

١٦ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤١٦

١٧ـ حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٧٤؛ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤١٦ـ٤١٧

وبريطانيا من مراسلات حول استقلال العرب، وحين اصر والده انصاع للامر، وطلب ارسال الوثائق التي تؤكد وعود الحلفاء للعرب[18]. وكان رد ابيه، ان نصوص تلك الوعود موجودة في وزارة الخارجية البريطانية[19]. وقد طلب فيصل من ابيه ارسال شقيقه عبد الله لينوب عنه في غيابه، لكن الشريف حسين رفض الطلب، اذ ان عبد الله كان منشغلاً في حصار المدينة، التي كانت لا تزال بيد القوات العثمانية. وكان الشريف حسين يعلق املاً كبيراً على سقوطها.

غادر فيصل حلب، ماراً بحمص وطرابلس، وكان يستقبل بحفاوة بالغة اينما حل. وفي التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩١٨ وصل بيروت، وبلغت حفاوة الاستقبال في المدينة حداً جعل شباب المدينة يسحبون عربته في الشوارع[20]، وكانوا يهتفون «ما بنرضى غيرك سلطان» «لا نرضى الا العرب». وقد نزل فيصل ضيفاً على الجنرال السير «ادورد بلفن» قائد الفيلق الحادي والعشرين، وتناقش معه حول الترتيبات المتخذة لسفره. كما التقى بالعقيد كورنوالس، ضابط الارتباط البريطاني في دمشق، واعرب له عن عدم ارتياحه لتمثيل والده دون ان يكون له تفويض من الشعب. كما اعرب له عن رغبته في اجراء تصويت حر لتحديد نوع الحكومة التي يرغب فيها الشعب، وفضل ان يكون التصويت باشراف الولايات المتحدة[21]. ويبدو من خلال هذا الحديث ان ثقة فيصل ببريطانية بدأت تهتز، الامر الذي جعله يولي ثقته بالولايات المتحدة، التي اكد رئيسها، ضرورة العمل على تأكيد «حق تقرير المصير». وكتب

١٨ـ ستورث ارسكين، المصدر السابق، ص١٢٠

١٩ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٩٠

٢٠ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص١٣٧

٢١ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤١٧ـ٤١٨، احمد قدري، المصدر السابق، ص٩٠

فيصل الى ابيه يؤكد له التفاف جماهير بلاد الشام حوله «وان ارتباطهم بعرش جلالتكم لهو خارج عن كل وصف» كما اوضح له بانه رفض المساعدات الفرنسية «لأنني رايت فيهم الطمع في احتلال البلاد فعلاً» واعرب له عن ضرورة ارتباط العرب بالبريطانيين «لأن مصلحتنا متعلقة بمصلحتهم» لكنه كان ما يزال يشك في نواياهم تجاه العرب. كما اوضح له بأن تصوراته عن مهمته في مؤتمر الصلح غير واضحة.

قبل ان يسافر فيصل الى اوربا، عاد الى دمشق، واناب عنه اخاه زيداً. ثم توجه الى اوربا في الثامن والعشرين من تشرين الثاني، يرافقه نوري السعيد ورستم حيدر واحمد قدري وفائز الغصين[٢٢].

كانت هذه هي المرة الاولى التي يسافر فيها الامير الى اوربا. وكانت مهمته صعبة للغاية، اذ لم يكن قد خبر بعد ألاعيب السياسة الاوربية.

كما كانت لديه بعض المؤشرات التي كشفت عن نوايا الحلفاء غير الطيبة تجاه العرب، كما حدث عند انزال العلم العربي من مباني بيروت.

بعد أربعة ايام من مغادرته بيروت وصل المركب الحربي، الذي كان يقل الامير، ميناء مرسيليا الفرنسي. وكان باستقباله ضابطان فرنسيان كبيران. وقد فوجيء الامير حين علم من السلطات الفرنسية، ان وجوده في الميناء لا يحمل صفة رسمية[٢٣]، او بمعنى آخر انه استقبل بصفته اميراً حجازياً، ونجل ملك الحجاز الذي اشترك في الحرب مع الحلفاء، جاء

٢٢ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٨، احمد قدري، المصدر السابق، ص٩١، سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤١٨ـ٤١٩

٢٣ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٣٩٠

ليزور فرنسا[٢٤]. او بصفته قائداً من قواد الحلفاء[٢٥]. ويذكر سليمان موسى ان لورنس كان ايضاً باستقباله، وان الذي اخبره بانه لا يحمل صفة رسمية، هو بريموند، ممثل فرنسا الثاني في جدة، وكان ذلك في مدينة ليون[٢٦]. كما ان ممثلها الاول في جدة العقيد «كوس» ابلغ الشريف حسين عدم امكانية اعتبار نجله مفوضاً في مهمة سياسية في فرنسا[٢٧]. كما اعتذرت الحكومة اول الامر عن استقباله في باريس، باعتبار ان الدول الكبرىٰ لم تتوصل بعد الىٰ تحديد الدول التي ستشارك في اعمال مؤتمر الصلح[٢٨]. لكنها سرعان ما عدلت عن رايها ـ ربما بضغط من بريطانية ـ وكان فيصل قد سأل بريموند فيما اذا كانت حكومته ترفض استقباله في باريس، واعرب له عن رغبته في العودة الىٰ دمشق، فاتصل المسؤول الفرنسي بحكومته، التي وجهت الدعوة الىٰ الامير لزيارة العاصمة. ويروي الدكتور احمد قدري في مذكراته، ان الحكومة الفرنسية عمدت الى خطة مفادها «احاطة الامير بجميع مظاهر التكريم والتبجيل بغية التأثير في نفسه، وسيراً على السياسة التي تتبعها في شمال افريقية، ثم اقصاوه عن الاشتراك في مؤتمر الصلح في فرساي ممثلاً للعرب بالمؤتمر. فاعد لسموه صالون خاص، اقله وحاشيته الى ليون ليزور الجبهة الغربية، فاستقبل في ليون في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٨، استقبالاً عسكرياً، «وكانت جنود الخيالة بابواقها تحييه من المحطة حتىٰ فندق ترمينوس الكبير الذي نزل فيه»[٢٩].

٢٤ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٩١

٢٥ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص١٣٨

٢٦ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤١٩

٢٧ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٩١

٢٨ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٢١

٢٩ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٩٢

وقد زار في طريقه جبهة القتال في فردان، وفي مدينة ستراسبورغ، ثم قلده الجنرال غورو، وسام جوقة الشرف الاكبر، وكان احتفالاً عسكرياً مهيباً. ويرىٰ احمد قدري ان الحكومة الفرنسية عمدت الى اطالة فترة بقاء الامير في مدن الجبهة لتجعله بعيداً عن باريس، حيث سيفتتح مؤتمر الصلح[٣٠]. ويبدو ان هناك مبالغة في هذا التعليل، لكن فيصلاً بدأ يدرك ان الفرنسيين لا يرغبون في اشتراكه في المؤتمر، فاستوضح من الحكومة البريطانية عن موقف فرنسا، فكان الرد كما توقع فيصل، وهو عدم رغبة فرنسا في اشتراكه. فقرر التعجيل بالسفر الى باريس، حتىٰ انه اضطر الى الغاء بعض فقرات برنامج جولته في فرنسا، فاعتذر من الجنرال برشنغ، قائد القوات الاميريكية في المانيا، لعدم امكانيته المكوث معه طويلاً، اذ اكتفىٰ بتناول الطعام علىٰ مائدته. حتىٰ ان الجنرال الامريكي «لم ينظر في ذلك بعين الرضا، سيما وهو عسكري كبير ولا يعرف ما يحاك من مؤامرات سياسية»[٣١].

وصل فيصل باريس والتقىٰ برئيس الجمهورية الفرنسية هنري بوانكاريه، في السابع من كانون الاول ١٩١٨. ولم يطل اللقاء سوىٰ دقائق معدودات، اذ اقتصر علىٰ عبارات الترحيب والمجاملة. وكان ذلك تأكيداً لموقف فرنسا في عدم معاملة فيصل بشكل رسمي، فالحديث لم يتناول اية قضية سياسية. وفي اليوم التالي دعاه وزير الخارجية الفرنسية «بيشون» لحفلة شاي في قصر «الشانزلزية». وقد تجنب الوزير الفرنسي تناول المواضيع السياسية اثناء الدعوة. وفي فندق «الكونتنتال» الذي اقام فيه الامير، حاول جس نبض الوفود المشاركة في المؤتمر،

٣٠ـ المصدر نفسه، ص٩٤

٣١ـ المصدر نفسه، ص٩٤-٩٥

فارسل بعض اعوانه لهذا الغرض. وكانت مفاجأة له حين علم عدم اهتمام الدول بشؤون العالم باستثناء فرنسا وبريطانية[٣٢]. كما ان الصحف الفرنسية التي صدرت اثناء وجوده في باريس، رفضت الاعتراف بانه جاء ليشارك في مؤتمر الصلح بشكل رسمي[٣٣].

غادر فيصل باريس الى لندن، حيث وصل اليها في العاشر من كانون الاول، ونزل مع رجال حاشيته في فندق كارلتون، بعد ان استقبل بحفاوة كبيرة[٣٤]. وقد كتب الى والده عن الطريقة التي استقبل فيها في باريس[٣٥]. وفي اليوم التالي استقبله الملك جوج الخامس، في قصر باكنكهام. كما التقى بعدد غير قليل من كبار الشخصيات البريطانية، التي تسابقت لاقامة الدعوات له. ويشير عوني عبد الهادي في مذكراته، بان تلك الشخصيات تجنبت الحديث في السياسة، باعتبار ان ذلك من اختصاص رجال الدولة. والملفت للانتباه ان الصحف البريطانية لم تشر حتى الى وصول الامير لندن، باستثناء خبر نشرته التايمز. وقد حاول فيصل لفت نظر لويد جورج رئيس الوزراء واللورد كرزون وزير الخارجية الى انه جاء الى اوربا بناء على دعوة الحكومة البريطانية بصفته ممثلاً لوالده في مؤتمر الصلح. وفي الرابع من كانون الثاني ١٩١٩ قدم مذكرة الى وزارة الخارجية، شرح فيها مطالب العرب في الوحدة والاستقلال[٣٦]. واكد بلفور في التقارير التي كتبها عن محادثات فيصل مع ساسة بريطانية، انه اي «فيصل» « كان عنيفاً ضد فرنسا، بقدر ما كان صريحاً مع بريطانية، وان

٣٢ـ خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي ـ اوراق خاصة ـ بيروت، ١٩٧٤، ص٢١

٣٣ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٩١

٣٤ـ خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢١ـ٢٢؛ احمد قدري، المصدر السابق، ص٩٦

٣٥ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٢٣

٣٦ـ خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢٢ـ٢٣

الفرنسيين اذا اظهروا خطة عدوانية، فسوف يهاجمون في الحال برغم انه يعرف ان ليس بامكانه مقاومة قوة فرنسا، ولكنه يفضل هو وشعبه الهلاك في النضال على الرضوخ لتسلط اجنبي . . . واذا كان لا بد من خضوعهم فهم يفضلون حكومة تركية سيئة»(٣٧).

والواضح ان فيصلاً أراد ان يظهر للحلفاء انه غير ضعيف، وانه جاء الى اوربا مطالباً بحقوق العرب المشروعة. وان عدم تحقيق ذلك قد يضطره الى انتهاج سياسة لا يؤمن بها، قد تضر بمصلحة الطرفين. وقد اشارت بريطانية على فيصل بالعودة الى باريس ومفاوضة الفرنسيين بعد ان تقرر اشتراكه في مؤتمر الصلح(٣٨).

اتفاقية فيصل - وايزمان والموقف من الحركة الصهيونية : -

قبل ان نبحث دور الامير فيصل في مؤتمر الصلح، لا بد من تسليط الضوء على الاتفاقية التي عقدها مع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان، لما لها من اهمية خاصة في حياة فيصل السياسية وموقفه من الحركة الصهيونية. بعد ان اصدرت بريطانية الوعد المعروف بوعد بالفور، المتضمن اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، سعت بشكل واضح الى ايجاد تقارب بين زعماء الحركة الصهيونية والامير فيصل باعتباره من ابرز القادة العرب انذاك. وقد تكللت جهودها بالنجاح، بعد ان بدات تشيع ان غاية الحركة الصهيونية هي التفاهم مع العرب على اساس المصلحة المشتركة، وعدم

٣٧- خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص٨٧

٣٨- احمد قدري، المصدر السابق، ص٩٩

الاضرار بالحقوق العربية، وبالذات حق العرب في فلسطين[٣٩].

وهكذا تم اول لقاء بين الامير فيصل وحاييم وايزمان في «الوهيدة» - بين معان والعقبة - في الرابع من حزيران عام ١٩١٨، يوم كان الامير قائداً للجيش العربي الشمالي. وقد استغرق اللقاء زهاء خمس واربعين دقيقة. وكان الزعيم الصهيوني يحمل رسالة من كلبرت كلايتون، المعتمد السامي البريطاني في القاهرة، الى الامير، حاول فيها المسؤول البريطاني ايهام فيصل، بان وايزمان يسعى لايجاد تعاون كامل بين العرب واليهود باعتبار ان مصلحة الطرفين مشتركة. وقد اوضح وايزمان لفيصل اثناء المقابلة انه يعمل على ترويج المصالح اليهودية في فلسطين وجاء في مذكراته «لقد اجرينا حديثاً طويلاً ومفصلاً بواسطة مترجم، وشرحت له الغرض من مجيئي الى فلسطين ورغبتنا الصادقة للقيام بكل ما في وسعنا لتبديد مخاوف العرب وحساسياتهم، واعربت له عن املنا في الاعتماد على تأييده المعنوي لنا. لقد استفسر فيصل عن المنهاج الصهيوني، غير اني وجدته محيطاً احاطة تامة به. كانت فلسطين والاردن يومئذ بلداً واحداً فبينت له ان في تلك البلاد مجالاً كافياً للعرب واليهود وان احوال العرب سوف تتحسن كثيراً من وراء انجازاتنا هناك. لقد وجدت الامير متفقاً اتفاقاً تاماً معي حول كل ما ذكرته، كما ايد لي ذلك لورنس، فيما بعد برسالة منه.

استغرقت محادثاتنا اكثر من ساعتين. وقبل ان ابارح محل الاجتماع اقترح عليّ ان نتصور سوية، ووعدني بنقل خلاصة حديثنا الى والده الذي قال عنه بانه المرجع النهائي لكل اعماله واجراءآته، وانه هو الذي يدير دفة

٣٩- اقتنع الشريف حسين بهذا الادعاء، باعتبار ان اليهود من اهل الكتاب.فكتب الى فيصل يطالبه باظهار النوايا الحسنة تجاه اليهود، لانهم «غرباء في بلاد العرب» انظر. سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٢٨

السياسة العربية مباشرة. ومن الاحداث التالية تبين بجلاء ان والده لم يعترض على الآراء التي اعرب عنهاولده»[٤٠].

الواضح من خلال كلام وايزمان نفسه ان فيصلاً لم يعده شيء لأن ذلك من صلاحيات والده، فحاول وايزمان كسب ثقة فيصل، فوعده بتوظيف نفوذ اليهود لمصلحة القضية العربية، اذا ما سافر الى الولايات المتحدة الاميريكية، الامر الذي سر فيصل كثيراً[٤١].

وقد اوضح فيصل لوايزمان ان اتفاقية سايكس - بيكو ستلحق الضرر بالعرب واليهود. ووعد وايزمان فيصلاً مرة اخرى، بان اليهود لن يترددوا عن مناصرة القضية العربية. واكد له ان فرنسا تعمل على دق اسفين بينهما.

وان هدف اليهود يتلخص في الحصول على اعتراف بحقوقهم القومية والتاريخية في فلسطين، وانهم سيعملون على شراء الاراضي من الإقطاعيين، واصلاح البلاد كي تستوعب خمسة ملايين يهودي. وان تكون بريطانية هي الدولة المنتدبة على فلسطين. وان اليهود سيبذلون قصارى جهدهم لمساعدة فيصل، الذي اقتنع بامكانية التعاون مع اليهود.

هذا ما ذكره وايزمان عن لقائه مع فيصل. اما انطباع فيصل عن اللقاء فقد تضمنته رسالته التي بعثها الى ابيه، اذ جاء فيها ان لورنس اطلعه على اتفاقية سايكس - بيكو، التي يريد البريطانيون تمزيقها، لكن دون اعلان الحرب على فرنسا. وبما ان لفرنسا نفوذها الواسع، فانه يسعى الى نيل تأييد اليهود، لما لهم من تأثير في الاوساط السياسية والاقتصادية، بدليل ان اثنين من مستشاري الرئيس الامريكي الخمسة هم من اليهود. وان فرنسا معادية

٤٠- امين المميز، عودة الى اتفاقية فيصل - وايزمان، القسم الثاني، مجلة افاق عربية، العدد الثامن، السنة الثالثة، نيسان، ١٩٧٨، ص٤٥-٥٧؛ مذكرات وايزمان بقلمه، مكان الطبع،- ١٩٥٢ ص٦٦

٤١- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٣١

للعرب واليهود عكس بريطانية، التي تحتفظ بصداقة لكليهما. وذكر فيصل لأبيه ان وايزمان اخبره بان ليس لليهود اطماع في فلسطين، سوى انهم يريدون جعلها ملجأ لهم، وانهم لا يفكرون في تأسيس اي نوع من انواع الحكم. وان اتفاقية سايكس - بيكو ورقة لا قيمة لها. وان وايزمان اكد له ضرورة تعاون العرب مع اليهود، الذين سيعملون على اعمار البلاد، وهم ينتظرون مساعدة العرب كصديق مخلص، له سلاح يقاتل به[٤٢].

الواضح ان هناك خلافاً بين رواية الاثنين. ومن المؤكد ان لورنس لعب دوراً خبيثاً في تهوين الامر لفيصل، من خلال عملية الترجمة.

حين وصل فيصل لندن في العاشر من كانون الاول عام ١٩١٩ سارعت السلطات البريطانية الى اقناعه بالاجتماع مع وايزمان مرة اخرى، مستغلةً تصلب فرنسا تجاه القضية العربية، فانتدبت لورنس، الذي حضي بثقة فيصل، لهذه المهمة، فسعى الى اقناع فيصل بان عليه «ان يستعين باليهود لمقاومة فرنسا». واكد ذلك المؤرخ البريطاني المعروف ارنولد توينبي الذي كان يعمل في وزارة الخارجية انذاك.[٤٣]

تم اللقاء بعد ٢٤ ساعة من وصوله العاصمة البريطانية. وتمخض اللقاء عن توقيع ما عرف باتفاقية فيصل - وايزمان[٤٤]. وقد كتبت الاتفاقية باللغة الانكليزية، التي لم يكن يجيدها فيصل. وحرصاً منه على عدم الوقوع في مأزق سياسي، فانه اضاف الملاحظة التالية في نهاية الاتفاقية «اذا نالت العرب استقلالها كما طلبنا بتقريرنا المؤرخ في ٤ كانون الثاني سنة ١٩١٩، المقدم لنظارة خارجيت «خارجية» بريطانية العظمى فانني موافق على ما

٤٢- المصدر نفسه، ص٤٣٦

٤٣- المصدر نفسه، ص٤٣٤-٤٣٧

٤٤- راجع نص الاتفاقية في ، جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٥٩٢-٥٩٥

ذكره بنطاق هذا من المواد وان حصل ادنا ـ ادنىٰ ـ كذا تغيير او تبديل فلا اكـون ملزومـاً ـ ملزمـاً ـ ومـربـوطـاً باي كلمت «كلمـة» كانت بل تعـد هذه المقاولة لا شـيء ولا حكم لها ولا اعتبار ولا اطالب باي صورت «صورة» كانت»[٤٥]. ويكون فيصل بهذه الملاحظة قد الغىٰ الاتفاقية اساساً، او بمعنىٰ آخر الغىٰ المفهوم الصهيوني لها.

وان هذه الملاحظة تؤكد ان فيصلاً لم يكن يولي البريطانيين، ولـورنـس بالذات ثقة كاملة، والا لوقع الاتفاقية دون ان يكتب ملاحظته[٤٦]. ويذكر احمد قدري، ان فيصلاً كتب تلك الملاحظة بعد ان اخبره سكرتيره عوني عبد الهادي بانه قرأ في كتاب صهيوني ان اليهود يسعون الى تأسيس دولة لهم في فلسطين[٤٧]. وهذا يؤكد ان فيصلاً كان ضد تأسيس هذه الدولة.

ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه الاتفاقية لم تنشر الا عام ١٩٣٦، بعد وفاة كل من فيصل ولونـس. وقد نشرها وايـزمان في جريدة التايمس في السادس من حزيران[٤٨]. ولو كان للاتفاقية قيمة تاريخية وسياسية كبيرة، لما تردد وايـزمان عن نشرها بسرعة. وقد اكد لويـس مالت ـ رئيس قسم الشرق الادنىٰ في الوفد البريطاني لدىٰ مؤتمر الصلح، ان بلاده التزمت باسـتقـلال البـلاد العربيـة بما فيها فلسـطين. وان علىٰ اليهود ان يتوصلوا الىٰ اتفاق مع فيصـل بهـذا الخصـوص. وكتب مذكـرة بهـذا الشأن الى بلفـور، الذي

٤٥ـ للمـزيـد من التفـاصيل انظر محمد مظفر الادهمي، اسرار اتفاقية فيصل ـ وايزمن، مجلة آفاق عربيـة، العـدد العـاشـر، السنـة الثـانية، حزيران، ١٩٧٧، ص١١٤ـ١٢٣، ومقال الاستاذ امين المميز المار ذكـره «القسم الثاني» وكذلك القسم الاول في مجلة آفاق عربية، العدد الخامس السنة الثالثة، كانون الثاني، ١٩٧٨، ص١٠ـ١٨

٤٦ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٤٩

٤٧ـ احمد قدري، المصدر السابق ص٩٨

٤٨ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٤٩

وقعها دون ان يبدي عليها اي اعتراض. وكذلك فعل غيره من مسؤولي وزارة الخارجية البريطانية.

بقي الصهاينة يلاحقون فيصل في باريس مؤكدين له اهمية التعاون معهم، لما لهم من نفوذ مؤثر في الاوساط السياسية العالمية، واثر ذلك على القضية العربية. ومما زاد من الحاح الصهاينة، التصريح الذي ادلى به الامير لجريدة «الانغور ماسيون» الفرنسية، اذ كرر فيه اسم فلسطين ثلاث مرات مع بقية الاقطار العربية. واكد في التصريح انه يسعى الى الحصول على الاستقلال التام. وفي الاول من آذار نشرت جريدة «الماتان» حديثاً اجرته مع الامير، ذكر فيه «يسرنا بحكم الانسانية والمروءة ان نرى اليهود التاعسين يهاجرون الى فلسطين فيقيمون فيها على الرحب، عاملين بمقتضى الواجبات الوطنية على شرط ان يكونوا تحت سلطة اسلامية؛ او تحت سلطة نصرانية تتلقى وكالتها من قبل عصبة الامم»[٤٩]. فاعتبر الصهاينة هذا التصريح معادياً لهم. فعملوا على الالتقاء بفيصل مرة اخرى، فاستعانوا بلورنس لهذا الغرض. فتم اللقاء بين الامير والصهيوني الامريكي «فرانكفورتر»، وتقرر ان يتبادل الاثنان رسالتين تتضمنان المسائل الاساسية التي دار الحديث عنها. فكتب لورنس رسالة فيصل في ٣ آذار عام ١٩١٩، جاء فيها، ان الوفد الحجازي يعتبر المقترحات المقدمة من قبل اليهود الى مؤتمر الصلح معتدلة وملائمة، وانه «يوجد مكان في سورية لكلينا» واختتمت الرسالة بالعبارة الآتية «انني اتطلع ويتطلع شعبي معي الى مستقبل نساعدكم فيه وتساعدوننا حتى يمكن للبلاد التي نهتم بها اهتماماً مشتركاً ان تأخذ مكانها مرة اخرى بين امم العالم المتمدنة»[٥٠]. ويبدو ان لورنس كتب هذه الرسالة دون علم فيصل. واكد عوني عبد

٤٩- المصدر نفسه، ص ٤٤٣-٤٤٤

٥٠- المصدر نفسه، ص٤٤٤

الهادي زيف الرسالة التي وقعها لورنس باسم فيصل، اذ انه لم يشاهد او يسمع ان الامير قابل «فرانكفورتر» او «وايزمان» في تلك الفترة[51].

وفي اسوأ الاحتمالات، لا بد ان يكون عوني عبد الهادي على علم بما يكتبه فيصل، حتى اذا لم يكن قد حضر او سمع عن اللقاء[52]. وقد اكد فيصل في حديث له مع اعضاء لجنة «كنك كرين» - التي سيأتي الحديث عنها - انه يرفض فكرة فصل فلسطين عن سورية، كما اكد ذلك في رسائل رسمية للساسة البريطانيين. واذا كان قد قبل اول الامر بهجرة اليهود الى فلسطين، فانه يرفضها الآن، لأن الصهاينة اظهروا مطامع واسعة في فلسطين، اثارت الفزع في قلوب السكان[53]. وفي مقابلة اجرتها معه جريدة «الجويش كرونيكل» في الثالث من تشرين الاول عام ١٩١٩، ضحك فيصل عندما قال له مندوب الجريدة ان هناك من يطلق اسم «ارض اسرائيل» على فلسطين، ثم قال «ولكن اطلاق اسم ما لايغير الشيء ذاته، ولا يمكن ان نطلق اسم «ارض اسرائيل» على فلسطين، لأنها ليست «ارض اسرائيل» باي حال من الاحوال. ان عدد اليهود لا يتجاوز ١٠٪ بالنسبة للعرب، ولذلك يكون من المعقول اكثر ان نسمي فلسطين «ارض العرب» وندعو سكانها عرباً» واكد فيصل لمندوب الجريدة عروبة فلسطين و

٥١- خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢٥. كان البريطانيون، وبالذات لورنس يردون على بعض البرقيات التي تصل فيصل، دون علمه. فحين طلب منه اخوه زيد، موافاته بنتائج محادثاته في لندن في كانون الثاني ١٩١٩، رد لورنس، باسم فيصل، بانه لايستطيع ارسال الاخبار. وكذلك الحال حين استفسر منه، الشريف ناصر، الحاكم العسكري في حلب. انظر مقال الدكتور محمد مظفر الادهمي، اسرار اتفاقية فيصل - وايزمان، المار ذكره

٥٢- فوجيء العرب حين عرض الصهاينة هذه الرسالة على لجنة شو، عام ١٩٢٩. وحين أستفسر من فيصل، الذي كان انذاك ملكاً على العراق، اجاب رستم حيدر، بان جلالته لايتذكر انه كتب تلك الرسالة. انظر، خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص٩٢

٥٣- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٤٥

«ان كل شيء فيها لا يتجزء من حياة العرب. واكثر من هذا كله ففلسطين جزء لا يتجزء من سورية ويجب ان تبقى كذلك». واكد لمندوب الجريدة ايضاً ان اتفاقه مع وايزمان لا يعني سيادة اليهود على فلسطين. وان العرب سيقاتلون «حتى الخندق الاخير ضد اي مشروع يرمي الى فصل فلسطين عن المملكة»[٥٤]. وقد اثارت هذه التصريحات الحركة الصهيونية، باعتبارها تناقض اتفاقه مع وايزمان، والرسالة التي «كتبها» الى فرانكفورتر. وقد اكد عوني عبد الهادي ان فيصلاً كان يشكو بمرارة من محاولات وايزمان للتقرب منه، وقال عنه «ماذا يريد هذا الرجل مني. اني ساعمل كل شيء للتخلص منه، انه يمزقني باحاديثه الطويلة»[٥٥]. بامكاننا

بامكاننا ان نخلص من خلال علاقة فيصل مع رجال الحركة الصهيونية انه لم يكن متعاطفاً مع هذه الحركة اطلاقاً، لكنه كان مع فكرة وجود اليهود في فلسطين بشكل يضمن لهم العيش بسلام في ظل دولة عربية، على ان لا يؤثر ذلك على الشعب العربي في فلسطين.



٥٤ـ المصدر نفسه، ص٤٤٦ـ٤٤٧

٥٥ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص٩٢

فيصل في مؤتمر الصلح :-

عاد الامير والوفد المرافق له الى باريس في السادس من كانون الثاني ١٩١٩. وقبل افتتاح المؤتمر اجرى لقاءآت واسعة مع سياسي فرنسا وكبار رجالها، وفي مقدمتهم رئيس الوزراء جورج كليمانصو كما التقى بكبار الصحفيين، في العاصمة، ورئيس جامعة باريس، الذي استمع لحديث فيصل عن القضية العربية وتطلع الشعب العربي في ان يعترف مؤتمر الصلح، بحقه في الاستقلال. وفي اليوم التالي نشر رئيس الجامعة المذكورة مقالاً في جريدة «الديبا» ايد فيه حق العرب في الاستقلال.

ومن الشخصيات الفرنسية التي اعجبت بالامير، الاديب العالمي المعروف اناتول فرانس[٥٦]، الحائز على جائزة نوبل. ويذكر عوني عبد الهادي في مذكراته «كان أناتول فرانس الاديب الاعظم، اكثر من يزور سموه لاعجابه بوجهه الذي يشبه «المسيح» ولباسه الجميل الفريد. وكثيراً ما كان يدعوه لتناول طعام الغداء او العشاء في مصحته في بلغو. وكان يدعو معه كبار رجال الصحافة ورؤساء تحرير صحف الطان والديبا وماتان وفيجارو. . . وكثيراً ما كان - اناتول فرانس - يتطرق في احاديثه الى ما عرفه عن سمو الامير فيصل من ذكاء وفطنة ومحبة لفرنسة، وعن القضية العربية التي حضر لأوربا من اجل الدفاع عنها. وكان يطلب من رجال الصحافة تأييده في مطالبه الوطنية[٥٧]». وفي الوقت نفسه فان فيصلاً كان يعمل على التقرب من الوفد الامريكي، بعد ان لمس تعاطف الرئيس ولسون مع القضية العربية[٥٨]. وبعد ان ادرك ان فرنسا متصلبة تجاه العرب، وان

٥٦- صاحب الرواية المشهورة «تاييس» والحاصل على جائزة نوبل.

٥٧- خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢٧

٥٨- احمد قدري، المصدر السابق، ص١٠١

بريطانية بدات تماطل في تنفيذ وعودها.

كانت مفاجئة كبيرة لفيصل حين اعربت الحكومة الفرنسية عن اسفها لعدم تخصيص مقعد له في المؤتمر، اذ ان المقاعد مخصصة لممثلي الدول المعترف بها. ولمح له المسيو جان نو الوزير المفوض في وزارة الخارجية ضرورة تعاونه مع القرار. لكن فيصلاً قابل هذه الصدمة بهدوء وكان رده «بانه لا يعتقد ان من حق الحكومة الفرنسية ان تمنع دولة الحجاز التي سبق ان اعترفت هي وبريطانية بها، وانه سيبلغ جلالة والده عن موقف فرنسة الحليفة نحوه وينتظر الاوامر التي يصدرها ابيه»[٥٩].

واضاف فيصل «اعلم ان والدي لم يحارب الاتراك لاجل ان تتجزأ بلاده وتغدو طعمة للاغيار. ولا تحسبوا انني اخاف قوة فرنسة، وشديد بطشها فاسلمكم بلادي... ولا تظن انني اميل الى انكلترة او غيرها فيما يختص بمنفعة بلادي، بل كن مطمئناً من هذه المهمة. ولقد اعطتني الحكومة الانكليزية قولاً صريحاً بتخلية العراق. انني عدو لمن يخالف سياستنا الوطنية ويعارضنا فيها، اكان ذلك المعارض انكليزياً او فرنسياً»[٦٠].

لقد كان رداً مفحماً ومنطقياً، اذ ليس من حق فرنسا لوحدها حرمان دولة ما، من حضور المؤتمر، خاصة اذا كانت الدولة حليفة، وساهمت في الحرب بشكل فاعل ومؤثر. وقد ابلغ فيصل، لورنس عن موقف فرنسا فاتصل بساسة دولته، وعاد ليخبر فيصلاً، بان مجلس الحلفاء الاعلى، وافق على تخصيص مقعدين للوفد العربي، وليس مقعداً واحداً. فكانت بارقة امل كبيرة علق عليها فيصل آمالاً عريضة، فابرق الى والده، راجياً الموافقة على ان يكون رستم حيدر العضو الثاني فضلاً عنه - فيصل -[٦١].

٥٩- خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢٨

٦٠- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٦٤

٦١- المصدر نفسه، ص٤٦٤-٤٦٥؛ خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢٨

في الثامن عشر من كانون الثاني عام ١٩١٩، افتتح مؤتمر الصلح رسمياً في فرساي وحضرته الدول الكبرىٰ التي خرجت منتصرة من الحرب، لتتقاسم اسلاب الدول المنهزمة، بما في ذلك املاك الدولة العثمانية، ومنها البلاد العربية وهذا جعل مهمة فيصل غاية في الصعوبة، اذ انه ممثلٌ لدولة ـ دولة الحجاز ـ حديثة العهد، يكاد وزنها الدولي ان يكون معدوماً، فهي تفتقر الى جيش حديث ومدرب. كما ان ساستها كانوا يفتقرون الى التجربة السياسية، فرغم ان الامير فيصل، كما يذكر عوني عبد الهادي، كان حاد الذكاء واسع الفطنة، وسياسياً بالفطرة، الا انه لم يكن قد برع في المناورات السياسية «ولم يكن قد تعرف على كثير من الزعماء السياسيين. وكانت تجاربه في المسائل السياسية، وخاصة ما يتعلق منها بسياسة الغرب، محدودة حتىٰ ذلك الحين»[٦٢].

القىٰ فيصل في المؤتمر كلمة بلاده مطالباً بحقوق العرب، وناشد المؤتمرين بعدم اتخاذ اي قرار بشأن البلاد العربية، ما لم يؤخذ رأي اهلها «واهل البلاد لهم حق في انتخاب الحكومة التي يريدونها، وعلىٰ الحكومات ان تقبل برأيهم... وكل قرار خلاف هذا المبدأ لا نقبل به» واكد ان والده لا يريد فرض سيطرته علىٰ البلاد العربية بالقوة[٦٣]. وطالب بارسال لجنة لمعرفة نوع الحكم الذي يرغبون فيه. كما هاجم اولئك الذين تكلموا في المؤتمر باسم السوريين، مثل شكري غانم وجورج سمنة، المعروفين بارتباطاتهم المشبوهة بفرنسا[٦٤]. ثم دارت بعد ذلك مناقشات بينه وبين وفود الدول المشاركة. وطلب اليه لويد جورج ان يوضح لاعضاء المؤتمر الدور العسكري للقوات البريطانية في سورية والعراق. فقال ان

٦٢ـ خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢٤

٦٣ـ سليمان موسى، الحركة المصرية، ص٤٦٦

٦٤ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٠٢

بريطانية ارسلت اكثر من ٩٥٠ ألف جندي بكامل عدتهم وعتادهم، ثم راح يكيل عبارات المدح والثناء للجيش البريطاني، الامر الذي اثار وزير خارجية فرنسا «بيشون» الذي سأل الامير عن اعمال الجيش الفرنسي في سورية. فكان رد الامير ان تعداد ذلك الجيش لم يكن يزيد علىٰ الفي جندي وأربعة مدافع. وكان من الطبيعي ان يُغضب هذا الوزير الفرنسي، الذي وجهت اليه الصحف الفرنسية، في اليوم التالي انتقاداً، علىٰ سؤاله، اذ انه كان علىٰ علم بحقيقة دور الجيش الفرنسي في سورية، لأن فرنسا كانت قد حشدت قواتها في ميادين الحرب في اوربا[٦٥]. والواضح ان رد فيصل عكس عدم معرفته باصول المجاملات الدبلوماسية، اذ كان بامكانه الرد بشكل لا يثير مشاعر الوزير الفرنسي، مع الاشادة بدور الفرنسيين في مساندة الجيش العربي الشمالي الذي كاد يقوده هو، على سبيل المجاملة في الاقل. فرد فيصل زاد من تعنت الفرنسيين، اذ انه قلل من شأنهم ان لم يكن قد اهانهم، في الوقت الذي اشاد بدور بريطانية، معتقداً ان ذلك سيزيد من التأييد البريطاني للقضية العربية. وربما اوحىٰ له وجوده داخل المؤتمر، الذي جاء نتيجة لجهود بريطانية، بعد معارضة فرنسا، ان بريطانية قادرة علىٰ فرض كل ما تريده من فرنسا، او في الاقل التأثير عليها لمنح العرب استقلالهم. ويذكر محمد امين العمري ان فرنسا وقفت موقفاً متزمتاً من القضية العربية، بسبب انحياز فيصل الواضح الى بريطانية[٦٦].

وحين سأله الرئيس الامريكي ولسون، فيما اذا كان يرغب في انتداب دولة واحدة او اكثر، اعتذر عن الاجابة، باعتبار ان ذلك من صلاحية والده «اما انا فقد جئت الى باريس لامثل والدي في مؤتمر السلم واطالب

٦٥ـ خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢٩

٦٦ـ محمد امين العمري، المصدر السابق، ج٣، ص١٣٩

باستقلال ووحدة البلاد العربية عن تركية، كاملة غير مجزئة»[٦٧].

ولما أراد ولسون معرفة رأيه الشخصي، اجاب بانه لا يرغب في تقسيم البلاد العربية الى مقاطعات تخضع لنفوذ عدة دول «اننا معاشر العرب ذقنا طعم الاستبداد مدة طويلة... قلوبنا دامية... نريد ايها السادة ان نكون بعد اليوم احراراً وان نعيش احراراً، وان نعيش في بلادنا آمنين مطمئنين من كل مستبد غاشم، فنحن لذلك لا نرضى بتقسيم البلاد وتجزئتها، بل نريدها موحدة حرة مستقلة»[٦٨].

وقد علق لويد جورج على حديث فيصل في المؤتمر بقوله، كان من شأن عيني فيصل البراقتين ووجه الملهم التأثير في اي اجتماع كان. وقد برزت ملامحه النبيلة اكثر من خلال ملابسه الشرقية البهية. انه عرض القضية بوضوح ودقة وبشعور مليء بعزة النفس، تكلم دوماً باسلوب هادئ رصين وخرج عن طوره مرة واحدة عندما بدرت من احد الاعضاء بدون قصد ملاحظة غير لائقة جاعلاً العرب ضمن الشعوب غير المثقفة وغير المتطورة حضارياً، فرد في الحال بصوت جهوري حاد «انني انتمي الى شعب يتمتع بالحضارة عندما كانت جميع الشعوب الاخرى الممثلة في هذه القاعة مسكونة بالبرابرة». وقد حاول اولاندو ممثل ايطاليا الرد على ذلك فقاطعه فيصل بشدة قائلاً «اجل هكذا كان الامر حتى قبل تأسيس روما»[٦٩].

٦٧- خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٢٩

٦٨- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٧١

69- War memories of David **LoydeGeory** 1-71,London, 1933-1936, the Truth about the peace Treaties, by David Loyd Qeorge, 1-11, London 1938. p. 1039.
نقلاً عن الدكتور كمال مظهر احمد، الباحث عن العرش في مذكرات لويد جورج، مجلة آفاق عربية، العدد التاسع، السنة الثانية، آيار، ١٩٧٧ ص١٠٨-١٢٨. كذلك كتابة، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، وزارة الثقافة والفنون، بغداد ١٩٧٨- ص١٤١-١٩٥

ويذكر احمد قدري ان فرنسا حاولت عن طريق قدور بن غريط «وزير التشريفات في البلاط المراكشي» تقديم مساعداتها لسورية، لتبرر موقفها امام الرئيس الامريكي، لكن احمد قدري حال دون ذلك خوفاً من تكرار مأساة تونس والمغرب[٧٠].

والواضح ان وجود فيصل في المؤتمر اثار الفرنسيين اكثر من غيرهم، نظراً لاطماعهم في سورية التي كان فيصل يسعىٰ جاهداً لاستقلالها. وقد شنت الصحف الفرنسية حملة واسعة علىٰ الامير مدعية ان العائلة الهاشمية تريد فرض سيطرتها على البلاد العربية، وان اهل الحجاز وحوش لا يمكنهم حكم بلاد متمدنة. فكتب الىٰ نائبة واخيه الامير زيد ليطلب من اهالي سورية بعث برقيات يعربون فيها عن تفويض امر بلادهم الى فيصل، واعتباره ناطقاً باسمهم. أما محاولاته للتفاهم مع الفرنسيين فقد باءت بالفشل. ولما كان فيصل يعلم ان الحصول على مطالب العرب المشروعة دفعة واحدة، مسألة صعبة للغاية، فقد اوضح للحلفاء ان العرب يريدون انشاء عدة دول يجمعها اتحاد فدرالي[٧١]. ومما زاد من صعوبة موقف الامير هو تذرع فرنسا بما قاله شكري غانم، وداود عمون رئيس الوفد اللبناني، في المؤتمر من ان فيصلاً لا يمثل جميع الناطقين بالعربية، بل يمثل الحجاز فقط. وان سورية لا علاقة لها بالحجاز، وهي، سورية تسعىٰ الى مساعدة احدىٰ الدول الكبرىٰ، وان هذه الدولة هي فرنسا. يبدو ان هذا الموقف هو الذي جعل بريطانية تقترح قطع صلة الشريف حسين بسورية والعمل على ايجاد تفاهم بين فيصل وفرنسا. لكن فيصلاً

٧٠ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٠٣

٧١ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٧١

لم يعر اذناً صاغية لمثل هذا الاقتراح، لأنه لم يحضر المؤتمر ليبحث عن عرش[٧٢]. فكتب الى ابيه شاكياً من تصلب فرنسا، حتىٰ ان صحيفة «الطان» الفرنسية نشرت مقالاً طالبت فيه تقسيم البلاد العربية مع بريطانية. واشار في رسالة اخرىٰ الى اخيه زيد، الى ان الرأي العام البريطاني، والامريكي مع العرب، واكد له ضرورة ان يرسل اهل سورية برقيات التوكيل التي سبق ان طلبها، اذ ان الفرنسيين لا يزالون يرددون ان فيصل حجازي، ولا علاقة له بسورية.

عاد فيصل مرة اخرىٰ يعلق آماله على الولايات المتحدة الامريكية، ويبدي ميلاً نحوها بعد ان وضع الرئيس ولسون تعليماته بشأن لجنة التحقيق التي من المقرر ان تأخذ علىٰ عاتقها معرفة رأي الشعب السوري في نوع الحكم الذي يرغب فيه. وذكر فيصل ان ولسون ينطق باسم الشعوب الضعيفة، التي تبحث عن العدالة، وان امريكا «اكثر الدول التي لا مصلحة لها». وكان فيصل يفضل التعامل مع الولايات المتحدة «ولكنه لا يجرؤ ان يقول ذلك صراحة لأنه لم يتلق اي تشجيع منها».

وجاء تحول فيصل هذا بعد ان تبين له ان كلاً من فرنسا وبريطانيا مصممتان على العمل باتفاقية سايكس ـ بيكو[٧٣]. ويذكر احمد قدري انه سمع الرئيس الامريكي يقول للامير «لا يخامرك اي شك في ان حقوق العرب ستصان، ولن تروا في بلادكم ابداً مجالاً للاستعمار باسم المشورة او خلافها، واذا احوجتكم المشورة، فستكون بناءاً على رغبتكم وموافقتكم»[٧٤]

٧٢ـ من خلال مقال الدكتور كمال مظهر احمد، في آفاق عربية المار ذكره، أراد المؤلف ان يقول ان غاية فيصل هي الوصول الى العرش

٧٣ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١٠١

٧٤ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٠٥

حاول فيصل الاجتماع برئيس وزراء فرنسا «كليمانصو» للتوصل الى تسوية مباشرة، بعد ان سدت في وجهه المنافذ. فتم اللقاء في السادس من نيسان عام ١٩١٩. واوضح المسؤول الفرنسي للامير ان القوات الفرنسية ستحتل دمشق وحلب، بعد انسحاب القوات البريطانية منها. وكان من الطبيعي ان يرفض فيصل هذا الاقتراح[٧٥]. وكانت حجة «كليمانصو» ان هذا هو مطلب الامة الفرنسية، وليس طلبه الشخصي، ولو كان الامر متعلقاً به، لأيد رأي فيصل. واعرب له عن عدم ممانعته في رفع العلم العربي الى جانب العلم الفرنسي[٧٦].

ويذكر عوني عبد الهادي ان «كليمانصو» قال لفيصل «اريد منك ان تعلم ان الشعب الفرنسي يرتبط بعلاقات صداقة وثقافة بالشعب السوري منذ القديم، وهو لا يقبل بحال ان يكون لشعب غيره حق مساعدة سورية في شؤونها الداخلية والخارجية، وانه يطلب لذلك استبدال الجيوش الانكليزية في سورية بالجيوش الفرنسية»[٧٧]. ويبدو «كليمانصو» هنا كمن يريد ان يوهم عبداً بانه حر، بدليل انه اعطاه حرية اختيار السيد الذي يريده. وقد رد عليه فيصل بقوله ان «سورية في غير حاجة الى جيوش اجنبية لحمايتها، وانا اواكد لسعادتكم بانه اذا احتاجت سورية الى جنود اجنبية فيما بعد فانها لا تتأخر في ان تطلب منكم المعونة»[٧٨].

هكذا انتهت المفاوضات الى طريق مسدود، وترسخت القناعة عند فيصل بان الفرنسيين مصممون على احتلال سورية وحكمها بشكل مباشر.

وذكر الامير لبريموند «ان كثيراً من الفرنسيين يرون في سورية ارضاً

٧٥ـ المصدر نفسه، ص١٠٥

٧٦ـ ساطع الحصري، المصدر السابق، ص١١٣ـ١١٤

٧٧ـ خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي، ص٣١

٧٨ـ المصدر نفسه، ص٣١

فرنسية جديدة ينبغي تحويل المشاريع الاستعمارية فيها» كما ان بعض ساسة فرنسا اخبروه بانهم لا يستطيعون الموافقة على استقلال سورية، بسبب ما قد يحدثه ذلك من اثر في الجزائر وتونس[79]. فلم يكن امام فيصل بعد ذلك الا ان يتشبث بمسألة ارسال اللجنة المكفلة بمعرفة رأي الشعب السوري، اذ انه كان مقتنعاً بان بريطانيا والولايات المتحدة متعاطفتان مع القضية العربية ولايمكن ان تخذلاه. فكتب الى «كليمانصو»، مجاملاً بانه مضطر الى مغادرة باريس الى سورية. وطلب تعيين ممثلاً فرنسياً لاستئناف المفاوضات بين الطرفين. ويذكر فيصل انه اتفق شفهياً مع «كليمانصو» باقتراح من لورنس، على بذل مساعيه مع الشعب لقبول الانتداب الفرنسي على سورية، على اساس ان تعترف فرنسا باستقلال سورية. اما «كليمانصو» فقد ذكر انه اتفق مع فيصل في ١٣ نيسان، على هذه المسألة «ولكن بعد ان تحدث فيصل مع لورنس تراجع الامير عن الاتفاق»[80].

في ٢٣ نيسان عام ١٩١٩، غادر فيصل باريس عائداً الى سورية. وفي طريق عودته زار روما، واجتمع بالبابا وملك ايطاليا. وفي الثلاثين من الشهر نفسه، وصل بيروت، فاطلقت المدافع تحية له[81]. وقد اكد في الكلمة التي القاها بالمستقبلين «ان الاستقلال يؤخذ ولا يعطى، فعلينا ان ناخذه بكل ما لدينا من قوة، ومن لا يريد الاستقلال فهو عدو الله والوطن» فعلينا ان نحصل عليه دون اي شائبة[82]. ثم عقد مؤتمراً صحفياً شرح فيه

٧٩ـ محمد عبد الرحمن البرج، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤، ص٢٢٩

٨٠ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٧٧ـ٤٧٨

٨١ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٠٦

٨٢ـ المصدر نفسه، ص١٠٧، يوسف الحكيم، المصدر السابق ص٧١

خلاصة مهمته في اوربا، ودعا ابناء الشعب لأن يثبتو «للعالم انهم احفاد اولئك الاجداد الذين كانوا سدنة الحرية ودعاة العدل. والتاريخ شاهد لا يماري في صحة القول»[٨٣]. وفي اليوم التالي غادر الى دمشق. ويصف يوسف الحكيم استقبال الامير في العاصمة بانه كان «منقطع النضير، لم تـر فيه العين من المحطة حتىٰ القصر الاميري، سوىٰ الجماهير والبشر مـلء وجوههم. ولم تسمع الاذن سوىٰ الهتافات...»[٨٤]. اما احمد قدري فقد وصف الاستقبال بقوله «ونهض لاستقباله معظم السكان من شـيب وشباب ونساء واطفال، وكانت الورود والرياحين التي تلقى عليه، من الكثرة بحيث اصبحت تعرقل سير موكبه»[٨٥]. وفي الخامس من ايار القىٰ الامير خطاباً في بهـو دار الحكومة، اشار فيه الى الجهود التي بذلها لدىٰ الدول الحليفة لنيـل الاستقـلال، ثم قال «ولا اكتم عنكم ايهـا السـادة اني دهشت، لمـا قابلني به هؤلاء الاجـانب المحتـرمـون عن اعتقـادهم بالعرب. فالعرب في نظـرهم قوم متأخـرون عن ركب الحضـارة لا يفتـرقـون عن بـدو الصحراء، ويظنون وبعض الظن اثم، ان القسم المتحضر في المدن والقصبات الحائز علىٰ قسطاً وافراً من العلم ليس عربياً. الى غير ذلك من الاقوال التي دلت على جهلهم كل الجهـل، بحقيقة العـرب ونهضتهم، بمـا يتفق ومجـدهـم الغابر. وبديهي اني قمت بالواجب المترتب عى ذمتي بمتضىٰ نيابتي عن جلالة والدي وعنكم ايها السادة. فافهمتهم خطـأ المعلومات التي بنوا عليها تفكيـرهم، موضحـاً كفـاءة العـرب في معظم الاقطـار، للاستقلال والحكم الذاتي، طالباً ان يعاد الى الحجاز ما فصل عنه بغير حق ومؤكداً انّ كلاً من سـورية والعراق لن يرضىٰ عن الاستقلال بديلاً. وان سـورية العريقـة في

٨٣ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٠٨

٨٤ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص٧١

٨٥ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٠٩

الحضارة مستقلة بحدودها الطبيعية، دون ان يكون لها مع العراق وسائر الاقطار العربية اي اشتراك سوى العلاقات الاقتصادية، باعتبارها جميعها امة عربية واحدة. وحينئذ بدا لي ارتياح الحلفاء لدفاعي. اما البث فيه فيعود الى جمعية الامم ثانياً واليكم اولاً، لأن الجمعية ستوفد لجنة الى البلدان العربية وغيرها للتوثق من درجة رقيها ورغائبها في الحكم الذاتي ونوعه»[٨٦].

لقد أراد الامير بخطابه ان يصور للشعب، ان كل شيء يسير على ما يرام، متجاهلاً الموقف الفرنسي المتعنت، والظاهر ان فيصل كان مطمئناً الى ان اللجنة سيكون لها القول الفصل في المسألة وبعد ان دارت مناقشات بينه وبين البطريرك غريغورس الارثوذكسي وبعض رؤوساء الطوائف الدينية، واصل فيصل خطابه مؤكداً ان مطالب الاقليات الدينية سيكون لها المقام الاول والمرجح على غيره، لازالة الشقاق الذي اوجده الاتراك بين العناصر العربية. وان البلاد ستقسم الى مناطق، المقتضيات جغرافية وسياسية. واقسم بشرف آبائه واجداده على ان ينظر الى السوريين، على اختلاف اديانهم نظرة واحدة، ويختار للصالح العام اعلمهم واكفأهم، دون التفات الى الطبقات التي تفرق بينهم[٨٧] وبذلك اراد فيصل بناء وحدة وطنية متماسكة، تمكنه من ادارة شؤون البلاد، والاعتماد على الشعب اذا ما اقتضت الضرورة مواجهة الفرنسيين. وقد اشار الدكتور احمد قدري الى خطاب الامير هذا، لكنه ذكره بتفاصيل اكثر. وذكر ان الامير قال في معرض الخطاب انه «لا يمكنه ان يصرح بكل شيء لبعض الموانع السياسية التي تجبرني على السكوت عنها امامكم»[٨٨].

٨٦ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص٧٢ـ٧٣

٨٧ـ المصدر نفسه، ص٧٣ـ ٧٤

٨٨ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١١٠

وفي التاسع من ايار[٨٩] سافر الامير الى حلب «عاصمة الشمال» كما كان يسميها، حيث القى خطاباً اكد فيه «نحن جسم واحد لا يفرق بيننا اختلاف المذاهب، نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد، تجمعنا الحياة ولا يفرقنا سوى الموت. ولا بد ان الحكومة الجديدة التي ستؤسس بمساعدة من اخذ يناصرنا من الامم المتحدة ستعمل بجميع الوسائل على تأييد حقوق الاقلية بموجب عهود مكتوبة، وانا واثق بان الاقلية نفسها ستمزق تلك العهود، لانها سترى الاكثرية عاملة بمقتضاها، بل باكثر منها. . . لنحترم انفسنا ولننظر الى الاديان نظرة واحدة، والا استخف بنا الاجنبي». وفي ختام خطابه حث المواطنين على الاقتداء بأهالي دمشق في الانخراط بسلك الجندية والدرك «لتتم صيانة الامن في الوطن على ايدي ابنائه»[٩٠].

ويذكر يوسف الحكيم ان آراء السوريين اختلفت حول تقييم خطابي الامير، فالفريق الجامد التفكير، البعيد عن الثقافة العصرية والخبرة السياسية ـ على حد تعبيره ـ رأى في تحول الامير عن الوحدة العربية الى الوحدة السورية، خروجاً عن العهد العربي، وهذه مسألة لا مبرر لها، وكذلك تقسيم البلاد واعطاء الاقليات المقام الاول.

بينما رأى المفكرون الاحرار على اختلاف اديانهم، ان خطابي الامير افصحا عن حكمته واعتداله، وهي مسألة اقتضتها الظروف الدولية، والرغبة في اظهار سورية بمظهر الكفء للحكم الذاتي والاستقلال.

واستنتج بعضهم ان الغاية من تصريح الامير باعطاء المناطق الثلاث شبه استقلال اداري داخلي كانت لتطمين سكان المنطقة الغربية واللبنانيين منهم خاصة، على مصيرهم، وبذلك يمكن كسبهم الى جانب

٨٩ـ يذكر يوسف الحكيم، ان سفر الملك كان في التاسع من حزيران، والاصح في آيار

٩٠ـ يوسف الحكيم ، المصدر السابق، ص٧٤

وحدة سورية الكبرىٰ، وعدم دفعهم الىٰ الانفصال[٩١].

استعداداً لأية مواجهة قد تقع، وفي محاولة من الامير لافهام الفرنسيين انه عاقد العزم علىٰ نيل الاستقلال، بدأ فيصل يشجع علىٰ التطوع والتجنيد الاجباري، فحث الشعب علىٰ ذلك في خطابه الذي القاه في مدينة حلب، واوعز الى الصحف للقيام بحملة اعلامية بهذا الخصوص. وقد جاء في تقرير كتبه ضابط الاتصال البريطاني في دمشق في السادس عشر من ايار «ان فيصلاً قد طلب الموافقة من القائد العام على تجهيز جيش قوامه ١٤,٠٠٠ جندي يتمكن به من محاربة الفرنسيين عند الضرورة... فالشعور ضد فرنسا قوي بين الناس».واوضح التقرير ان فيصلاً يعارض فكرة «كليمانصو» ببذل الجهود للموافقة على الانتداب الفرنسي مقابل اعتراف فرنسا باستقلال سورية[٩٢]. وجاء في تقرير كتبه ضابط الاتصال البريطاني في حلب، في ٢٣ حزيران عام ١٩١٩، ان فيصلاً لم يقم بثورته هو والعرب كي يرىٰ بلاده تسلم الى فرنسا. وهو مصمم على قيادة بلاده بقوة السلاح اذا أرادت فرنسا فرض الحماية بالقوة. لكن فيصلاً بقي حريصاً على الاحتفاظ بصلافة ودية مع فرنسا، فهو لا يريد ان يقطع شعرة معاوية.

وفي المحادثات التي دارت بين الجانبين في العشرين من ايار، كان الامير مصراً على الغاء اتفاقية سايكس ـ بيكو، وانشاء ادارة وطنية في الساحل، ترتبط بالبلاد بوحدة او اتحاد. وكان فيصل يرىٰ ضرورة ان تدخل الموصل وفلسطين ضمن الدولة السورية، التي يجب ان يكون استقلالها تاماً. واعرب عن استعداده لقبول المساعدات الفرنسية على ان تقتصر على

٩١ـ المصدر نفسه، ص٧٤ـ٧٥

٩٢ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١٠٤

الاختصاصيين والمستشارين[٩٣]. والواضح ان فيصل كان يتكلم من منطلق القوة والاقتدار، اذ كان لا يزال عاقداً الامل على مساندة الولايات المتحدة وبريطانيا، فضلاً عن تأييد الشعب السوري له. وقد حذره كلايتون من مغبة الاصرار على موقفه الذي قد ينقلب عليه، ويهدد علاقات العرب ببريطانية، وكذلك علاقات بريطانية بفرنسا[٩٤]. وقد سبق ان حذره اللنبي في ١٢ آيار من الاقدام على اعلان استقلال سورية التام «ووضع الدول الكبرى امام الامر الواقع»، فاضطر الى التراجع عن فكرته[٩٥].

قرر فيصل الانتظار لحين مجيء اللجنة الدولية، واكد في برقية بعث بها الى الرئيس ولسون ان «كل فرد في سورية ينتظر بتلهف قدوم اللجنة» واعرب في برقية بعث بها الى اللنبي في نهاية آيار، عن قلقه لتأخر وصول اللجنة، الامر الذي جعل الجو السياسي في بيروت مضطرباً. وانتشرت في المدينة اشاعات مفادها ان الجيش الفرنسي سيدخل سورية بقيادة الجنرال غورو. واكد فيصل عدم مسؤوليته عما سيجري، اذا مازاد عدد القوات الفرنسية جندياً واحداً. وذكر له «اننا لا نستطيع ان نقبل تقسيم بلادنا كالمواشي. ولا نستطيع قبول اي قرار، الا القرار الذي ينص على حرية الشعوب»[٩٦]. وحذر اللنبي حكومته من العواقب المترتبة على غضب فيصل، اذ اوضح ان بامكانه اثارة القبائل العربية في شرق الاردن، وتهديد قواته - اللنبي - في فلسطين وسيناء. ولم يستعبد حدوث اضطرابات في مصر والسودان. واعرب عن عدم امكانيته، في هذه الحالة، من السيطرة على الموقف، اذ ان عدد القوات التي تعمل بامرته ليست كافية. وفي

٩٣- المصدر نفسه، ص١٠٥، احمد قدري، المصدر السابق، ص١١٨

٩٤- خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١٠٥

٩٥- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٨٢

٩٦- المصدر نفسه، ص٤٨٨

الوقت نفسه حذر فيصل، مؤكداً «ان اي اجراء متسرع قد يؤدي بك الى الاشتباك مع قواتي،سوف يضع نهاية سريعة لجميع مطامحك الوطنية»[٩٧].

فحاول فيصل كسب ود بريطانيا، فاعرب عن رغبته بقبول انتدابها على سورية. وربما تصور ان ذلك قد يؤدي الى اصطدام الحليفتين «فرنسا وبريطانيا» مع بعضهما. لكنه لم يتلق رد الحكومة البريطانية. وتساءل عن السبب الذي جعلها تتخلى عنه بعد أربع سنوات، كلفت بلاده الكثير من الدماء. وكان من رأيه ان البديل لرفض بريطانية قبول الانتداب على سورية، هو منح البلاد الاستقلال التام، لأن الانتداب الفرنسي معناه موت قومي. ثم اوضح له المسؤولون البريطانيون بعد ذلك ان بلادهم لا يمكنها قبول الانتداب على سورية، ولكن هذا لا يعني انها تخلت عنه وعن القضية العربية[٩٨].

اصبح موقف الامير فيصل غاية في الاحراج، اذ ان مصيره ومصير بلاده كانا متعلقين بيد القدر. وبدأ يشعر من جديد بمرارة الموقف البريطاني، بعد التضحيات الجسام التي قدمها العرب خلال الحرب، وبالذات ان تلك التضحيات خدمت بريطانية اكثر من غيرها من دول الحلفاء، اذ وفرت لقواتها جهوداً عسكرية كبيرة. ومما زاد من حراجة موقف فيصل، ان جورج بيكو اخبره ان لجنة التحقيق ليست رسمية. فابرق الى الرئيس الامريكي مستفسراً عن مدى صلاحيات اللجنة، وحول ما اصبح شائعاً من ان مستقبل البلاد قد قرره الحلفاء سلفاً. ومن المؤسف ان المتوفر من المصادر لا يعلمنا عما اذا كان الرئيس ولسون قد رد على تلك البرقية ام لا[٩٩].

٩٧ـ المصدر نفسه، ص٤٨٨

٩٨ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١٠٧

٩٩ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٤٩٠ـ٤٩١.

في العاشر من حزيران عام ١٩١٩، وصلت لجنة «كنك كرين» تحت اسم الهيئة الامريكية من اللجنة الدولية حول الانتداب في تركيا. وقد امضت اللجنة ٤٢ يوماً في المنطقة زارت خلالها ستاً وثلاثين مدينة من مدن بلاد الشام، كان في مقدمتها كبريات المدن. واستمعت الى وفود من ١٥٢٠ قرية. وتحدث الامير فيصل امام اللجنة لمدة ساعة ونصف، واوضح لاعضائها مخاوف السوريين من الاستعمار والتجزئة، وان الشعب يطمح الى الاستقلال والحرية، وهو يرفض الانتداب لكنه على استعداد لتقبل المساعدات الامريكية والبريطانية، على ان لا يتعارض ذلك مع الاستقلال[١٠٠]. واكد فيصل ان العرب لا يمكن ان يقبلوا بفصل فلسطين عن سورية لانها قطر واحد، ويقطنهما شعب واحد، وان الصهيونية كانت تدعي ان غايتها هي هجرة عدد قليل من اليهود الى فلسطين. ولكن مطامحها بدت الآن واسعة، حتى انها بعثت الخوف في قلوب الناس[١٠١].

بعد ان انهت اللجنة اعمالها اعدت تقريراً مفصلاً ضمنته توصيات وآراء حول الوضع في سورية، لتقديمه الى مؤتمر الصلح. وخلاصة هذا التقرير ان الشعب في بلاد الشام لا يريد تجزئة البلاد، ويرفض السيطرة الاجنبية، وهو مجمع على ان يكون الامير فيصل حاكماً للبلاد[١٠٢]. وفي الثامن والعشرين من آب سلمت اللجنة تقريرها الى سكرتارية الوفد الامريكي في باريس، ثم سلم في منتصف ايلول الى الرئيس الامريكي. وقد اصيب الاخير بمرض خطير، فلم يحظ التقرير باهتمام احد. وهكذا اخذ امل فيصل الكبير طريقه الى احدى الزوايا المنتسبة في دهاليز السياسة الغربية. ولم تنشر توصيات اللجنة الا في كانون الاول عام ١٩٢٤، بعد ان

١٠٠- خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١١٤-١١٦

١٠١- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٩٢

١٠٢- انظر نص التقرير في جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٦٠٠-٦٢١

اصبحت وثيقة تاريخية لا قيمة لها من الناحية العملية.

بذل فيصل مساعيه للسفر الى اوربا، وحرص على ان يكون وصوله الى باريس في نهاية تموز، لمتابعة تنفيذ التوصيات. لكن محاولته اصطدمت بمعارضة فرنسا وبريطانيا، اذ ادعتا ان مؤتمر الصلح لن يبحث القضية العربية في وقت قريب. واقترح عليه بلفور تاجيل السفر حتى نهاية ايلول، فهدد باعلان التعبئة العامة اذا ما فكر الحلفاء باتخاذ قرارات من شأنها الاساءة الى القضية العربية[١٠٣].

اصبح فيصل في غاية الحرج بعد ان بدأت آماله المتجددة تخيب مرة اخرى، وبالذات بعد ان اشيع ان فرنسا وبريطانية تناقشان قضية سورية بعيداً عن توصيات اللجنة. ورغم اهتمام فيصل بقضية سورية في هذه الفترة، فانه لم ينس قضية العراق. فكتب الى كلايتون يقترح انشاء حكومة وطنية حرة في العراق، استناداً الى ما جاء في تصريح ٧ تشرين الثاني عام ١٩١٨[١٠٤]. وفي هذه الفترة شكا حاكم العراق السياسي من نشاط الحركة الوطنية، وطلب من حكومته الضغط على فيصل، ومنعه من التدخل في شؤون العراق، وان يقتصر نشاطه على سورية، الامر الذي اثار غضب اللورد كرزون، فبعث برقية الى كلايتون قال فيها «ان انتشار دعاية فيصل في العراق من اجل الاستقلال التام للبلاد والعرب، يسبب قلقاً في لندن وبغداد»[١٠٥].

بناءاً على توصيات من الحكومة البريطانية اجتمع الجنرال «بولز» رئيس اركان جيش اللنبي بالامير فيصل في ٣١ آب عام ١٩١٩. وقد اسهب

١٠٣ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٩٤

١٠٤ـ اكدت كل من بريطانيا وفرنسا في هذا التصريح عزمهما على منح العرب استقلالهم

١٠٥ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٤٩٧

الامير بالحديث عن الدور الذي قام به العرب اثناء الحرب العالمية الاولى. واشار الى ان المسلمين ينتظرون الآن المكافأة التي سيحصل عليها اولئك الذين قاموا بالثورة. وعاد الامير يؤكد للقائد البريطاني، ان العرب لم يحاربوا الاتراك من اجل ان تتجزأ بلادهم، وتوزع بين بريطانية وفرنسا. وان العرب سيدفعون عنهم مثل هذه الاهانة، ولن يترددوا عن القتال، وانه ـ فيصل ـ سيكون معهم. واوضح له بان كلامه هذا ليس تهديداً بقدر ما هو تحذير وتذكير، لأن بريطانية اذا لم تفي بوعودها التي قطعتها لوالده «فلن يوجد في المستقبل انسان واحد، على الاطلاق تعمر نفسه الثقة باي شيء بريطاني». كما بعث برسالة مسهبة الى لويد جورج ناشده فيها «باسم شرف بريطانية والعدالة الانسانية ان لا تكون مكافأة العرب على اخلاصهم وجهادهم في سبيل قضية الحلفاء في ساعات الشك وايام الخوف، تقسيم بلادهم...». واكد لرئيس الوزراء البريطاني، ان العرب يفضلون الفناء في سبيل وحدتهم. وعاد يطلق التحذيرات لبريطانية، التي قد تهدد مصالحها. واعرب له عن رغبته، بل اصراره على زيادة لندن «قبل ان تدهمنا الكوارث هنا وهناك».

وفي التاسع من ايلول اجتمع مع بعض المسؤولين الفرنسيين والبريطانيين. واكد له احد المسؤولين البريطانيين، ان بلاده لايمكنها ان تقبل الانتداب على سورية، وانها مع فكرة انشاء وطن قومي لليهود[١٠٦]. واوضح فيصل من جانبه، انه يرفض الانتداب الفرنسي على سورية، وان بلاده ستدافع عن وحدتها واستقلالها بكل ما لديها من قوة.

واخيراً تلقى فيصل دعوة من الحكومة البريطانية لزيارة باريس، وحين وصل مرسيليا في السابع عشر من ايلول، اخبرته السلطات الفرنسية، ان

١٠٦ـ المصدر نفسه، ص٥٠٤

عليه ان يتوجه الى لندن مباشرة، دون الحاجة الى المرور في باريس.

وفي مرسيليا اطلع على بعض الصحف الفرنسية، التي كتبت تفاصيل ما حدث في باريس بعد سفره، وما اتخذ من قرارات مجحفة بحق القضية العربية. كما لمس المعاملة الباردة التي عومل بها اثناء سفره من مرسيليا الى ميناء كاليه، المقابل لدوفر، فعاوده الشعور بالمرارة وخيبة الامل.

في الوقت الذي غادر فيه فيصل فرنسا، كتب لويد جورج الى كليمانصو حول فكرة استبدال القوات البريطانية في سوريا باخرى فرنسية. وقد تم الاتفاق بين الاثنين في ١٣ ايلول، على ذلك، كما اتفقا على بقاء القوات البريطانية في فلسطين والعراق[١٠٧]. وادعت بريطانية انها بذلك تكون قد اوفت بوعودها للعرب، اذ ان القوات العربية ستبقى في المناطق الداخلية لسورية[١٠٨]. وهذا تبرير اقرب الى السخرية منه الى عدم الوفاء. وقد اعترض الفرنسيون على بقاء سورية الداخلية تحت سيطرة القوات العربية، اذ ذكر كليمانصو «اننا نعتبر وعود بريطانية بالمحافظة على استقلال فيصل في المنطقة الداخية، تدخلاً يتعارض بشدة مع شرط انتدابنا على سورية»[١٠٩].

اثر وصول فيصل لندن، عقد عدة اجتماعات مع المسؤولين البريطانيين مؤكداً ضرورة تنفيذ الوعود التي قطعت لابيه. كما اعترض على ما جاء في اتفاق لويد جورج مع «كليمانصو» في الثامن عشر من ايلول، باعتباره تطبيقاً عملياً لاتفاقية سايكس ـ بيكو. واكد فيصل لرئيس الوزراء البريطاني «اذ كان الفرنسيون يستطيعون تحمل المسؤولية فيما يختص بفلسطين والعراق والبلاد العربية، حتى البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط، فان

١٠٧ـ المصدر نفسه، ص٥٠٧

١٠٨ـ المصدر نفسه، ص٥٠٨

١٠٩ـ المصدر نفسه، ص٥١٠؛ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٣٧

العـرب سيـوافقـون علىٰ ذلـك لانهم لا يحملون للفرنسيين كراهية خاصة. ولكن يجب ان تكون هناك دولة واحدة فقط. . . انه في العصور المتوسطة، كان العبد المملوك يتمتع بالحق في ان يطلب بيعه الى سيد آخر، وهو يأمل انه في القرن العشرين ما يزال ذلك الحق نافذ المفعول». ويبدو ان فيصل اضطر الى ان يضرب هذا المثال القاسي في لحظة من لحظات الالم والضيق والمرارة.

وبعد يومين قدم فيصل مذكرة الى لويد جورج، فند فيها ما جاء باتفاقه مع «كليمـانـعـو». واشار فيهـا الى عدم شرعيـة الاتفـاق، وطالب بانسحاب القوات الفرنسية والبريطانية من سوريـة كلها، او الغاء الاتفاق حتىٰ يقرر مؤتمر الصلح مصير البلاد العربية. ثم بعث بمذكرة اخرىٰ في ٢٣ ايلول، اوضح فيها انه سبق له ان اتفق مع اللنبـي قبل على انسحاب القوات العربية من الساحل السوري، بعد ان وعده ببقاء البلاد العربية تحت امرته ـ اللنبـي ـ الى ان تتم التسـويـة النهـائيـة. وهـو الآن يطلب بعـودة القـوات العربية الى مواقعها التي سبق ان سيطرت عليها، او بقاء الوضع الراهن على ما هو عليه حتىٰ تتم التسوية[١١٠]. والواقع ان فيصل اراد باقتراحه هذا عدم دخـول القـوات الفـرنسيـة، المنطقـة السـاحليـة. واكد لرئيس الوزراء البريطاني في اجتماع عقد في اليوم ذاته ـ ٢٣ ايلول ـ ان تطبيق اتفاقية سايكس ـ بيكو،يعني اصدار،حكم الاعدام بحق العرب. ورجاه ان لا يكون النطق بهذا الحكم من فم اصدقائه. وفي هذا الاجتماع حاول لويد جورج انكار المضمون الحقيقي لمراسلات حسين ـ مكماهـون ، واكد لفيصل ان فرنسـا خسـرت ١,٤٠٠,٠٠٠ قتيـلاً، وان بريطـانيـة خسرت قرابة المليون قتيل، وان هذه التضحيات مكنت العرب من الحصول علىٰ

١١٠ـ انظر نص المذكرة في، حافظ وهبة، المصدر السابق، ص٣٥٤

استقلالهم[111].

والظاهر ان لويد جورج أراد بهذا الحديث التقليل من شأن التضحيات العربية، والدور الذي لعبه العرب في الحرب. وأراد ان يصور ان بريطانية اذا ما ارادت ان تمنح العرب نوعاً من الاستقلال، فان هذا ليس اكثر من هبة تقدمها لهم. وقد علق احد الضباط البريطانيين على اجتماع فيصل ولويد جورج بقوله ان فيصل عرض بهلوانياته اللفظية، وكان يتكلم كثيراً.

وفي مناسبتين طرح اسئلة من نوع محرج اضطر رئيس الوزراء معها ان يستأذن وينسحب الى غرفة اخرىٰ كي يبحث الموضوع مع زملائه. «لقد كانت دلائل اللوذعية السياسية بيّنة واضحة عند هذا الرجل الذي كان بدوياً «غشيماً» ذا تربية صحراوية، ولم يعتد على اساليب الامم المتمدنة»[112].

ان اهم ما في هذا التعليق هو ان صاحبه اعترف بان فيصل «الغشيم» احرج رئيس وزراء اكبر دولة في العالم انذاك، عُرف سياسيوها بدهائهم.

لقد كانت مفاجأة كبيرة لفيصل، تلك اللحظة التي حاول فيها لويد جورج انكار الاتفاق الذي تم بين بلاده ووالده. وقد كتب فيصل الى ابيه بهذا الخصوص. ويبدو ان الملك حسين حريصاً على الاحتفاظ بالنسخ الاصلية لرسائل مكماهون، الامر الذي دفعه الى عدم اعطائها لفيصل. وقد طلب فيصل من ابيه تمتين علاقته مع شيوخ القبائل العربية، لترسيخ الجبهة الداخلية. وكتب الى اخيه الامير زيد في السابع والعشرين من ايلول رسالة جاء فيها «القول الاخير هو للقوة. . . الله الله القوة القوة، كلما كنا اقوياء هناك وكلما رأوا فينا اثر حياة عسكرية كلما احترمونا، وخضعوا

١١١ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥١٢

١١٢ـ المصدر نفسه، ص٥١٢

لمطاليبنا، وان لم نكن كذلك فلا اهمية لقول اي كان»[113].

والواضح ان فيصل كان يتوقع ان الموقف قد يصل الى حد الانفجار بين العرب والحلفاء. وقد حاولت بريطانية بشتى الوسائل اقناعه بموقفها. وطلب اللورد كرزون الى لورنس، ان يعمل على اقناع الامير. لكن لورنس لم يحاول ذلك، بعد ان وجد ان كرزون متصلب في موقفه[114].

في التاسع من تشرين الاول عام ١٩١٩، بعث فيصل بمذكرة الى لويد جورج، ولم يكن الاخير قد رد على المذكرة التي كتبها الامير في ٢١ ايلول. وقد اقترح فيصل بالمذكرة الجديدة، الغاء اتفاقية لويد جورج - كليمانصو، وعرض القضية على مؤتمر الصلح، او تاليف لجنة تضم ممثلين عن بريطانية وفرنسا والعرب، يرأسها مندوب امريكي، على ان تقدم اللجنة تقريراً الى المؤتمر[115]. لكن لويد جورج رفض الاقتراح. وفي اليوم نفسه - ٩ تشرين الاول - كتب اللورد كرزون مذكرة جوابية مسهبة الى فيصل، اكد فيها ان وعود بريطانية للعرب، لا تتعارض مع اتفاقية سايكس - بيكو. وان حكومته تعترف بما قدمه العرب من مساعدات في الحرب. والح على فيصل بقبول الترتيبات التي تمت في باريس[116].

وفي مذكرته الجوابية، فنّد فيصل ادعاءآت كرزون، اذ اوضح له ان حكومته سبق لها وان صرحت في ١٦ نيسان عام ١٩١٨، عدم وجود اية اتفاقية بينها وبين فرنسا. وناشده «باسم الانسانية، وباسم السلم العام وباسم الامة العربية وباسم المصالح الكثيرة التي لبريطانية العظمى وفرنسا في العالم الشرقي» ان يعمل على الغاء اتفاق باريس. وان تنسحب القوات الفرنسية من الساحل، في الوقت الذي تنسحب فيه القوات البريطانية من

١١٣- المصدر نفسه، ص٥١٣

١١٤- المصدر نفسه، ص٥١٤

١١٥- انظر نص المذكرة في ، حافظ وهبة، المصدر السابق، ص٣٥٥-٣٥٦

١١٦- انظر نص المذكرة في حافظ وهبة، المصدر نفسه، ص٣٥٧-٣٦٤

الداخل[117].

بعد ان استنفذ الامير كل ما في جعبته من حجج وحقائق تؤكد عدالة موقفه، اعرب عن استعداده للاجتماع مع ممثلين من بريطانية وفرنسا وامريكا، لبحث موضوع الانسحاب. فطلبت الحكومة البريطانية من فرنسا ارسال الجنرال غورو الى لندن، لبحث موضوع الانسحاب، مع فيصل واللنبي. لكن «كليمانصو» رفض ذلك، واكد ان موقف فرنسا من سورية لا يختلف عن موقف بريطانية من العراق. وعلى فيصل ان يتفاوض مع فرنسا مباشرة. وان بلاده سترحب بذلك. واتهم«كليمانصو»بريطانية باعطاء اسلحة كثيرة للعرب، سيكون بامكانهم استخدامها ضد فرنسا. فاصر كرزون باعادة المذكرة الفرنسية لانها تضمنت مزاعم لا اساس لها من الصحة. كما اثارت المذكرة رئيس الوزراء البريطاني، باعتبارها كتبت بلهجة «تكاد تكون مهينة» وعبر عن اسفه للرد الفرنسي[118].

رغم عدم ارتياح بريطانية للرد الفرنسي، فقد وجدت فيه مخرجاً للتخلص من الحاح فيصل. فتمكن لويد جورج وكرزون من اقناعه بالاجتماع بكليمانصو، في باريس. وحين سأل فيصل عن موقف الحكومة البريطانية، فيما اذا اخفقت مفاوضاته مع فرنسا، اعتذر كرزون عن الاجابة[119]. وهذا يعني ان الوزير البريطاني كان موقناً من ان التفاهم بين فيصل وفرنسا صعب للغاية، فلم يتسرع باعطاء موقف، سيجد صعوبة بالغة بالتراجع عنه في المستقبل.

كانت كل المنافذ قد سدت بوجه فيصل مرةً اخرى، فلم يجد بداً من

١١٧ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥١٥ـ٥١٦

١١٨ـ المصدر نفسه، ص٥١٦

١١٩ـ المصدر نفسه، ص٥١٧

الذهاب الى باريس. وقبل سفره كتب الى نائبه الامير زيد رسالة، اوضح له فيها ان البريطانيين والفرنسيين ابدوا احتراماً للاتراك، بعد ان اثبتوا بقيادة اتاتورك، بان لديهم شيء من القوة. «فالمسألة مسألة قوة لاحق... الاستقلال يؤخذ ولا يعطى... اتمنى ان الامة تؤيد قولي فعلاً وتري للعالم بانها ليست اقل حمية ومحبة لوطنها من الترك»[١٢٠].

قبل ان يصل فيصل باريس بيومين كتب لويد جورج مذكرة الى «كليمانصو» حثه فيها على ضرورة التفاهم مع فيصل الذي «يمثل شعباً ذا كبرياء وتاريخ عريق» كما انه عضوٌ في مؤتمر الصلح، ومن الضروري ان يستقبل بحفاوة، باعتباره حليفاً لبريطانية. ولم ينس ان يذكره بالدور الذي قام به العرب في معارك الحجاز وبلاد الشام اثناء الحرب[١٢١]. وحذر لويد جورج زميله الفرنسي من الاستمرار على سياسة التعنت مع فيصل، لأن ذلك قد يخلق منه شخصاً مثل عبد القادر الجزائري[١٢٢]. والواضح ان لويد جورج أراد بهذه المذكرة مناشدة الفرنسيين، انهاء الخلاف مع فيصل. وبذلك ستثبت بريطانية بانها تمكنت من التوفيق بين معاهدة سايكس - بيكو، ووعودها للعرب.

وكانت هذه مسألة غاية في الصعوبة. ويذكر الاستاذ سليمان موسى ان غاية لويد جورج من هذه المذكرة، كانت القاء فيصل في احضان فرنسا، اكثر مما كانت تهدف الى الدفاع عن القضية العربية، بدليل ان اللورد كرزون لم يكن يحبذ عودة فيصل الى لندن، فيما لو اخفقت مهمته في

١٢٠ـ المصدر نفسه، ص٥١٧. اعتمد سليمان موسى على مراسلات فيصل مع زيد، على اوراق زيد غير المنشورة

١٢١ـ المصدر نفسه، ص٥١٨

122- Loyd Geory , op.cit.,p.289

باريس[١٢٣]. وبذلك تحولت بريطانية حليفة العرب، الى متفرج، في الوقت الذي اصبحت فيه فرنسا طرفاً اساسياً في القضية[١٢٤].

اتفاقية فيصل كليمانصو :

في العشرين من تشرين الاول عام ١٩١٩ وصل فيصل باريس، مهيض الجناح، بعد ان تخلت عنه حليفته. ولم يكن الجو السياسي العام في فرنسا لصالحه، اذ ان البلاد كانت مشغولة بانتخابات الرئاسة. وحملات الصحف على العرب وبريطانية في غاية الشدة[١٢٥]. بعد وصوله بيومين اكد فيصل لكليمانصو، انه يسعى الى التوفيق بين مصالح العرب والحلفاء، كما يسعى لصداقة فرنسا. لكنه يرفض الاقتراح البريطاني الذي يقضي بتقسيم البلاد، الامر الذي يدفع ابناء الشعب الى الثورة، والتضحية بارواحهم «للدفاع عن وحدتهم التي لا بد لهم منها». وناشد رئيس الوزراء الفرنسي بالموافقة على فكرة تاليف لجنة مشتركة تنظر في قضية الجلاء عن سورية كلها. وكرر طلبه هذا في مذكرة اخرى قدمها في الخامس والعشرين من الشهر. وكان يعرف جيداً مدى تصلب الفرنسيين، فحاول الاستنجاد بالولايات المتحدة، اذ بقي معتقداً ان الرئيس ولسون لن يتخلى عن القضية العربية[١٢٦]. فاوفد عوني عبد الهادي للاتصال بالمستر بولك رئيس الوفد الامريكي، لمساندة القضية العربية. فكتب بولك الى حكومته التي

١٢٣ـ هذا لايتفق مع ماذكره الدكتور كمال مظهر احمد، من ان الساسة البريطانيين كانوا يسعون لتغذية روح معاداة فرنسا في نفس فيصل. انظر مقالة في مجلة آفاق عربية المار ذكره.

١٢٤ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥١٩

١٢٥ـ المصدر نفسه، ص٥١٩

126- Elie Ked oure, **England** and the middle east, 1st ed. London, 1956,p. 147

لم تقدم حتىٰ مساندة معنوية. وهكذا بقي فيصل لوحده في مواجهة فرنسا[١٢٧].

في هذه الفترة كتب فيصل الى ابيه رسالة تطفح بالالم والمرارة، اوضح فيها ان بريطانيا «استخدمتنا لمصالحها وتركتنا» واعرب عن عدم جدوىٰ الاعتماد عليها بعد ان تركت سورية للفرنسيين[١٢٨]، مقابل اطلاق يدها في الموصل. واكد لابيه ان ميزان القوىٰ بين العرب والفرنسيين غير مشجع علىٰ خوض الحرب، فضلاً عن موقف بريطانيا التي ستسعىٰ للحفاظ على المغانم التي حصلت عليها، دون ان تنظر الى حقوق العرب. لكنه اشار الى ضرورة عدم اثارة البريطانيين، الامر الذي قد يدفعه الى القاء نفسه في احضان الفرنسيين.

واوضح له ان يعمل للحصول على ما يلي :-

١ - اعتراف فرنسا باستقلال سورية.

٢ - السعي لدىٰ بريطانية بتنفيذ وعودها، بما في ذلك قيام حكومة عربية في العراق وفلسطين، على ان ترتبط فلسطين مع سورية.

٣ - اعتراف كل من فرنسا وبريطانية بحكومة او حكومات عربية تحت رئاسة زعيم عربي واحد.

وكان فيصل يرىٰ ان هذا، هو افضل ما يمكن ان يحصل عليه العرب في تلك الظروف، بعد ان تخلىٰ كل من البريطانيين والامريكان عنهم، الامر «الذي اضر بالقضية العربية، وكان السبب في وقوعنا في هذا المأزق الحرج»[١٢٩].

١٢٧- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٢٠

١٢٨- المصدر نفسه، ص٥٢٠، احمد قدري، المصدر السابق، ص١٣٩

١٢٩- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٢١

كان جواب الحكومة الفرنسية على مذكرة فيصل، ان القوات الفرنسية ستعرف كيف تفرض النظام في المناطق التي ستحتلها بعد انسحاب البريطانيين. وان فرنسا ليس لديها مانع في معاضدة فيصل ضد العناصر المعارضة له.

والظاهر ان الفرنسيين، كانوا يعرفون ان الامير واقع تحت ضغط المعارضة التي لن تسمح بغير الحقوق الكاملة، فأرادت ان تشجعه على اتخاذ قرارات قد يكون من شأنها الاضرار بالمصلحة الوطنية. اما فكرة اللجنة التي اقترحها فيصل، فانها قوبلت بالرفض. وحذرت الحكومة الفرنسية من اثارة القلاقل، اذ ان ذلك سيضر بالقضية العربية. وقد تشبث فيصل في رده، بما سبق ان اقترحه. واكد لكليمانصو ان الشعب السوري لا يسعى الى الفوضى، لكنه «لن يتردد البوم في الدفاع عن حريته واستقلاله...» وفي ختام مذكرته طلب من رئيس الوزراء الفرنسي اعادة النظر في موقفه. وحين وجد الفرنسيين مصريين على وجهة نظرهم، كتب مذكرة الى المجلس الاعلى للحلفاء، في السادس من تشرين الثاني، اكد فيها ما سبق ان عرضه في مفاوضاته السابقة. وجاء في المذكرة ان العرب ثاروا ضد التعصب، وان حركتهم قامت على اساس وطني، وليس على اساس ديني، بدليل ان هناك عدداً غير قليل من الذين انضموا تحت لواء الحركة العربية، من غير المسلمين. وفي اليوم ذاته كتب مذكرة الى رئيس وزراء بريطانيا، شكى فيها من رفض الفرنسيين مقترحاته، رغم تأكيده بتقديم تعهد خطي يضمن مصالحهم في البلاد، مما دفعه الى رفع القضية الى المجلس الاعلى للحلفاء. وطلب اليه ابداء رأيه في الموضوع. لكن رداً من هذا القبيل لم يصل اليه. فترسخت القناعة لديه بان البريطانيين رموا الحجارة في البئر الذي شربوا منه الماء. وكان فيصل يعتقد ان تصلب

الفرنسيين يعود الى اقتناعهم بان اكثرية الشعب السوري تميل اليهم، وليس هناك من يؤيد فيصل سوى قلة من المتطرفين. وقد افصح له العقيد تولا، ضابط الارتباط الفرنسي، بان التقارير التي ترد الى حكومته تؤكد «ان القسم الاعظم من سكان سورية هم ضدك» وان السوريين سيستقبلون القوات الفرنسية بالزهور.

في ظل الموقف المتأزم هذا كانت ترد الى فيصل رسائل من اخيه زيد، عن توتر الحالة في سورية، وان موجات السخط والغضب تزداد بين الناس. وان الموقف ينذر بالانفجار. ومما زاد من حراجة موقف فيصل ان اباه كتب اليه يطالبه بمغادرة فرنسا الى سورية او لندن[١٣٠]. كما ان كليمانصو رفض له اكثر من طلب للالتقاء به. وقد اوفد فيصل، نوري السعيد الى دمشق، لمعرفة تفاصيل الموقف، لانه لم يكن يعرف بالضبط مدى استعداد الشعب للمقاومة. ولدى عودة السعيد اخبره ان الجميع معارضون للاتفاق الفرنسي ـ البريطاني. وان الاكثرية مستعدة للمقاومة.

وهناك اقلية بزعامة الفريق رضا باشا الركابي الحاكم العسكري العام، تفضل اتباع الاساليب السياسية، لعدم امكانية المقاومة، بعد ان تخلت بريطانية عن العرب. وحين افصح غورو عن نيته باحتلال بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا، انتدبت الحكومة السورية نوري السعيد لمفاوضته[١٣١]. فاتفق معه على ارسال قوة رمزية لدخول الاقضية المذكورة. وكان ذلك تجاوزاً على توجيهات فيصل، التي نصت على عدم دخول جندي فرنسي واحد الى المنطقة الشرقية. وقد اثار ذلك فيصل الذي كان يخشى ان يؤثر

١٣٠ـ المصدر نفسه، ص٥٢٢ـ٥٢٤

١٣١ـ كان ذلك قبل عودته الى باريس، بعد ان اوفده فيصل

ذلك على رصيده الشعبي[١٣٢].

كما انه سيكون خطوة اولى لاحتلال فرنسي شامل للبلاد. وحين سمع فيصل بنية الفرنسيين باحتلال بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا، كتب الى اخيه يطالبه بمقاومة الفرنسيين، اذا ما اقدموا على احتلال المنطقة الشرقية. كما كتب مذكرة الى كليمانصو، اقترح فيها عدم اجراء تغيير في حدود المناطق الثلاث، وتعيين لجنة ثلاثية للنظر في المشاكل التي قد تستجد. وقد تمكنت الحكومة البريطانية من اقناع الفرنسيين بضبط انفسهم، والتريث باحتلال الاقضية الاربعة. كما اعلم فيصل، لويد جورج، بان القوات العربية ستقاوم الزحف الفرنسي، وناشده بان تقوم حكومته بدورها في هذا الجانب، وعدم التخلي عن العرب.

لم يكن امام فيصل الا ان يرضخ للامر الواقع، ويبدي مرونة في موقفه. وقد ساعده في ذلك محاولات كليمانصو للتقرب منه، ونيل ثقته بهدف الوصول الى حل شامل. وهكذا عقد اتفاق بين الطرفين في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٩، نص على انسحاب القوات العربية من الاقضية الاربعة، على ان تحل القوات الفرنسية محلها[١٣٣]. وتصبح مهمة حفظ الامن والنظام من صلاحية العرب. وتقوم بعثة عربية ـ فرنسية بالاشراف على سير الامن[١٣٤]. واكدت فرنسا لفيصل ان هذا الاتفاق مؤقت وكسبت ثقته بشكل كبير حين وافقت على سحب مدفعيتها

١٣٢ـ عبد الرزاق احمد النصيري، نوري السعيد، ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢، ط١ مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص٦٥ـ٦٧؛ سليمان موسى، المراسلات التاريخية، ج٢، ص٢٨١ـ٢٨٥

١٣٣ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٢٧

١٣٤ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٤٠ـ١٤١

من دمشق[١٣٥]. وقد ابرق الى اخيه في الثامن والعشرين من تشرين الثاني موضحاً له الموقف. وجاء في البرقية «منعاً لوقوع حادث فنحن علىٰ غير استعداد، عملنا الاتفاق المؤقت لحين نتمكن من الاستحضار. نحن لم نرتبط بأي شيء كان بالنظر الى المستقبل، كونوا علىٰ عزائمكم الاولىٰ في استحضار الجند، ولا تصدقوا ما ربما ينشر، فقط لا تتظاهروا بوجه عدائي لأي جهة كانت»[١٣٦].

والواضح من هذه البرقية ان فيصل قبل الاتفاق لكسب الوقت، ريثما تتم الاستعدادات للمقاومة. اما البرقية التي ارسلها الى اخيه قبل هذه البرقية بيوم، اي في السابع والعشرين من الشهر، فان لهجتها تختلف، اذ انه ارسلها عن طريق وزارة الخارجية الفرنسية. وجاء في البرقية «اخبركم بكل سرور ان الحكومة الفرنسية قبلت بتأليف اللجنة التي طلبتها، والتي ستكون مؤلفة من انكليزي وافرنسي وعربي، لتسوية المشاكل التي قد تحدث بين المناطق، وابتغاء تطمين اهالي سورية بان الاتفاق هو عسكري محض ومؤقت، فالجنود الفرنسية لا تحتل البقاع ولا محلاً آخر من منطقتنا الحاضرة، والجنود العربية سوف تنسحب من البقاع دليلاً على ثقتنا المتبادلة. ويبقىٰ الدرك العربي هنالك مكلفاً بحفظ النظام والامن تحت اوامر القائممقام، وعند اللزوم يؤتىٰ بمفرزات درك من دمشق، اذا كانت القوة الموجودة غير كافية. . . . المفاوضات جارية مع الحكومة الفرنسية باخلاص وثقة متبادلة، فليطمئن الاهلون، وليهدأ بالهم، وقد بلغت الحكومة الفرنسية هذا الاتفاق الى الجزال غورو»[١٣٧]. والظاهر من

١٣٥ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٢٨

١٣٦ـ المصدر نفسه، ص٥٢٩

١٣٧ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٤٢، حافظ وهبة، المصدر السابق، ص٣٧٢

خلال هذه البرقية ان فيصل كان يعرف ان الفرنسيين سيطلعون عليها، فأراد اثبات حسن نواياه. لكن الجزال غورو، كان يطمح الى المزيد من التنازلات، فسارع لاحتلال الساحل السوري، الذي اخلاه البريطانيون، لهذا اخر تسليم البرقية التي ارسلها فيصل لاخيه. وكان هذا سبباً في حدوث مصادمات عنيفة بين الشعب العربي السوري والقوات الفرنسية. وقد مارس الفرنسيون، شتىٰ انواع البطش والقسوة ضد السكان، فاحتج فيصل لدىٰ غورو باسلوب سياسي، مكنه من اقناعه بسحب قواته من بعلبك، وابقاء ضابط فقط[١٣٨]. لكن الوضع بقي متوتراً بسبب اقدام السلطات البريطانية في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩١٩ باعتقال ياسين الهاشمي، الذي قام بتوزيع السلاح علىٰ السكان، ومارس نشاطاً في حث الشباب علىٰ التطوع من خلال «لجنة الدفاع الوطني»[١٣٩]، بعد ان اخفقت محاولات تطبيق قانون التجنيد الاجباري. وقد حاول فيصل دون جدوىٰ اطلاق سراحه[١٤٠]. وكان هذا مبعثاً لاضطرابات واسعة سادت البلاد، مما زاد في صعوبة مهمة فيصل، في التفاهم مع الفرنسيين. ومما زاد الطين بلة، قيام رمضان شلاش ، بالتعرض للقوات البريطانية في دير الزور ومن ثم السيطرة عليها. وكان البريطانيون موقنين بان حركة رمضان شلاش. جاءت بتحريض من فيصل، حتىٰ ان المس بيل لم تستبعد ان يكون الامير هو الذي اصدر الاوامر باحتلال المدينة[١٤١].

١٣٨ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٣٠، احمد قدري، المصدر السابق، ص١٤٣ـ١٤٦

١٣٩ـ للمزيد من التفاصيل انظر، سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ـ١٩٣٦، ج١، البصرة، ١٩٧٥.

١٤٠ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٣١

١٤١ـ المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧١، ص٤٠٤

ان هذه الاحداث المفعمة بالتوتر، لم تمنع من استمرار المفاوضات بين الطرفين، وقد اضطر فيصل الى تاجيل عودته الى سورية، واخيراً توصل الى وضع مسودة مع رئيس وزراء فرنسا، عرفت باتفاقية فيصل - كليمانصو. واهم ما جاء في مشروع الاتفاق، هو ضمان فرنسا استقلال سورية، ومنحها العون على قبول المستشارين الفرنسيين، واعطاء فرنسا الاولوية الكاملة في التعهدات والقروض المالية، والاقرار بفصل لبنان سياسياً عن سورية، وقبول الانتداب الفرنسي عليه. على ان يحدد مؤتمر الصلح الحدود بين الدولتين[١٤٢]. وقد وافق جميع مستشاري الامير واعضاء الوفد المرافق له، على المشروع، باستثناء الدكتور احمد قدري. ويذكر سليمان موسى، ان سبب موافقتهم جاءت بعد ان يئسوا من مساندة بريطانيا، وشعورهم بالعجز عن مقاومة فرنسا، وأن هذا الاتفاق لا يمنع من المطالبة بمزيد من الحقوق في المستقبل[١٤٣]. ولم يكن الامير فيصل يختلف في الرأي عن اعضاء الوفد المرافق له. والحقيقة ان فيصل لم تكن له صلاحية قبول المشروع، اذ ان هذه الصلاحية من حق والده. لكنه كان يرى انه امام حلّين، فاما القبول او الرفض، والحل الثاني، كان يعني الاصطدام مع الحلفاء[١٤٤].

كاد فيصل ان يوقع على الاتفاق، لولا وصول الدكتور ثابت نعمان الطبيب الخاص للملك حسين، رسولاً من ابيه، يامره بعدم توقيع اي اتفاق يتعارض مع مراسلاته مع مكماهون، وما قطعته بريطانية من عهود للعرب[١٤٥]. فقدم الامير اعتذاره الى كليمانصو، عن عدم تمكنه من

١٤٢ـ انظر نص الاتفاقية في احمد قدري، المصدر السابق، ص١٥٤ـ١٥٧

١٤٣ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٣٣

١٤٤ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٤١٥

١٤٥ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٥٨

التوقيع، وتعهد بعرض المشروع على الشعب، وبذل مساعيه لقبوله [١٤٦].

كان فيصل يمقت هذا الاتفاق الى حد كبير، ويعرف ان الشعب يرفضه، لكنه اضطر الى قبوله، بعد ان سلمه البريطانيون الى الفرنسيين موثوق اليدين والقدمين. وفي السابع من كانون الثاني عام ١٩٢٠، ترك فيصل باريس عائداً الى سورية. وحين وصل بيروت، في الخامس عشر من الشهر نفسه، كان باستقباله الجنرال دولاموط، نيابة عن غورو. وحيته ثلة من الجنود الفرنسيين. وكان الاستقبال مبرقعاً بجميع مظاهر الفخامة والصداقة[١٤٧]. ورغم ان الجماهير هتفت بحياته، فان الحماس لم يكن كما كان عند عودته الاولى من اوربا.

وقد اقام له الجنرال غورو مأدبة غداء في قصره[١٤٨]. ويذكر احمد قدري ان «من غرائب الصرف ان تظهر رغبة غورو في التقدم على الامير امام الجمهور، مع انه في مناسبة كهذه في لندن، قدموا الامير على جميع الحاضرين ومن بينهم رئيس الوزراء، ورئيسي مجلسي اللوردات والعموم»[١٤٩]. وفي اليوم التالي، غادر الى دمشق، حيث استقبل بحماس فاتر، رغم ان بعض الصحف، وصفت الاستقبال بالروعة والجلال[١٥٠]. كما ذكر ذلك احمد قدري بقوله «استقبلته المدينة بمظاهر المحبة وآيات الاحترام، وكان يوماً مشهوداً»[١٥١]. والظاهر ان هناك مبالغة في وصف الاستقبال.

١٤٦ـ سليمان موسى ، الحركة العربية، ص٥٣٤

١٤٧ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٦٠

١٤٨ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٢٦

١٤٩ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٦٠

١٥٠ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق ص١٢٧

١٥١ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٦١

افضىٰ الامير لكبار المسؤولين وزعماء الحركة الوطنية بحقيقة الموقف واوصاهم بكتمان الامر. وبعد وصوله دمشق بيوم طافت في المدينة تظاهرات كبرىٰ احتفاء بقدومه، لا يستبعد ان تكون بايعاز من العناصر المؤيدة له. والقىٰ الامير بالمتظاهرين، كلمة شكرهم فيها على عواطفهم ودعاهم الى الهدوء والسكينة[١٥٢]. وقد لمس الامير ان الشارع السوري يغلي بكراهية الاجانب والفرنسيين بالذات. ولم يعد للعناصر المعتدلة تأثير يذكر، اذ اصبح المتطرفون سادة الموقف. وكان الشعب قد اطلع على البنود الاساسية لاتفاقية فيصل ـ كليمانصو، من خلال جريدة «الطان» رغم اتفاق فيصل مع الفرنسيين بعدم نشرها، كي تتاح له فرصة عرضها على زعماء البلاد ومناقشتها[١٥٣].

في العشرين من الشهر دعا الامير وجهاء المدينة وزعماء الحركة الوطنية الى الاجتماع في قصره. وحدثهم عن مهمته الشاقة في اوربا، والمفاجآت غير المتوقعة التي صادفته. وكيف ان بريطانية تخلت «عنا في آخر لحظة ارضاء لحليفتها فرنسا، ذات المصالح الاقتصادية والثقافية في هذه البلاد، وتجنباً من اثارة الخلاف والمشادة بين حليفتين، حاربتا جنباً الى جنب، حتىٰ احرزتا مع سائر حلفائها النصر على عدو قوي كألمانيا، ضم بين حلفائه تركيا التي خلصنا من نير تحكمها. ولما لم تثن مدافعاتي واحتجاجاتي بريطانية العظمىٰ عن عزمها واتفاقها مع فرنسا، بهذا الشأن، غادرت لندن الى باريس». ثم عرض عليهم مشروع اتفاقية مع كليمانصو، طالباً ابداء رأيهم، ومستفسراً فيما اذا كانت هناك امكانية لموافقة فرنسا للحصول على الوحدة والاستقلال التام الناجز. «أم ترون في التفاهم معها

١٥٢ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٢٦ـ١٢٧

١٥٣ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٣٤ـ٥٣٥

خطوة اولى لتحقيق امانينا القومية». وحين لاذ الجميع بالصمت، عاد الامير يسأل «أنبقى كريشة في مهب الريح، أم نجني ثمرة جهادنا في الحرب، وما قدمناه من ضحايا، ايا كان حليفنا. فكروا معي في الامر، وليتقدم كل منكم برأيه بملء الحرية والصراحة، فالوطن لنا كلنا، لا للبريطانيين ولا للفرنسيين»[١٥٤].

ومما قاله لهم «انا والله لا تخيفني قوة الحكومة ولا قوة الجمعيات. واني اخاف التاريخ والمستقبل. اخاف ان يقال فلان عمل عملاً لا يليق بآبائه واجداده الذين كانوا يسعون للاستقلال»[١٥٥].

كان لحديث الامير تأثير على بعض العناصر المتحمسة لمقاتلة الفرنسيين، وفي مقدمتهم الدكتور عبد الرحمن الشابندر الذي رأى ان التفاهم مع الفرنسيين افضل من مقاومتهم. في حين بقي الآخرون متمسكين بفكرة المقاومة، التي كان يؤيدها عامة الشعب. وقد اتهم هؤلاء فيصل. بالضعف الى الحد الذي جعل حتى المعجبين به يميلون الى فكرة المقاومة. وذكر بعضهم ان فيصلاً باع البلاد للفرنسيين.[١٥٦]

رغم خيبة الامل التي اصيب بها نتيجة لعجزه عن اقناع الاكثرية بقبول اتفاقه مع كليمانصو، فأن اليأس لم يستولي على قلبه، فدعا الى تأليف حزب سياسي محافظ يدعم موقفه، فضلاً عن ايجاد توازن سياسي مع الاحزاب المتطرفة. فاتصل ببعض وجهاء البلاد واعيانها، لهذا الغرض، فتم تشكيل «الحزب الوطني» في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٢٠[١٥٧].

١٥٤ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٢٨

١٥٥ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٦٥

١٥٦ـ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٤١٥ـ٤١٧

١٥٧ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١٦٠ـ١٦١

كما اتصل بالكثير من اعيان سورية ورجالها البارزين، وارسل بطلب الفريق رضا باشا الركابي، وأزال سوء التفاهم الذي وقع بينه وبين اخيه الامير زيد[158]. وفي ٢٦ كانون الثاني انهى الحكم العسكري، وانسس حكومة مجلس مديرين برئاسة الامير زيد[159]. وبعد ذلك بيومين قام بجولة في مدن سورية الشمالية، بدأها بحلب[160]. وتمكن من اقناع وجهاء المدينة بابداء بعض المرونة في موقفهم[161]. كما اقنع الثوار الذين كانوا يهاجمون القوات الفرنسية بالحد من نشاطهم. ويكون بذلك قد كون علاقة ودية مع الفرنسيين[162]. وفي الثالث من شباط سافر الى بيروت واجتمع بالجزال غورو، واكد له مواصلة المساعي لتنفيذ الاتفاق الذي عقده مع كليمانصو. وطلب منه التخلي بالصبر وسعة الصدر، في التعامل مع ابناء الشعب، وبالذات العناصر الوطنية المتحمسة. كما ناشده باصدار عفو عام عن الثوار، لما سيتركه هذا الاجراء من اثر في كسب ثقة الشعب السوري. لكن غورو لم يلبي طلب الامير، رغم حراجة موقف فرنسا العسكري امام الاتراك في قيلقية. وربما يكون سقوط وزارة كليمانصو ومجيء «ميليران» المعروف بتصلبه، سبباً في عدم تلبية طلب الامير[163]. اما محاولة الامير اقناع الهيئة المركزية لجمعية الفتاة بالموافقة على اتفاقه مع كليمانصو، فقد باءت بالفشل. كما باءت بالفشل محاولاته اقناع اعضاء الهيئة كل على

١٥٨- يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٣٠؛ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٣٩. وقع سؤ التفاهم حين رفض الركابي اوامر الامير زيد بمقاومة الفرنسيين، بعد احتلالهم الاقضية الاربعة، احتلالاً جزئياً، انظر يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٢٧

١٥٩- احمد قدري، المصدر السابق، ص١٧١

١٦٠- المصدر نفسه، ص١٧٤

١٦١- يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٢٩

١٦٢- خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١٥٨

١٦٣- احمد قدري، المصدر السابق، ص١٧٤

انفراد[١٦٤] وقد اكد لاعضاء الهيئة «ان هذا هو غاية ما امكن ويمكن الحصول عليه». وكان رد الاعضاء ان مقاومة العدوان الفرنسي، وحتى البريطاني بالقوة، قدر المستطاع، خيرٌ من خضوعنا لشروط الاتفاق الذي سيجعل سورية بحكم تونس ومراكش[١٦٥]. واعقب ذلك شن دعاية كبيرة ضد فيصل، الامر الذي اضطره الى التراجع. ويعزو الدكتور الشابندر سبب ذلك الى ان فيصل كان حديث العهد بالسياسة والحملات المدبرة «ولو انه وقف موقفاً ثابتاً ودافع عن آرائه. بمثل الطريقة المدبرة الحاذقة التي سلكها في العراق، فيما بعد لوجد من المعتدلين انصاراً يؤيدونه في وجه مناوئيه»[١٦٦]. وفي هذا الصدد يقول يوسف الحكيم ان فيصلاً كان يقدر الموقف السياسي «تقديراً صحيحاً، مما جعله يتغلب على عواطفه ويحكم العقل والفطنة ويزن الامور بميزان الواقع في مقابلاته لعظماء رجال السياسة في اعظم دول العالم»[١٦٧].

رفض اعضاء الهيئة المركزية لجمعية الفتاة، بالاجماع اتفاقية فيصل ـ كليمانصو[١٦٨]. ومما زاد من صعوبة موقف فيصل وحراجته، هو تصلب والده، واتفاقه في الرأي مع العناصر المتحمسة، الرافضة للمشروع. فقد بعث برقية الى ابنه اكد فيها موقفه الرافض لأي اتفاقية من شأنها الاخلال بحقوق العرب. وعمد الى نشر هذه البرقية في جريدة الاهرام، في الخامس من

١٦٤ـ المصدر نفسه، ص١٧٦

١٦٥ـ المصدر نفسه، ص١٧٥

١٦٦ـ عبد الرحمن الشابندر، فيصل بن الحسين، مجلة المقتطف، تشرين الاول ١٩١٣، ص٢٥٧ـ٢٦٥

١٦٧ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٧٣

١٦٨ـ محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية، ص١١١

شباط عام ١٩٢٠ . وكان رد الامير على برقية أبيه ان استقلال البلاد ووحدتها لا يمكن ان يتحققا، الا من خلال عهود رسمية، وانه لا يملك تلك العهود. كما ان تحقيقها يتطلب محاربة بريطانية، في العراق وفلسطين، ومقاتلة الفرنسيين في سورية. وفي الوقت نفسه يحتاج هذا الى مساندة دولة عظمىٰ «ولا اعرف علىٰ من اعتمد اليوم بعد انسحاب امريكا، وانهماك ايطاليا في مشاكلها الخصوصية». وقد سبق لفيصل ان كتب الى اخيه زيد مؤكداً ان مجرد المطالبة بالاستقلال عمل عديم الجدوىٰ، وان بقاء العرب مفككين سيشجع المستعمرين علىٰ احتلال ارضهم واستعبادهم. وعبر له عن اعتقاده بان الظروف الراهنة لا تمكن العرب من محاربة البريطانيين والفرنسيين معاً.

لهذه الاسباب مجتمعة واصل فيصل مساعيه الدبلوماسية للتفاهم مع الحلفاء. فانتهز فرصة انعقاد مؤتمر لندن الاول في الثاني عشر من شباط، لبحث مصير الاقطار المنسلخة عن الدولة العثمانية، فبعث رسالة الى وزارة الخارجية البريطانية، محذراً من ان العرب لا يمكنهم الاعتراف باي قرار يتخذه المؤتمر دون حضوره، وبالذات اذا كان مخالفاً لحقوق العرب. وناشد اللنبي، بان تقوم بلاده باصدار تصريح توضح فيه سياستها تجاه العراق وسورية، وتطمين الشعب العربي علىٰ مستقبله[١٦٩]. وكان رد الحكومة البريطانية، ان الحلفاء لن ينسوا سورية وطلبوا منه السفر الى لندن لعرض القضية ثانية. وكان رجال الحركة الوطنية، موقنين من عدم جدوىٰ مقاومة الحلفاء، فاضطر فيصل الىٰ الاخذ بوجهة نظرهم، رغم رغبته بالسفر الى لندن، والعمل على مفاوضة الحلفاء مدة اطول[١٧٠]. ويبدو انه

١٦٩- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٢٨

١٧٠- خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١٦٣

اقتنع بعد ذلك بعدم جدوى المفاوضة، الأمر الذي دفعه الى التخلي عن وجهة نظره المعتدلة والاقتناع بموقف المتطرفين الذين كانوا يطالبون باعلان استقلال سورية الكبرى، وتنصيبه - فيصل - ملكاً على البلاد، على ان يكون الحكم دستورياً. ويذكر الاستاذ سليمان موسى، ان الذي شجع فيصل على قبول فكرة المتطرفين هو ان العقيدين كوس وتولا، ضابطي الارتباط الفرنسيين، ابلغاه ان الجنرال غورو لن يمانع، اذا ما اقدم فيصل على اتخاذ مثل هذه الخطوة. وكانت الغاية من ذلك اظهار فيصل امام البريطانيين، بمظهر المتطرف، ونزع عطفهم عليه، وتأييديهم له[١٧١]. وقد استشار فيصل، رضا باشا الركابي الذي كان ينوي تعيينه رئيساً للوزراء. وقد طالبه الركابي بالتريث اول الامر، لكنه اعرب عن تأييده الفكرة حين علم بعدم ممانعة فرنسا.

المؤتمر السوري ومبايعة فيصل ملكاً على سورية : -

سبق للامير فيصل بعد عودته الى البلاد ان خطا خطوات نحو توطيد الادارة الداخلية، فعهد الى اخيه زيد بتشكيل الحكومة التي رأسها فيصل نفسه. وعين علي رضا الركابي مديراً للحربية. والغيت وظائف الحكام العسكريين - التي تذكر بسلطة اللنبي - واستثنيت من ذلك -حاكميتا حلب ودير الزور[١٧٢]. وسعى الامير الى تقوية البلاد عسكرياً، من خلال العمل على تطبيق قانون التجنيد الاجباري، وراح يبدي عداوته للفرنسيين، مما شجع على زيادة العمليات المسلحة ضد القوات الفرنسية[١٧٣]. وكان

١٧١- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٣٩

١٧٢- خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص١٥٨

١٧٣- المصدر نفسه، ص١٦٢

من الطبيعي ان ينكر مسؤولية الحكومة عن هذه الاعمال، حين كانت الحكومة الفرنسية تحتج على ذلك. والمعروف انه كان على رأس مشجعي تلك الحركات ومساندتها عسكرياً.

في السادس من آذار انعقد المؤتمر السوري، بحضور الامير فيصل وأعضاء الحكومة. والقى الامير كلمة في افتتاح المؤتمر، طالب فيها من المؤتمرين تقرير شكل الدولة الجديدة ووضع دستورها. وفي نهاية الكلمة اوصى اعضاء المؤتمر بالاهتمام بقضية استقلال العراق، وقال ما نصه «اريد ان اذكركم باخوانكم العراقيين، الذين جاهدوا معكم وابلوا بلاءً حسناً في سبيل الوطن»[١٧٤].

وحين انهى المؤتمر اعماله في اليوم التالي، اعلن استقلال سورية الطبيعية، بما فيها فلسطين. وتقرر بالاجماع مبايعة فيصل ملكاً عليها[١٧٥]. كما بايعه بعد ذلك بثلاثة ايام الرؤساء الروحيون للطوائف الدينية، ونشر نص المبايعة في الجريدة الرسمية[١٧٦]. وهذا يؤكد عدم صحة ما ذهب اليه هنري فوستر من ان السوريين كانوا «يرون في آل الشريف اناساً يحكمون عشائر الصحراء الجنوبية المتأخرة، بينما كان الشعب السوري يتمتع بثقافة فوق ما كان من اشقائه لتلك الشعوب، التي كانت تامل في الحرية ورفع النير العثماني عنها» وان آراءهم لم تكن لتتفق مع الآراء التي سار عليها فيصل وبيته[١٧٧].

١٧٤ـ انظر نص الخطاب في احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٢٠ـ٢٢٣، ساطع الحصري. المصدر السابق، ص١٧٨ـ١٨١

١٧٥ـ انظر نص المبايعة في. يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٣٨ـ١٤١

١٧٦ـ انظر نص المبايعة في. يوسف الحكيم، المصدر نفسه، ص١٤٣

١٧٧ـ هنري. أ. فوستر،تكوين العراق الحديث، ترجمة عبد المسيح جويدة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٦، ص١٣٦

ويذكر العمري ان فيصلاً تمكن من اقناع شقيقة عبد الله باختيار عرش العراق، ذلك ان عبد الله كان احق منه بعرش سورية، باعتباره، اكبر منه سناً. اما الامير علي، فقد كان ولياً لعهد والده في الحجاز[١٧٨]. ومن الملفت للنظر ان مندوباً عن بريطانيا لم يحضر حفل المبايعة، في الوقت الذي حضره مندوبون من فرنسا وايطالية ودول اخرى. ويذكر احمد قدري ان سبب ذلك، هو عتقاد انكلترا «ان اعلان الاستقلال هذا يخرج «الامير» عن كونه قائداً من قواد الحلفاء، يحتل جزء كبيراً من بلاد كانت تابعة لتركية، التي لم يكن قد عقد الصلح معها، وحارب مع الحلفاء في احلك ظروف الحرب العظمى. وهذا الاعلان يجعله ملكاً على سورية بدون موافقة رسمية من اي دولة من دول الحلفاء، وبدون اخذ رأي مؤتمر الصلح في ذلك. وهذا الوضع الجديد يسهل لفرنسا انتحال الحجج، لتصبح لها حرية الاعمال العسكرية في المملكة الناشئة» وهذا الذي جعلها ـ فرنسا ـ تشجع فيصلاً على اتخاذ تلك الخطوة[١٧٩].

بعد المبايعة كلف الملك فيصل، رضا الركابي، المعروف باعتداله وايمانه بسياسة التعاون مع فرنسا، بتشكيل الوزارة. واتفق الاثنان على اتباع سياسة الاعتدال، وعدم اثارة الحلفاء. وحرصت الوزارة على احلال الهدوء في البلاد وتجنب الاصطدام بالفرنسيين[١٨٠] وقد اشاد الركابي في منهاج الوزارة الذي قدمه الى المؤتمر بجهود الملك في تحرير البلاد «وهو المؤسس الاول للمملكة السورية وصاحب الفضل الاكبر في استقلالها وانشائها على قواعد الحرية والتجدد[١٨١].

---

١٧٨ ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص١٨٩

١٧٩ ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٨٧

١٨٠ ـ المصدر نفسه، ص١٩٤

١٨١ ـ المصدر نفسه، ص١٩٠

بعد ان اصدر المؤتمر قراراته، رفض لويـد جورج، الاعتراف بها[١٨٢]. كما ابلغ كرزون فيصلاً بذلك، وذكر له ان ليس من حق جماعة من الناس عينت نفسها بنفسها ان تتخذ قرارات بشأن مستقبل سورية والعراق، لأن ذلك من حق دول الحلفاء التي حررت سورية. وعاد كرزون يؤكد لفيصل ضرورة حضوره الى اوربا لعرض القضية على مؤتمر الصلح[١٨٣]. وكان رد الملك فيصل، ان ابـرق بثلاث برقيات الى قادة الحلفاء. اولهـا كانت الى الـرئيس الامـريكي، شرح له فيهـا دور العـرب في الحـرب، ووقـوفهم الى جانب الحلفاء، وكيف ان بريطانيا وفرنسا قابلتا تلك المساعدات بتقسيم البـلاد العـربية، وفق معـاهـدات سريـة، الامـر الذي اثـار غضب الشعب العربي «وبـما ان القسـم الشمالي من سورية يتـاخـم بـلاداً لا تزال تتأجج فيهـا نيـران الثـورات، اوجسنـا خيفـة من ان يتسـرب ذلـك الاضطراب الى سوريـة باجمعهـا، ولم ير دواء لتـلافي الامـر انـجـع مـن جمـع المؤتمـر السوري المنتخب من الشعب، واعلان استقلال سورية والمناداة بي ملكاً عليها، مما ادى الى ارجاع الامن الى نصابـه في البلاد. وكل هذا يتفق مع وعود الحلفاء وتصريحاتهم» واننا لا نطلب الا حقاً منحتنا ايا الطبيعة وزكته دمـاؤنـا في الحـرب وايـده تاريخنـا. وان تقسيم سورية سيكون حجـر عثرة امام تقدمها الاقتصادي والسياسي. وان السلام لا يمكن ان يستتـب فيـها، الا بعد ان تؤمن وحدتها ويضمن استقلالها[١٨٤].

امـا برقيته الى كرزون فقد جاء فيها «ان المؤتمر السوري العربي الذي اجتمع

١٨٢ـ المصدر نفسه، ص١٩٦، يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٥٤

١٨٣ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٤١ـ٥٤٢، احمد قدري، المصدر السابق، ص١٩٦

١٨٤ـ يوسف الحكيم، المصدرالسابق، ص١٤٧، احمد قدري، المصدر السابق، ص١٩٦ـ١٩٧

في السابع من هذا الشهر هو نفس المؤتمر الذي عقد اجتماعات عديدة على مرئ ومسمع من السلطة البريطانية، التي كانت في يدها قيادة سورية في ذلك الحين. وقد اجتمع هذا المؤتمر ايضاً لابداء آرائه للجنة الامريكية التي جاءت لاخذ آراء الاهالي، وفقاً لقرار مؤتمر الصلح... ولم تقابل اجتماعاته الاخيرة بادنئ احتجاج من السلطات البريطانية او الفرنسية. وهو مؤلف من هيئة نظامية، اعضاوها منتخبون انتخاباً قانونياً. فبعد اجتماعه الاخير، الذي اعلن فيه استقلال البلاد والمناداة. بيّ ملكاً عليها، لا يمكن ان يعتبر تصرفها مخالفاً لآراء الحكومتين «الانكليزية والفرنسية» مادام بيانه مؤسساً على ما لهاتين الحكومتين، وباقي الحلفاء من التصريحات والوعود».

ثم اوضح له ان الهدوء والاستقرار بدأ يسودان البلاد، وان الحكومة ابدت اخلاصها للحلفاء، وهي لا يمكنها ان تعاديهم. فالعرب قاتلوا الى جانبهم في الحرب. وان الشعب بناء على ذلك بدأ يطالب بتحقيق الوعود التي قطعت له «فأرجو ان تبلغوني، جواباً على هذه البرقية الاعتراف مبدئياً باستقلال سورية التام، ووحدتها، لا تمكن من الذهاب الى اوربا لتقديم الشكر لحكومة جلالة ملك بريطانية العظمئ، على ذلك»[185]. ولم تكن برقيته الى الجزال غورو تختلف من حيث المضمون عن هاتين البرقيتين[186].

لقد ركز الملك في برقايته على حقيقة مهمة، هي ان ما اتخذه المؤتمر من قرارات ينسجم مع ما اتفق عليه العرب والحلفاء. او بمعنئ ادق، ان تلك القرارات لا تتعارض مع وعود الحلفاء للعرب. لكن المعروف ان تلك

١٨٥ـ يوسف الحكيم، المصدر نفسه، ص١٤٨

١٨٦ـ المصدر نفسه، ص١٤٩

الـوعـود لم تكن تعبـر عن رغبـة حقيقيـة في مسـاعـدة العـرب على نيـل الاستقـلال، بقـدر ما كانت محـاولـة لاجتياز محنة عسكرية قاسية، واجهها الحلفاء اثناء الحرب العالمية الاولىٰ.

والحقيقـة ان قلق الحلفـاء ظهـر، قبـل صدور قرار المؤتمـر باعـلان الاستقـلال، ومبايعة فيصـل ملكـاً على سوريـة. ففي اليوم التالي لانعقاد المؤتمر، ابرق اللنبـي الى اللورد كـرزون، يخبره بان فيصلاً، وجد نفسه مضطـراً للانصيـاع الى الشعـور العـام، رغم تحـذيـرات ضابـط الارتبـاط البريطاني. فطلب كرزون من اللنبـي ان يخبر فيصـل، بان فرنسا وبريطانية تنصحـاه بالسفـر الى لنـدن وبـاريس، لعـرض القضية على مؤتمر الصلح، والتـوصـل الى تسـويـة، تتفق مع التصـريحات التي تبودلت بيـن حكومتي بريطانية وفرنسـا من جهـة، والعرب من جهة اخرىٰ. وحذر كرزون فيصلاً من ان يتخـذ المؤتمـر اي اجـراء «خـال من روح المسؤوليـة». وقـد أرسـل فيصـل، نوري السعيـد الى انكلتـرا، لاقنـاع المسؤولين البـريطانيين، بان العرب سيحافظون على صداقتهم لبريطانية[187]. لكن مهمة السـعيد باءت بالفشـل امام تصلب بريطانية. وذكر كرزون للسـعيد بانه يحمل آراء متطـرفـة[188]. وكـان رأي الجنـرال اللنبـي، ان علىٰ الحكـومة البريطانية، الإعتـراف بملكيـة فيصـل على دولـة عربيـة متحدة تضم سـورية وفلسطين والعراق، على ان تبقىٰ ادارة سورية بيد الفرنسيين، وادارة العراق وفلسطين بيـد البـريطـانيين. وكـان اللنبـي، يرىٰ ان عدم استجـابـة الحلفاء لمطالبة العرب، واستمرار موقفهم السلبي من فيصل، قد يؤدي الى وقوع الحرب. وكـان رد كرزون، ان بريطـانيـة لا تفكـر بمحـاربة فيصل، لكنها في الوقت

١٨٧ـ المصدر نفسه، ص١٩٨؛ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٥٤

١٨٨ـ عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٦٩ـ٧٠

نفسه ترفض ان تصبح قرارات المؤتمر السوري بديلاً لمقررات مؤتمر الصلح. وانها لا تسمح لفيصل بان يضع الحكومة البريطانية امام الامر الواقع[١٨٩].

حاول اللنبي مرة اخرى اقناع كرزون، برأيه. واكد له ان مقررات المؤتمر السوري، حضيت بتأييد الاكثرية الساحقة من الشعب. فأجابه كرزون، بان بريطانية وفرنسا لا تعترفان «بشرعية قرار يرمي الى تسوية مستقبل سورية وفلسطين والموصل والعراق، من وراء ظهرها». واعرب عن استعداده للاعتراف بفيصل ممثلاً للعرب في سورية وفلسطين «شريطة ان يحضر فيصل الى مؤتمر السلم، وهو يحمل اعترافاً بالمركز الخاص الذي لفرنسا في سورية ولبنان، ولبريطانية في فلسطين، على ان يشمل الاعتراف بمركزنا في فلسطين، الالتزام الذي اخذناه على عاتقنا، بتأمين وطن قومي للصهيونيين في تلك البلاد». فاعرب اللنبي في رده عن شكه في ان يقبل فيصل، اقتراحاً مثل هذا، ما لم يعترف مؤتمر الصلح. بمبدأ وحدة سورية وفلسطين تحت سيادة واحدة. واكد من جديد خطورة رفض الاعتراف بمقررات المؤتمر السوري، لانه يمثل ارادة الاغلبية في سورية[١٩٠].

وقد تدخل الفرنسيون لمنع ذكر اسم فيصل في الجوامع. وهددوا الخطباء بالعقوبات. وتم نفي الشيخ محيي الدين المكاوي، لأنه اصر على ذكر اسم فيصل في الخطبة[١٩١]. اما فيصل فقد سعى لدعم موقفه اكثر، امام الحلفاء، فلم يكتف بقرار المؤتمر السوري الذي اجمع على ملكيته، فبعث الى ابيه، يطالبه بالحصول على تأييد من شيوخ الجزيرة العربية. وقد تلقى رئيس المؤتمر السوري، بعد ذلك برقية من الملك

١٨٩ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٤٣

١٩٠ـ المصدر نفسه، ص٥٤٣

١٩١ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق ص١٩٠

حسين تحمل موافقته على مقررات المؤتمر السوري[١٩٢]. ثم كتب فيصل في الثامن والعشرين من آذار الى كرزون رسالة اعرب له فيها عن استعداده للسفر الى اوربا، اذا اعترفت بريطانيا رسمياً او بشكل خاص، باستقلال العرب. فاقترح كرزون على سفير فرنسا في لندن دعوة فيصل لحضور مؤتمر سان ريمو، والاعتراف به ملكاً على سورية، وفق شروط معينة، لكن السفير الفرنسي رفض الاعتراف بملوكية فيصل، واصر على ان يحضر فيصل بصفته ممثلاً للشعب السوري[١٩٣].

قررت كل من بريطانية وفرنسا مواجهة الامر الواقع الذي أراد فيصل فرضه عليهما، بامر واقع من جهتهما[١٩٤]. فكان مؤتمر سان ريمو الذي عقد للفترة بين ١٨ - ٢٦ نيسان عام ١٩٢٠. وناقش مسألة الانتداب على البلاد العربية وتوزيع الغنائم بين الحلفاء. ولم يكن للعرب ممثل رسمي فيه. ولم تثمر الاتصالات التي قام بها نوري السعيد ورستم حيدر ونجيب شقير، الذين ارسلهم فيصل، عن نتيجة. كما اخفقت محاولاته دعوة فيصل لحضور المؤتمر، او بعض جلساته[١٩٥]. ثم قام اللنبي بتبليغ فيصل مقررات المؤتمر، ولكن بشكل مخفف. فقد جاء في البرقية التي بعثها اليه في ٢٨ نيسان، انه تم «الاعتراف بسورية والعراق دولتين مستقلتين، شريطة ان تنالا المساعدة من دولة منتدبة، الى ان يحين الوقت الذي تستطيعان فيه ان تقفا وحدهما» واعرب له عن امكانية التوفيق بين مقررات سان ريمو، ومطالب العرب. وفي البرقية ذاتها، اكد اللنبي لفيصل، التزام الحكومة

١٩٢- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٤٤

١٩٣- المصدر نفسه، ص٥٤٥

١٩٤- يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٥٥

١٩٥- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٤٧

البريطانية، بانشاء وطن قومي لليهود، وهو «التزام رضيتم به». فاعرب فيصل في رده عن تقديره باعتراف مؤتمر سان ريمو، باستقلال العراق وسورية. لكنه رفض مبدأ الانتداب، واعرب في الوقت نفسه عن رغبة العرب بالحصول على مساعدة الحلفاء، لكن في اطار «المحافظة على سيادتنا الوطنية، محافظة تامة». واكد فيصل ان فلسطين لا يمكن فصلها عن سوريه، وان رسالة مكماهون الى ابيه، المؤرخة في ٢٤ تشرين الاول عام ١٩١٥، نصت على ان تكون ضمن «الامبراطورية» العربية. كما ان اتفاقية سايكس ـ بيكو، وضعتها تحت الادارة الدولية، على ان يعين شكلها بعد الاتفاق مع شريف مكة. ونفى فيصل ان يكون قد وافق على انشاء وطن قومي لليهود. لكنه لم يتردد في الاعتراف بانه وافق على حماية حقوق «اليهود المقيمين في تلك البلاد، بمستوى المحافظة على حقوق السكان الوطنيين، وان امنحهم الحقوق والامتيازات ذاتها». واكد استعداده للسفر الى اوربا، اذا ما اعطي ضماناً. بان المؤتمر لا يسمح مطلقاً بفصل فلسطين عن سورية[١٩٦]. لكنه لم يتلق رداً من الحكومة البريطانية. امّا فرنسا، فقد بعث رئيس وزرائها مليران في الثلاثين من نيسان رسالة اكد فيها اعتراف بلاده باستقلال سورية. وان واجب فرنسا قبول المهمة التي اوكلهما اليها مؤتمر الصلح، بتقديم المساعدة الى السوريين. فرد فيصل موضحاً ان فرنسا تجاهلت وحدة سورية، وان الشعب يرفض انشاء وطن قومي لليهود «وتسليم هذا الجزء الصميم من بلادنا الى اليهود». ورفض الاعتراف بمقررات مؤتمر سان ريمو، واعرب عن استعداده لاجراء مباحثات حول شكل المساعدة التي تنوي فرنسا تقديمها الى سورية «شريطة

١٩٦ـ المصدر نفسه، ص٥٤٩ـ٥٥٠، خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق، ص١٧٧ـ١٧٨

ان تبدأ المباحثات على اساس الاعتراف باستقلال سورية، وعدم تجزئتها»[197]

كانت نوايا الحلفاء واضحة، في اعطاء فلسطين لليهود. فحين وقعت اعمال عنف في القدس، تعاطفت بريطانية مع اليهود بشكل واضح. وقررت تعيين الصهيوني «هربرت صومائيل» مندوباً سامياً على فلسطين، الامر الذي اثار الملك فيصل، فبعث رسالة احتجاج الى اللنبي، في ٢٩ ايار، ذكر فيها ان الاجراء الاخير الذي اتخذته بريطانية كان له «تأثيرٌ سيء جداً في الامة العربية، لأن هربرت صومائيل صهيوني، غايته تأسيس حكومة يهودية على انقاض قسم كبير من سورية» وطالب الحكومة البريطانية بالغاء تعيين صومائيل. كما احتج على تخفيض الاحكام التي صدرت بحق اليهود نتيجة لاضطرابات نيسان، في حين لم تخفض الاحكام التي صدرت بحق العرب. كما احتج على سياسة السلطات البريطانية بتسليح اليهود، وابقاء العرب عزل، وقد حاول اللورد كرزون في رده على احتجاج فيصل، تحسين سورة هربرت صومائيل، باعتباره ادارياً كفوءاً. وان فيصل والعرب يجدون فيه «صديقاً مخلصاً». اما اللنبي فقد ذكر في رده «لقد سلحنا القرى اليهودية لتدافع عن نفسها، امام هجمات القادمين من منطقة سموك»[198].

١٩٧ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص١٩٩؛ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٥٢ـ٥٥٣

١٩٨ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٥٢

ردود الفعل الجماهيرية لقرارات مؤتمر سان ريمو : -

ولـدت قرارات مؤتمـر سان ريمـون ردود فعـل عنيفـة وسـط الشـارع السوري. وفي الوقت نفسه انعكست ردود الفعل هذه على الحكومة، اذ اتهمت وزارة علي رضا الركابي، بالضعف والتهاون مع الفرنسيين، لانها لم تتخذ الاجراءات التي من شأنها اعداد البلاد عسكريا لمواجهة الفرنسيين، اذا ما اقتضت الضرورة ذلك. كما انها سمحت لهم بنقل المعدات العسكرية، الى قيلقية عبر سورية، لاستخدامها ضد الاتراك. وكان الموقف يقتضي عدم مساعدة الفرنسيين في القضاء على الحركة التركية[199]. فضلاً عن ان حكومة الركابي كانت تؤيد الانتداب[200]. وكان رأي الركابي، ان الحركة الوطنية والمؤتمر السوري، افرطا في المطالب «مما قد يؤدي الى فقد النظـام، والى الاضطـراب على الحـدود، وينـذر بسـوء المصيـر». فقـرر الركابي تقديم استقالته، وحاول الملك حمله على التريـث في الامر، لكنه رفض، فوافق الملك عليهـا، وعهـد الى هاشم الاتاسي رئيس المؤتمـر السوري، بتشكيل الوزارة[201]. ويذكر الدكتور احمد قدري ان الملك هو الذي طلب الى الركابي تقديم استقالته، وجعل المرض عذراً لتقديم الاستقـالـة[202]. ولا يستبعـد ان يكـون هذا صحيحاً، كمحاولة من الملك لامتصاص نقمة الشعب.

اعلنت الـوزارة الجـديـدة منهـاجـاً غاية في الطمـوح، اذ اكـد وزيـر

١٩٩ـ المصدر نفسه، ص٥٥٣

٢٠٠ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٣

٢٠١ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٥٧

٢٠٢ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٠٥

الخارجية، الدكتور عبد الرحمن الشابندر، في الكلمة التي ألقاها امام المؤتمر السوري، في الثامن من آيار عام ١٩٢٠، ان اساس خطة الحكومة هو.

١ ـ تأييد الاستقلال التام الناجز المتضمن حق التمثيل الخارجي.

٢ ـ وحدة سورية بحدودها الطبيعية، ورفض المزاعم الصهيونية في فلسطين.

٣ ـ رفض كل «مداخلة» اجنبية تمس سيادة البلاد القومية [٢٠٣].

كما وافقت الوزارة على تعديل قانون خدمة العلم الاجبارية، الذي نص على جعل مدة الخدمة سنة بدلاً من ستة اشهر[٢٠٤]. وقد مارست العناصر الوطنية ضغوطاً على فيصل، لاعلان الحرب، لكنه تردد في اتخاذ مثل هذا القرار. وفي الوقت نفسه تجاهل هجمات الثوار على المواقع الفرنسية، بل ان الحكومة كانت تدعمهم مادياً ومعنوياً[٢٠٥]. كما انها بدات تضع العراقيل امام نقل القوات الفرنسية عن طريق السكة الحديد، فأرسلت الحكومة الفرنسية مذكرتي احتجاج الى الحكومة البريطانية في ١٠ و ١٢ آيار، طلبت فيهما اتخاذ الاجراءات لوضع حد للوضع القائم، ومن جملة ما طالبت به، وضع يدها على سكة حديد حمص ـ حلب. وكان رد اللورد كرزون،ان ناشد الفرنسيين بضبط اعصابهم، خوفاً من ان يؤدي مثل هذا الاجراء الى انحياز العرب الى الوطنيين الاتراك. واقترح مرة اخرى دعوة فيصل للسفر الى اوربا. فجاء الرد الفرنسي عنيفاً، اذ اتهم ميلران فيصلاً بانه «يقف وراء كل الهجمات التي تشنها العصابات الشريفية على القوات الفرنسية» وانه يسعى الى القضاء على الوجود الفرنسي في سورية،

٢٠٣ـ المصدر نفسه، ص٢٠٨، يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٦٠

٢٠٤ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٦١

٢٠٥ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٥٣

ويتعاون مع الوطنيين الاتراك، لينهج سياسة المراوغة لكسب الوقت لاعلان «التمرد». وحاول ميلران اثارة بريطانية، ضد فيصل، فادعى انه «يمثل خطراً في المستقبل على بريطانية، اكبر من الخطر الذي يمثله حالياً بالنسبة لفرنسا»[٢٠٦].

وقد قام الفرنسيون بتصعيد عملياتهم العسكرية ضد الثوار، وعمدوا الى مواجهتهم بواسطة بعض عملائهم في الداخل. فاحتج فيصل لدى لويد جورج، على هذا الاجراء، وناشده «باسم الانسانية والسلام» اقناع الفرنسيين بايقاف عملياتهم. العسكرية. ومما زاد موقف فيصل حراجة، قيام قوة عربية مسلحة بقيادة جميل المدفعي، بالسيطرة على مدينة تلعفر العراقية القريبة من الحدود السورية. اذ ان بريطانية اتهمت فيصل بالتحريض على مثل هذه العمليات العسكرية، وذكر كرزون ان الحكومة السورية «ظلت دائماً في حالة حرب مع القوات البريطانية في العراق، بدون انقطاع منذ شهر تشرين الاول عام ١٩١٩»[٢٠٧]. ويذكر احمد قدري انه اقنع الملك فيصل، بالسماح للفرنسيين بالسيطرة على خط السكة الحديد، على ان ينضم قسم من الجيش السوري، الى القوة الفرنسية، باعتبار ان الدفاع عن سورية يقع بالدرجة الاولى على السوريين. وبما ان فرنسا كحليفة، من واجبها الدفاع عن سورية، فمن الواجب مساعدتها. وحين عرض الملك هذه الفكرة على رجال السياسة، رفضوها، مما ادى الى زيادة التوتر[٢٠٨].

وقد ذهبت محاولات فيصل، لاقناع الفرنسيين بتسليم ادارة المنطقة

٢٠٦ـ المصدر نفسه، ص٥٥٤

٢٠٧ـ المصدر نفسه، ص٥٥٥

٢٠٨ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٢١١

الفـرنسيـة، باستثنـاء جبـل لبنـان، ادراج الـريـاح، لان الحكومة السورية، وفضت تسليم، خط سكة حديد حلب ـ حمص، الامر الذي دفع مليران، الى ان يتوعد فيصل بقوله «سوف اتدبر امر فيصل».

في هذه الفترة عاد نوري السعيد، الذي كان قد اوفد الى اوربا. وكان رأي السعيد، ان اكبر خدمة يمكن ان تسدى لسورية هي سفر الملك الى اوربـا للمحـافظـة على الـوضع القائم، وعدم اعطاء فرنسا، الفرصة لجعل الانتـداب استعمـاراً مقنعـاً. ولكن هيـاج الشعب، والمنـاداة بالـدفـاع عن البلاد، حال دون ذلك، فتقرر ارسال وفد وزاري بدلاً من سفر الملك. وفي الخامس والعشرين من آيار القىٰ الملك كلمة، في مأدبة افطار، دعا فيهـا رجـال البـلد ، اكد فيها رفضه الانتداب، لأنه كلمة مطاطية «لاحد لها ولا معنىٰ صريح». وطالب الجميع بالتعاون والتكاتف لبناء الوطن. واكد انه سيكون في مقدمة من يموت في سبيل الوطن، اذا اقتضىٰ الامر[٢٠٩].



كانت الهدنة التي عقدها الفرنسيون مع تركيا الكماليـة، في ٣٠ آيار عام ١٩٢٠، من العـوامـل المهمـة التي ساعـدتهم على التفـرغ لمقـاتلة العرب. وقد ذكر السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية للورد كرزون، ان فيصـلاً يسعىٰ لالقـاء الفـرنسيين في البحـر. وطـالب بريطانيـة بالكـف عن حشر نفسـها بين فرنسا وفيصل. وأراد ان تكون علاقة فرنسا بسورية كعلاقة بريطانية بالعراق وفلسطين. اي انه أراد عدم تدخل بريطانية بالعلاقة بين فرنسا وسورية، مثلما لا تتدخل فرنسا بين بريطانية والعراق.

٢٠٩ـ انظر نص الكلمة في احمد قدري، المصدر السابق، ص٢١٣ـ٢١٧

ازاء الموقف الفرنسي المتصلب هذا، قرر فيصل قطع العلاقات مع فرنسا، اذا لم تعترف باستقلال سورية. وقد حذره اللنبي من اتخاذ «اي حل من شأنه ان يلحق الضرر بعلاقته مع الجنرال غورو»[٢١٠]. لكن فيصل اصبح يرى ان صخرة علاقاته مع فرنسا، التي بدأت تتدحرج، لا بد ان تستقر اخيراً في قعر الوادي. لكنه لم يفقد الامل بشكل نهائي، وفكر من جديد بالسفر الى اوربا. لكن بعض اعضاء المؤتمر، وجدوا في سفره هدراً «لكرامته وكرامة الامة التي اعلنت ملكيته»[٢١١]. وحين اظهرت فرنسا استعداداتها الواضحة للقيام باعمال عسكرية في المنطقة الغربية، قرر فيصل، السفر الى اوربا، متجاهلاً رأي المعارضة. ومهد لذلك باقناع الدكتور عبد الرحمن الشابندر، وزير الخارجية، بقبول اتفاقه مع كليمانصو. كما تمكن من اقناع مجلس الوزراء من قبول الاتفاقية[٢١٢]. ولم يبق هناك من معارض للاتفاقية، غير وزير الحربية، يوسف العظمة. وقد وجد فيصل صعوبة بالغة في التوفيق بين رأي المعتدلين والمتطرفين. وكان الملك يحترم آراء الطرفين، لأنه كان يرى ان هدفهما واحد. لكن المتطرفين شنوا ضده حملة واسعة، اضطرته الى التراجع.

بعث فيصل مستشاره السياسي، نوري السعيد، الى الجنرال غورو، في بيروت، لوضع ترتيبات السفر. وقد فوجئ السعيد، برفض الجنرال غورو، فكرة سفر الملك، وعدم اعتراف فرنسا به، اذا ما سافر عن طريق آخر. وقدم غورو الى السعيد شروط حكومته التي ينوي تقديمها الى فيصل على شكل انذار رسمي وهي : -

---

٢١٠ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٥٦

٢١١ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٨

٢١٢ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص١٦٢

١ ـ سيطرة القوات الفرنسية على محطات سكة حديد رياق ـ حلب.
٢ ـ الاعتراف بالانتدأب الفرنسي على سورية، دون قيد او شرط.
٣ ـ السماح بتداول العملة الورقية الصادرة من البنك السوري، في المنطقة الشرقية.
٤ ـ الغاء التجنيد الاجباري.
٥ ـ معاقبة «المجرمين» الذين استرسلوا في معاداة فرنسا.

عاد السعيد الى دمشق على وجه السرعة، ليبلغ فيصل شروط غورو. فما كان من الملك الا ان اعاد السعيد الى بيروت ليقنع غورو بالعدول عن موقفه[٢١٣]، ويقترح عليه تشكيل لجنة مشتركة للنظر في مسألة الخلاف، استناداً الى اتفاق ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩١٩، المعقود بين الطرفين. وكان رد غورو، ان زاد من تحشيد قواته، واحتل رياق ومناطق اخرىٰ، وهذا يعني انه بدأ بتنفيذ ما اعتزم عليه، قبل ان يبلغ فيصل بالشروط رسمياً[٢١٤]. وقد بعث فيصل برقيات الى مؤتمر الصلح وممثلي الدول الكبرىٰ، في دمشق، طالباً التدخل لتأمين لجنة لدراسة الشروط الفرنسية، وتعهد بقبول قرارات تلك اللجنة. لكن غورو، اعار اذناً غير صاغية لكل النداءات التي وجهت اليه. كما اعتذرت بريطانية عن التدخل في مسألة «هي بالاساس من شأن فرنسا» ولأن الاخيرة لا تتدخل بشؤونها في العراق وفلسطين.

في الرابع عشر من تموز عام ١٩٢٠، ارسل غورو، رسمياً الشروط التي سبق ان ابلغها لنوري السعيد، وطلب قبولها جميعها، او رفضها، على ان يصل الرد خلال أربعة ايام. وفي حالة الرفض، فان حكومته ستكون مطلقة

٢١٣ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٦٠

٢١٤ـ حمد قدري، المصدر السابق، ص٢٢٠ـ٢٢١؛ ساطع الحصري، يوم ميسلون، ص٢٧٩

اليد في العمل[٢١٥]. وقد اتهم غورو فيصل، في هذا الانذار، بانه عمل كل ما من شأنه الاضرار بمصالح فرنسا وتحريض الشعب ضدها. كانتفاضة صالح العلي «بطل الفوضى والبغضاء» على حد تعبير غورو. وجاء في الانذار ايضاً «ان منظمي العصابات محترمون كل الاحترام في دمشق». كما اتهم فيصل بانه تصرف بشؤون سورية بشكل لا يحق له، لان سورية لا تزال عثمانية، ولم يتقرر مصيرها. وان المؤتمر السوري، اجتمع بشكل غير قانوني، واصبح «يحكم باسم حكومة ودولة لم يعترف بوجودها»[٢١٦].

حاول الشريف حسين دفع بريطانية للتدخل، واعرب عن عزمه للانضمام الى السوريين، او ارسال احد ابنائه. لكن الاحداث كانت اسرع من ان يوقفها شيء من هذا القبيل. فاتخذت الحكومة السرية الاجراءات العسكرية، استعداداً للدفاع عن البلاد. ونادت بالبذل والتضحية في سبيل الوطن[٢١٧]. واتصل الملك بقنصل ايطاليا العام في دمشق، وعميد القناصل، وممثلي الدول الاجنبية، موضحاً لهم الموقف، وطلب عرض القضية على عصبة الامم، وتاليف لجنة تحكيم دولية[٢١٨]. في الوقت نفسه تقرر تعيين الامير زيد، قائداً عاماً للجيش، وياسين الهاشمي رئيساً للاركان. لكن الهاشمي اعتذر عن قبول المنصب، واكد ان الجيش اضعف

٢١٥ـ ساطع الحصري، المصدر نفسه، ص١٠٦؛ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٦١. ناقش مجلس العموم البريطاني، الانذار، وطلب النائب اورمسي غور، اعطاء ايضاحات حول الموضوع، واستفسر عن الوعود التي اعطتها بلاده للعرب، وهل هي عازمة على تنفيذها. انظر محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٨ـ٢٧٩

٢١٦ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٣٢. اذا كانت هذه هي وجهة نظر فرنسا في المؤتمر، فلماذا حضر وفدعنها، في حفل مبايعة فيصل ملكاً على سوريا، وهو قرار اتخذه المؤتمر السوري؟

٢١٧ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٣٤

٢١٨ـ المصدر نفسه، ص٢٣٧

من ان يقاوم. وشرح الوضع لفيصل، الذي اصيب بالدهول، لأنه لم يكن يعلم ان وضع الجيش سيء الى هذا الحد. فدعا مجلس الوزراء الى الاجتماع، وقد فند يوسف العظمة، ما قاله الهاشمي، واعرب عن استعداده لتحمل المسؤولية، بصفته وزير الدفاع. ويذكر احمد قدري، ان العظمة قال له «ان الهاشمي اخذته الغيرة، بعد ان اصبح مركزه في الجيش ثانوياً، فادعى ما ادعاه»[219]. وذكر العمري ان الملك اسقط في يده، حين علم بوضع الجيش، وضعفت عزيمته واضمحلت همته[220]. وحاول بعض اعضاء المؤتمر معارضة فكرة قبول الانذار، الامر الذي اثار فيصل، فطلب من كل عضو من اعضاء المؤتمر كتابة رأيه بورقة، لا يطلع عليها احد، ووعدهم بانه سيأخذ برأي الاكثرية. لكن الاقتراح لم يؤخذ به[221].

خلصت المناقشات الى ان المقاومة لا جدوى منها، وحمل الملك، ياسين الهاشمي، مسؤولية عدم تطوير الجيش وتوسيعه. وأكد لاحمد قدري، «ان الحكمة اصبحت تقضي علينا بمسالمة فرنسا»[222].

حاول فيصل التعلق بأخر امل، فارسل نوري السعيد وعادل ارسلان، الى اللنبي الذي كان في حيفا، لاخذ رايه، فكانت نصيحته قبول الانذار الفرنسي.[223] وقد اخذ الملك واعضاء حكومته بنصيحة اللنبي، بعد ان ايقن الجميع ان المقاومة اصبحت اقرب الى الانتحار منها الى مواجهة عدو متفوق. كما اشار عليه ضابط الارتباط الفرنسي «تولا» بقبول الانذار، لان غورو مصمم على دخول دمشق «دخول الظافرين، وعلى رأسه اكاليل الغار».[224]

٢١٩ـ المصدر نفسه، ص٢٣٩ـ٢٤٠؛ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٣

٢٢٠ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٠

٢٢١ـ المصدر نفسه، ص٢٤٦

٢٢٢ـ المصدر نفسه، ص٢٤١

٢٢٣ـ سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٦٢

٢٢٤ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٤٤ـ٢٤٥

طالب الجنرال غورو، بالمباشرة بتنفيذ الشروط فوراً، وعدم الاكتفاء بقبولها. وقد باشرت الحكومة فعلاً، بالتنفيذ، فسرحت الجيش.[225] وبعث فيصل برقية الى غورو، يؤكد له فيها، ان حكومته باشرت بتنفيذ الشروط، لكن غورو طلب ارسال كتاب يؤكد قبول الشروط.[226]

ولدت انباء قبول الانذار ردود فعل عنيفة وسط الشعب اذ شهدت دمشق، انتفاضات جماهيرية واسعة، ودعا معظم نواب المنطقة الساحلية وفلسطين، الى رفض الانذار. في حين التزم نواب المنطقة الشرقية، الصمت. ويذكر الاستاذ ساطع الحصري، ان المظاهرات اقتربت من قصر الملك، فثارت ثائرته، بشكل لم نعهده فيه من قبل، اذ اخذ يصرخ قائلا، انا لا اهدد، وأراد ان يأمر رجال الحرس بالخروج لتشتيت شمل المتظاهرين. وازاء هذه التطورات، اخذنا كلنا نبحث عن الوسائل التي تضمن الحيلولة دون خروج الحرس من القصر، من ناحية، ودون وصول المتظاهرين الى جوار القصر، من ناحية ثانية، ولم نوفق الى ذلك، الا بعد بذل جهود مضنية.[227]

ويذكر احمد قدري ان المتظاهرين، هتفوا ضد الملك، واتهموه بالاشتراك مع الحكومة، بعمل شائن. وان بعض «ذوي الاغراض» كما اسماهم، اشاعوا بان المتظاهرين يريدون الفتك بالملك. وحين سمع فيصل بذلك قال «اهذه مكافئتي على جهودي، التي طالما بذلتها في سبيل بلادي؟ فأهدد بالقتل، واوصم بوصمات، يعلم الله اني بريء منها: الا ليت زعماء المتظاهرين الان كانوا قد اصغوا لنصائحي، واتبعوها، مهتمين باعداد المعدات للدفاع والكفاح. اذن لما تورطنا في موقفنا الحرج، ولما انتهينا الى هذه العاقبة.[228]

في التاسع عشر من تموز، قرر المؤتمر رفض الانذار، وهدد الوزارة

٢٢٥ـ المصدر نفسه، ص٢٤٥-٢٤٦

٢٢٦ـ للمزيد من التفاصيل راجع كتابي احمد قدري وساطع الحصري، المار ذكرهما

٢٢٧ـ ساطع الحصري، يوم ميسلون، ص١١٣

٢٢٨ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٤٩

بسحب الشرعية منها اذا ما قبلت الانذار، وقد استمرت التظاهرات الواسعة، وهاجم المتظاهرون، قلعة دمشق واستحوذوا على مستودعاتها. فاضطرت قوات الامن الى اطلاق الرصاص عليهم، بعد ان عجزت عن السيطرة عليهم، مما ادى الى مقتل ١٢٠ شخصاً، واصابة ٣٠٠ بجروح.[٢٢٩] وفي اليوم التالي، اعدت الوزارة المذكرة الخاصة بقبول الشروط، التي طلبها غورو. وتم تسليمها الى العقيد تولا، الذي اعلم بدوره، غورو، بلأستلام. لكن القوات الفرنسية باشرت بالزحف، نحو دمشق، في اليوم التالي لاستلام المذكرة - ٢١ تموز - وهذا يعني ان الفرنسيين، ارادوا السيطرة على البلاد بالقوة، في كل الاحوال. فاستدعى فيصل، الذي تمكن من السيطرة على اعصابه اكثر من جميع رجال الحكومة، كما يقول احمد قدري،[٢٣٠] استدعى العقيد كوس، ضابط الارتباط الفرنسي، مستفسراً عن سبب تقدم القوات الفرنسية، رغم قبول الشروط، وحين استفسر كوس من حكومته، اخبره المسوولون، بان البرقية المتعلقة بقبولها الشروط، قد تاخر وصولها، الى الجنرال غورو، بسبب انقطاع الاسلاك، فاضطر غورو الى اصدار اوامر بالزحف.[٢٣١] وقد اكد غورو، للاستاذ ساطع الحصري، وزير المعارف، هذه الحقيقة بعد ذلك.[٢٣٢]

لم يجد فيصل امامه من سبيل سوى المقاومة، وفي الوقت نفسه، بعث برقيات احتجاج الى الدول الكبرى، كما بعث برقية الى غورو، اعرب فيها عن دهشته للعمل الذي قامت به القوات الفرنسية، رغم قبول الشروط، وطلب منه سحب قواته.[٢٣٣] ثم اوفد اليه الاستاذ ساطع الحصري، فعاد الاخير بشروط جديدة، منها يقاف مساعدة الثوار، وموافقة الحكومة السورية على اعتبار زحف القوات الفرنسية، احراء جاء لظروف اضطرارية.[٢٣٤]

٢٢٩- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٦٣

٢٣٠- احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٤٩

٢٣١- ساطع الحصري، يوم ميسلون، ص١١٥

٢٣٢- المصدر نفسه، ص١٢١، احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٥٠

٢٣٣- انظر نص البرقية في. احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٥٠

٢٣٤- ساطع الحصري، يوم ميسلون، ص١٢٥-١٢٧

فقبل فيصل بالشروط الجديدة، بعد ان عرضها على الوزراء، واجمعوا على قبولها بما فيهم يوسف العظمة. وهذا يعني ان الحكومة ارادت تجنب الاصطدام مع الفرنسيين تقديراً لمسؤوليتها، لكن الفرنسيين كانوا مصرين على دخول دمشق بالقوة، فقرر غورو التقدم الى ميسلون بحجة توفر الماء هناك، وذكر انه لايستطيع ان يأمر جيشاً بالانسحاب، بعد ان اصدرله الاوامر بالتقدم.[٢٣٥] وكانت هذه حجة واهية، تنم على تصميم غوروعلى دخول دمشق فاتحاً.[٢٣٦] وقد اعرب فيصل لغوروعن رغبته بتجنب الحرب، لكن الاخيربعث بشرط جديد، هوضرورة احتلال ميسلون لتوفر الماء هناك.[٢٣٧] وكان رأي فيصل، ان هذا معناه تعريض البلاد الى حرب اهلية وجعلي «انا وكل عضو من اعضاء الحكومة عرضه للتهلكة».[٢٣٨] ولم يكن امام فيصل الا ان يستغيث ثانية بمن لايستجيب له، وهم ممثلو الدول الاجنبية وساستها. ووعد فيصل بتنفيذ كل الشروط، اذا ما انسحبت القوات الفرنسية.[٢٣٩] لكن جنون الاحتلال عصف بعقل الغزاة، فواصل الجيش الفرنسي تقدمه، مما اضطر القوات العربية الى مواجهته في ٢٤ تموز ١٩٢٠، في وادي ميسلون، حيث دارت رحى معركة غيرمتكافئة، انتهت بانسحاب القوات العربية بعد ان استشهد وزير الحربية، يوسف العظمة. ويذكر احمد قدري ان الملك قال للعظمة قبل ان يغادر الى ميسلون، ان علينا ان نموت جميعاً شرفاء وننقذ البلاد من حرب اهلية. واستشهد بقول المتنبي:

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم[٢٤٠]

٢٣٥- المصدر نفسه، ص١٢٤

٢٣٦- سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٦٤

٢٣٧- ساطع الحصري، يوم ميسلون، ص١٤٠

٢٣٨- احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٥٩

٢٣٩- المصدر نفسه، ص٢٥٩

٢٤٠- المصدر نفسه، ص٢٦٢. اودع يوسف العظمة ابنته، امانة عند الملك، وبعد استشهاد والدها، خصص لها فيصل راتباً تقاعدياً، قدره عشرون جنيهاً استرلينياً في الشهر.

وقـد اورد اسكنـدر الرياشي ، وهو احد العاملين في جهاز الاستخبارات الفرنسية ، في كتـابـه «رؤسـاء لبنـان كمـا عرفتهم» حقيقـة مهمـة مفادها ، ان اجبار فيصل على محـاربـة القـوات الفـرنسيـة ، كانت مؤامـرة فرنسيـة للقضاء عليه ، وانهم كانوا « في المكتب الثـاني للقـائـد الفـرنسي نراقب نجـاح هذه المؤامرة على الشريف وعرشه ، وعلى استقـلال سوريـة ، ونعـرف انـه سيضطر الى حشد جيوشه ومتطوعيه فيكون هو البادىء المعتدي ويكون الفرنسيون في حالة الدفاع عن النفس» .(٢٤١)

وكـان الملك قد ذهب الى قريـة الهـامة لتقصي الانباء ، بعد ان امر زيداً بالتوجه الى الجبهـة . وحين علم بالنتيجـة ، في اليـوم التـالي قرر الانتقال الى الكسوة ، وترك نوري السعيـد في دمشق ، قائـداً لمـوقع المدينة ، وطلب منه الاتصال بكوس لمعرفة نوايا الفرنسيين .(٢٤٢) وفي طريقـه الى الكسوة التقى بيوسف الحكيم ، الذي قال في مذكراته ، ان الملك كان متعباً واغرورقت عيناه بالدموع حين جاء ذكر يوسف العظمـة .(٢٤٣) وقـال له فيصـل ، لو كانت للاقليـة التي قبلت اتفـاقي مع كليمانصو ، الجرأة التي كانت للأكثرية الجاهلة ، لما حدث ما حدث . وقال له ايضاً ان بريطانيا تركت العرب في منتصف الطريق ، وفضلت التفاهم مع فرنسا .(٢٤٤)

في هذه الاثنـاء بعث نوري السعيـد برقية مشجعة ، اذ توصل الى اتفاق مؤقت مع الفرنسيين ، فطلب منه فيصل ان يكون قريبا من دمشق .(٢٤٥) كما كلف فيصل ، علاء الـدين الـدروبي ، المعـروف بحسن علاقته مع فرنسا ، بتشكيل الوزارة . وارسل كبير امنـائـه ، احسـان الجـابري ، لمعرفة الموقف ، فاجتمع بممثل ايطاليا ، وعلم منه ان فرنسـا ، ستتخـذ من ترك الملك دمشق ، ذريعـة لسحب الشـرعيـة عنـه ، واوصاه بان ينصح فيصل بالعودة الى دمشق ، وقد استصوب الملك الفكرة ، حين عرضت عليه . واعرب عن استعداده للموت «جندياً شريفاً على اعتلاء العرش ذليلاً» .(٢٤٦) فعاد الى

٢٤١ـ اسكندر الرياشي ، زعماء لبنان كما عرفتهم ، بيروت ، ١٩٦١م،ص٢٧٢ـ٢٧٦

٢٤١ـ احمد قدري ، المصدر السابق ، ص٢٦٥

٢٤٣ـ يوسف الحكمة ، المصدر السابق ، ص١٩٩

٢٤٤ـ المصدر نفسه ، ص٢٠٢،٢٢١

٢٤٥ـ المصدر نفسه ، ص٢٠٠ ، عبد الرزاق احمد النصيري ، المصدر السابق ، ص٧٣

٢٤٦ـ احمد قدري ، المصدر السابق ، ص٢٦٨

دمشق، لكن الوزارة الجديدة لم تقم بشيء يذكر. وقد ابلغ تولا، الملك بضرورة مغادرة دمشق، لانه جر البلاد الى شفى الهلاك، وهو المسؤول الاول عن كل ماحدث من اضطرابات دموية في سورية، في الاشهر الاخيرة. فاحتج فيصل ببرقية بعث بها الى غورو في ٢٧ تموز، على تلك الاتهامات واعتبر جميع المكالمات التي تدور بين غورو والحكومة السورية، او التعليمات التي تصدر الى الحكومة من فرنسا «ملغاة وغير مشروعة امام جمعية الامم»[٢٤٧] وكان فيصل يعني بالعبارة الاخيرة، الاوامر التي اعطتها فرنسا، الى الحكومة السورية، بدفع تعويضات بسبب الخراب الذي حدث، في المنطقة الغربية، ونزع سلاح الجيش السوري، وتسليمه للفرنسيين، فضلاً عن نزع السلاح عن الشعب.[٢٤٨] وكان رد الحكومة الفرنسية ان اكدت له ضرورة ترك دمشق، فرد بان ليس من حق حكومة فرنسا تجريده من سلطة منحها اياه، المؤتمر السوري رسمياً. وان دخول القوات الفرنسية دمشق، خرق لمقررات مؤتمر الصلح، ومباديء عصبة الامم. وسلم نص الاحتجاج الى ممثلي الدول.[٢٤٩] كما بعث برقية الى اللورد كرزون، وكان يتوقع حتى اللحظة الاخيرة، ان تسعى بريطانية لنجدته. ويبدو انه لم يصدق ان حليفته، التي وقف الى جانبها في ساعات المحنة، تتخلى عنه في موقف، هو احوج اليها من اي وقت اخر. وذكر الملك لعدد من الوطنيين انه ليس من شيمته ان يعمل ماعمل الخديوي توفيق، الذي اتفق مع الفرنسيين ضد شعبه. وتألم لان الوطنيين، لم يأخذوا بفكرة الاعتدال التي نادى بها. وقد التقى الملك باعضاء الوزارة الذين استفسروا منه، فيما اذا كان يرغب بان يستقيلوا، فرد عليهم «اوصيكم بان تثابروا على اعمالكم الوزارية لخدمة الشعب العزيز، وان تتمسكوا بالعزم والصبر معاً، بانتظار ماتقرره السياسة العليا، في اوربا. . . .»[٢٥٠] ويذكر الحكيم ان الملك كان محافظاً على وقاره واتزانه.[٢٥١]

٢٥٠ـ يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص٢٠٨

٢٥١ـ المصدر نفسه، ص٢٠٨

٢٤٧ـ المصدر نفسه، ص٢٦٩؛ اسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية دار القاهرة للطباعة، القاهرة، سنة الطبع؟ ص١٤٨

٢٤٨ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٦٩

٢٤٩ـ انظر نص الاحتجاج في المصدر اعلاه، ص٢٧٠-٢٧٢

غادر الملك، دمشق بالقطار، وكان معه ساطع الحصري، وسكرتيره الخاص عوني عبد الهادي، واحسان الجابري وتحسين قدري واحمد قدري. ولم يكن في وداعة الاعدد قليل من الاهالي. وقال لمودعيه «اني لم اسع لملوكية، بل سعيت لامتي، التي هي عريقة منذ القدم منذ ٥٠٠٠ سنة. اسعى لتحيى بعد ذلك حياة طيبة سعيدة... انا ذاهب الان الى درعا، ولا اعلم اين اتوجه بعد ذلك، الى الجنوب ام الى اوربا، اوالى غير ذلك... كنت اقول ثقوا بي ولاتعصوا امري، لعلي ابلغ بكم نهج السبيل، فلم اقدر على الاسماع... كلنا وطنيون، ولكن فينا الوطني المتعقل والوطني المتهور». [٢٥٢]

حين وصل القطار درعا، توقف الملك واستقبله عدد كبير من شيوخ وزعماء حوران واعربوا له عن استعدادهم للوقوف الى جانبه، اذا ما اتفق مع بريطانية، فاوضح لهم ان المقاومة لم تعد مجدية، واوصاهم بعدم المقاومة، اذا لم يحصلوا على تأييد من بريطانيا. وفي هذه الاثناء وردت برقية من رئيس الوزراء، علاء الدين الدروبي، يرجو فيها من الملك مغادرة درعا بسرعة لان الفرنسيين مصممون على قصف درعا، اذا بقي فيها الملك، فقرر الانصياع لامرهم، فتوجه الى حيفا في الاول من آب، وتوقف قليلاً في محطة العفولة، حيث قدم له الشاي. من مخزن لبيع الاطعمة، تابع للجيش البريطاني. وقد فوجيء الملك حين طلب منه دفع ثمن الشاي. وبعد ان وصل حيفا ابرق الى والده طالباً بعض المال للسفر الى اوربا لعرض القضية العربية على المحافل الدولية. [٢٥٣] ويذكر رونالد ستورز، ان وجود فيصل في حيفا اقلق هربرت صومائيل، اذ ان وفوداً عديدة جاءت لتحيته، لذلك كان يرى ضرورة ان يغادر البلاد بسرعة، [٢٥٤] اما هربرت صومائيل، فقد قال في مذكرته، انه

٢٥٤ـ خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص٢٠٩ـ٢١٠

٢٥٢ـ محمد طاهر العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٣

٢٥٣ـ احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٧٣ـ٢٧٧، اسعد داغر، المصدر السابق، ص١٤٨ـ١٥٠

قرر ان يستقبل فيصل كصديق حميم محترم، لاكلاجيء سياسي مغلوب على امره. لهذا امر ثلة من الجنود ان ياخذوا التحية له في المحطة، عند وصوله، وكان رونالد ستورز، على رأس مستقبلي فيصل. وذكر صموائيل انه علم بعد ذلك ان الملك لم يكن يدري اجاء الجنود لتحيته ام لالقاء القبض عليه.[٢٥٥]

غادر الملك حيفا الى بور سعيد، فلم يجد من يستقبله، ممثلاً للحكومة المصرية، او الجنرال اللنبي. وبقى ينتظر جالساً على امتعته كاي مسافر عادي.[٢٥٦] ثم جاء السيد عبد الملك الخطيب، معتمد حكومة الملك حسين، وسلمه جوازات سفر باسم الحكومة العربية الهاشمية. ثم سافر الى نابولي، لتنتهي بذلك مرحلة مريرة ومؤلمة من حياته، ومن تاريخ القضية العربية.

لابد لنا ان نشير في خاتمة هذا الفصل الى رأي كل من الدكتور علي الوردي والدكتور كمال مظهر احمد، بالملك فيصل في هذه المرحلة. فقد ذكر الدكتور الوردي، ان الملك اخطأ حين حاول الرضوخ للفرنسيين، بعد معركة ميسلون وكانت تلك «نقطة سوداء في تاريخه» وكان الاحرى به ان يتجنب الوقوع في ذلك الخطأ لكي يخرج من سورية، مرفوع الجبين، كما يفعل الابطال الاباة. ان يوسف العظمة. كان افضل منه، اذ هو اثر ان يموت شهيداً، بدلاً من تحمل الاهانة. وضرب بذلك مثلاً عالياً تذكره له الاجيال القادمة»[٢٥٧] اما الدكتور كمال مظهر، فقد اعتبر الملك فيصل نموذجاً للجناح اليميني للتحرك الوطني ،/المستعد للمساومة، وكان عليه ان يقتدي بنماذج افضل كالامير عبد القادر الجزائري.[٢٥٨]

255- Sammel memoris, London, 1945,p.157-159

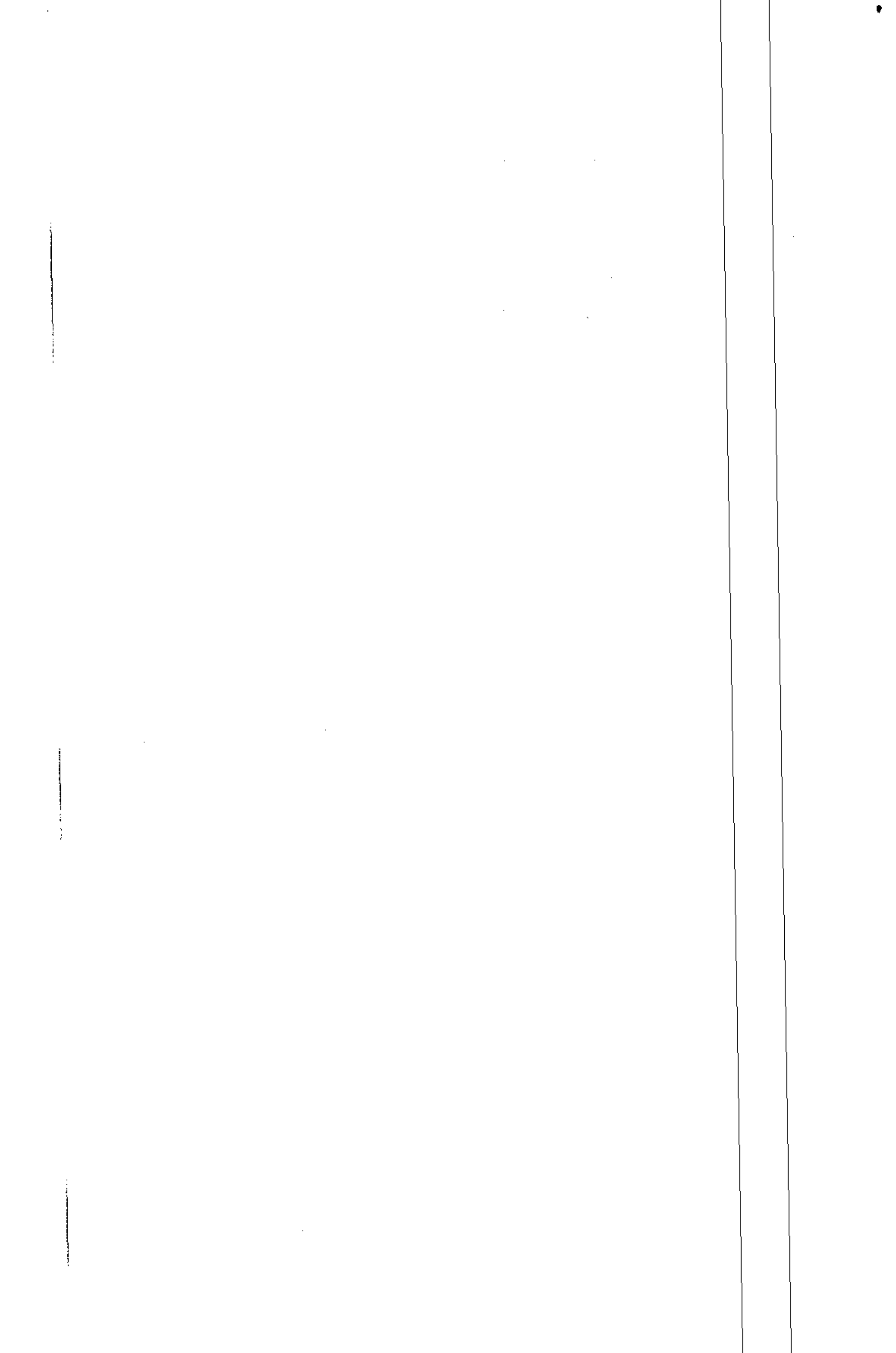
نقلاً عن الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ملحق الجزء السادس، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٩، ص١٦٦

٢٥٦ـ علي الوردي، المصدر نفسه، ص١٦٨

٢٥٧ـ المصدر نفسه، ص١٧٧

٢٥٨ـ الدكتور، كمال مظهر احمد، الباحث عن العرش،المقال المار ذكره

لاينكر ان الملك ذهب بعيداً في مساومة الفرنسيين وتجنب الاصدام معهم بشتى الـوسـائـل، كمـا لاحظنـا. وكـان هذا اجتهاداً سياسياً، املته ظروف الوضع العربي والدولي انذاك، وكان من المفروض ان يكون موقف الملك اكثر حزماً، وعدم الميل الى المســاومـة الى هذا الحـد، حتى انـه عاد الى دمشق بعـد ان غادرهـا اثـر معركة ميسلون، وهـو امـر يؤخـذ عليـه. امـا مسألة الاقتداء بعبد القادر الجزائري، فهو رأي يتأرجـح امـام النقـد، ذلـك ان الامير عبد القادر الجزائري اضطر اخيراً الى ان يسلم نفسه للسلطات الفرنسية، بعد ان ايقن من عدم جدوى المقاومة.



الفصل الثالث
دور الملك فيصل السياسي في العراق
١٩٢١ - ١٩٣٣

فيصل وعرش العراق:

بعد ان غادر فيصل بورسعيد، كما اشرنا في الفصل السابق، وصل ميناء نابولي الايطالي، وبقي هناك في عزلة على شواطيء بحيرة «ماجوري» حتى كانون الاول ١٩٢٠. [١] ذلك ان المسؤولين البريطانيين طلبوا منه ان يمهلهم قليلاً لحين حل المشاكل الدولية. [٢] ثم سافر بعد ذلك الى لندن، ليشرح لساسة بريطانيا تفاصيل ماحدث، وكان موقف بريطانيا ضعيفاً امام الرأي العام. بسبب نكث عهدهم للعرب، ومما زاد من حراجة هذا الموقف، ان رئيس وزراء بريطانيا، لويد جورج، سبق ان قال امام البرلمان في ٢٩ نيسان ١٩٢٠ «لايسع احد ان يجد اكثر استقامة واخلاصاً واكثر رغبة في التعاون مع الحلفاء، من فيصل، في وقت السلم، كما في وقت الحرب» [٣] وهذا يتناقض مع الموقف الحقيقي الذي وقفته بريطانيا من فيصل، في ازمته مع فرنسا. [*]

وفي محاولة من بريطانيا لتجميل صورتها السياسية امام شعبها والرأي العام، قررت اسناد عرش العراق الى فيصل. [٤] وبذلك اوحت انها لايمكنها ان تتخلى عن حلفائها كما ستضمن اعتدال فيصل وعدم تطرفه، لان ماحدث له في سوريا سيجعله بعيداً عن التطرف في المواقف السياسية.

وحقيقة الامر ان بريطانيا بدأت تفكر في اسناد عرش العراق الى فيصل، بعد ان اخرجه الفرنسيون من دمشق، مباشرة، وليس من المستبعد ان تكون بريطانيا قد فكرت في ذلك، قبل هذا التاريخ، الامر الذي دفعها الى تركه لوحده يواجه الفرنسيين، كي تلعب بعد ذلك دور «صانع الملوك» في العراق. ففي الثلاثين من تموز، سأل اللورد كرزون، وزير الخارجية، ارنولد ولسون وكيل الحاكم العام

---

* سخر لورنس من موقف بريطانية ازاء فيصل، واشار الى انها لا يمكن ان تلوم فرنسا على ما فعلته في سورية، لانها فعلت الشيء نفسه في العراق، بعد ثورة عام ١٩٢٠. انظر محمد طاهر العمري المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٠-٢٧١.

١- جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص٤٢٤

٢- احمد قدري، المصدر السابق، ص٢٧٩

٣- المصدر نفسه، ص٢٧٩

للعراق، عن رأيه بعد اخراج فيصل من سوريا، فرد عليه ولسون ببرقية جاء فيها «تنص برقيتكم المؤرخة في ٣٠ تموز، على ان الامير فيصل قد اجلي عن درعا، في منطقة النفوذ البريطاني، بناء على امر الفرنسيين. ويرى من في بغداد، ان ذلك يعني احد امرين، اما ان يكون الامير في طريق عودته الى الحجاز، او انه ينوي البقاء في هذا الجزء من سوريا، المشمول بالنفوذ البريطاني، فان بقى في درعا، واستمر على الادعاء بعرش سوريا، فانه سيجمع حوله عدداً لا باس به من موظفيه السابقين، فيكون مصدر ازعاج دائم للفرنسيين. اما اذا تنازل عن مطالبة في سوريا، وطالب بزعامة فلسطين فقط، فان وجوده فيها سيخلق المتاعب لفرنسا، ويجعلنا في وضع صعب جداً. فهل لحكومة صاحب الجلالة ان تفكر في امكان اسناد امارة العراق اليه... وليس هناك مرشح محلي بامكانه الحصول على تأييد يمكنه من القيام بالمهمة، اذ ان فيصل الوحيد بين زعماء العرب الذي يدرك المشكلات العملية في ادارة حكومة متمدنة بموجب الطرق العربية، اذ انه لايخطيء التقدير، بان المساعدة الاجنبية امر حيوي لاستمرار وجود دولة عربية. كما انه يدرك الخطر الذي ينجم من الاعتماد على جيش عربي، فاذا قدمنا اليه امارة العراق،فانالن نسترجع مكانتنا في نظر العالم العربي، فحسب، ولكننا قد ننجح الى حد كبير في القضاء على التهمة التي قد توجه الينا، بخيانتنا لفيصل، ولاهل هذه البلاد. [٥] وكان ولسون اول الامر، ضد فكرة تعيين احد ابناء الشريف حسين، ملكاً على العراق. [٦]

بناء على ذلك اتصل كل من هيوبرت يونغ وكورنواس بفيصل، ولكن بشكل غير رسمي، تمهيداً لعرض الفكرة عليه. وذكر له كورنوالس، ان في نية بريطانيا تنصيب حاكماً على العراق، لايعارض الانتداب، ولايثير مشاكل لفرنسا في المنطقة. [٧] كما اتصل به لورنس واقنعه بقبول عرش العراق، مادامت الانظار قد توجهت اليه. لكنه تردد اول الامر، اذ ان العراقيين رشحوا اخاه عبد الله لهذا المنصب. [٨] ويذكر الملك

5- Arnold T. Wilson, Loyalities Mesopotamia (1917 - 1920) Vol.2, clash of loyalities, Ist ed. London, 1930 P 305

٦ـ فاروق صالح العمر، حول السياسة البريطانية في العراق «١٩١٤ـ١٩٢١» منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة الارشاد، بغداد، ص١٠١

٧ـ المصدر نفسه، ص١٠٣

٨ـ المصدر نفسه، ص١٠٣

عبد الله. «ان تشرشل فاتحة الموضوع، وطلب منه ان يقنع والده، بان يبقى هوفي شرق الاردن، فكان رد عبد الله «اذا كنتم تريدون ترشيح الامير فيصل لعرش العراق، لانكم تعتمدونه، فذلك يسرني. واخي فيصل، كفء لذلك. وساخص والدي على ان يقبل ذلك». [٩]

لقد كانت بريطانيا تتوخى الكثير من الفوائد في اسناد عرش العراق الى فيصل، يمكن اجمالها بمايلي :-

١- تحسين سمعتها السياسية التي ساءت كثيراً بسبب نقضها الوعود التي قطعتها للشريف حسين، وتركها فيصل يواجه فرنسا لوحده.

٢- ان فيصل يمكن ان يمثل من الناحية الدينية الشخص الذي تلتقي عنده الطوائف في العراق.

٣- ان فيصل له صلات حسنة مع بريطانيا، كما ان له خبرة بالادارة العراقية البريطانية ويستطيع ان يدير العراق بارتباطه الوثيق بها، على افضل وجه، وافضل من اي عربي اخر

٤- عدم اتفاقه مع البلاشفة، اذ انه ضد الشيوعية، وان قيادته الدولة الاسلامية سوف يكون لها اثر كبير في عدم توسيع الشيوعية في المنطقة. [١٠]

كما ان بقية المرشحين للعرش، لم يكونوا بمستوى فيصل، من جميع الوجوه. وفي هذا الخصوص يقول لونكريك، ان عبد الرحمن النقيب، كبير السن، وليس هناك في عائلته شخصية مقبولة يمكن ان تخلفه. وان شخصية طالب النقيب تبعث على الخوف، ولم يكن لوالي بشتكوه شعبية تذكر. اما الشيخ خزعل، فلم يكن هناك من يفكر به، وكذلك امير نجد ابن سعود. ولم يكن بوسع بريطانيا قبول الامير التركي، برهان الدين، والشيء نفسه بالنسبة لاغا خان. [١١] وكان طالب النقيب اكبر

٩- الملك عبد الله، المصدر السابق، ص٢٤١-٢٤٢

10- F.O.,371/634, Minute «The proposed kingdom of Mesopotamia, geneal staff war office» 17 Feb- 1921

نقلا عن فاروق صالح العمر. المصدر السابق، ص١٠٥

11- Stephen Hemsly Longrigg, Iraq «1900- 1950» Apolitic, Social and economic history 3rd ed. Bierut, 1968 p, 130

منافسي فيصل، لكنه كان ذا طموح كبير اثار قلق السلطات البريطانية.[١٢]

كل هذا جعل بريطانيا تفضل فيصل على غيره ليصبح ملكاً على العراق، وقد تعهد فيصل لبريطانيا بعدم اثارة المشاكل لفرنسا التي كانت تفضل شقيقه عبد الله. واعتبرت ترشيح فيصل لعرش العراق عملاً غير ودي.[١٣]

غادر فيصل لندن الى الحجاز، بعد ان ضمنت له بريطانيا العرش الجديد، وكان فيصل يرى في هذا العرش خطوة نحو استقلال هذا الجزء من الوطن العربي. وهو ماقامت من اجله الثورة، التي اعلنها والده ضد الدولة العثمانية.

في طريق عودته مر فيصل بالقاهرة، والتقت به احدى الصحفيات، التي ذكرت انه بدا اكبر سناً مما رأته في دمشق، اذ ظهر الشيب في رأسه، وحين سألته عن عرش العراق ابتسم وقال، ان العراق في الوقت الحاضر، كالكتاب المغلق، وانه سيسافر الى جدة لحسم الموضوع مع والده، وحين سألته عن رغبته في العرش، اجاب بانه لن يمتنع، اذا كانت تلك هي رغبة الشعب، وانه شخصياً ليس له اي مطمع ذاتي في العرش. ومن اجل ان يثبت حسن نواياه تجاه فرنسا، اجاب على سؤالها حول الاحداث التي انتهت بخروجه من سوريا «هذه حوادث مضت، فلندعها، انما يجب ان ننظر الى المستقبل».[١٤]

بعد ان وصل جدة، اجتمع فيصل بابيه واخوته، لمناقشة مستجدات الاحداث. وفي الوقت نفسه، اوفد رجال الثورة العراقية الشيخ محمد رضا الشبيبي، الى الشريف حسين ليعرض عليه فكرة ارسال الامير فيصل الى العراق، باعتبار ان مختلف طبقات الشعب قد اجمعت عليه،[١٥] كما انهالت الكثير من البرقيات من شيوخ القبائل ووجهاء المدن العراقية والشخصيات الوطنية على الشريف حسين

١٢ـ خيري امين العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، منشورات مكتبة آفاق عربية، بغداد، ص٦٥-٦٦

١٣ـ فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص١٠٥

١٤ـ العراق، ٢٧/٥/١٩٢١

١٥ـ فريق مزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ونتائجها، مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٥٢، ص٥١٦

تناشده بارسال نجله فيصل الى العراق.[١٦] وقد وقع بعض هذه البرقيات محمد مهدي البصير وحمدي الباجة جي وبهجت زينل.[١٧]

ويذكر البازركان، ان الشريف حسين سأله عن السبب الذي جعل العراقيين يطالبون بترشيح فيصل بعد ان كانوا يريدون، عبد الله، فأجابه، ان فقد الامير فيصل عرشه في سوريا، هو الذي جعلهم يغيرون رأيهم، اذ ان فيصل الان «من غير شغل» على حد تعبيره. وقد اعرب الشريف حسين عن خوفه من ان يلاقي فيصل، نفس المصير الذي لاقاه جده الامام الحسين بن علي، وقد طمأنه البازركان، بان الظروف قد تغيرت.[١٨]

الاعداد لتنصيب فيصل :-

سبق للعراقيين ان اعربوا عن رغبتهم بتنصيب احد ابناء الشريف حسين ملكاً على العراق، وذلك في الاستفتاء الذي اجراه، ارنولد ولسون عام ١٩١٨-١٩١٩. ورغم ان الانظار كانت متوجهة اول الامر الى الامير عبد الله بن الحسين، فان الرأي تغير كما ذكرنا، اذ وافق المجلس الحزبي للثورة في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٠، على ترشيح فيصل للعرش، وليس من المستبعد ان تكون الدعاية البريطانية قد لعبت دورها في هذا الجانب.

وفي المؤتمر الذي عقد في القاهرة في آذار ١٩٢١، لمناقشة مشاكل بريطانيا في الشرق الاوسط، ومنها العراق، تم الاتفاق على ان يكون احد ابناء الشريف حسين حاكماً على العراق.[١٩] ورأى المؤتمر ان الامير فيصل مناسب اكثر من غيره لتقلد هذا المنصب، وكان تشرشل يعتقد ان فيصل هو المرشح الوحيد الذي يمكن

١٦- المصدر نفسه، ص٥١٨؛ متي عقراوي، العراق الحديث، ترجمة مجيد خدوري، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٦ ص٤٦

١٧- علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٥٤، ص٢٣٠.

١٨- المصدر نفسه، ص٢٣٠

19- P.R.O.F.O.,371/6343/4872,Report on Middle East conference held in cairo and jerasalem, March 12 to 30, 1921

الاتفاق معه لربط العراق وبريطانيا بمعاهدة تحالف، وكانت المس بيل، التي حضرت المؤتمر تتفق مع تشرشل في هذا الرأي.[٢٠] وفي الخامس والعشرين من آذار بعث جعفر العسكري، وزير الدفاع في الحكومة العراقية المؤقتة، والذي حضر المؤتمر بصفة عضو استشاري، برقية الى الامير فيصل اشار فيها الى انه تقرر بعث برقية الى الشريف حسين، لارساله الى العراق، وان نوري السعيد يعمل بكل فعالية في العراق.[٢١]

بعد عودة الوفد من المؤتمر تقرر نفي السيد طالب النقيب الذي كان ابرز منافس للامير فيصل، كما ذكرنا، وكان قد قام في هذه الفترة بنشاط واسع، لبث الدعاية لنفسه، فحاول رشوة بعض الصحفيين لهذا الغرض، اذ عرض على عبد الغفور البدري ١٢ الف روبية لكنه رفض.[٢٢] كما انه اغلق الصحف المؤيدة لفيصل، وسجن اصحابها،[٢٣] مستغلاً منصبه وزيراً للداخلية. كما حاول الاستعانة بالفرنسيين والايرانيين، لابعاد اي مرشح شريفي.[٢٤]، كما هدد باستخدام القوة، وادعى ان له اتباعاً في الهند ومصر واسطنبول وباريس.[٢٥].

ازاء نشاط السيد طالب هذا وبعد ان قام بجولة في جنوب بغداد بث الدعاية لنفسه، تم ابعاده الى خارج العراق، بامر من السلطات البريطانية[٢٦] كما تراجع الشيخ خزعل عن ترشيح نفسه، حين وجد ان السلطات البريطانية تقف الى جانب

20- Philip Willard Ireland, Iraq, Astudy in political development, Ist.ed.oxford, 1937, P.314

٢١ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ط٥، منشورات مطبعة دار الكتب، بيروت ١٩٧٨، ص٣٣

٢٢ـ طالب مشتاق، اوراق ايامي ١٩٠٠ـ١٩٥٨، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨، ص١١٠

٢٣ـ خيري العمري، شخصيات عراقية، ج١، مطبعة دار المعرفة، بغداد ١٩٥٥، ص٣٧

٢٤ـ هنري أ. فوستر، تكوين العراق الحديث، ترجمة عبد المسيح جويدة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٦، ص١٨١

25- Elizabeth Burgogne, Bell from her personal papers «1914-1920» Vol.2, London, 1961,p. 280

٢٦ـ هنري فوستر، المصدر السابق، ص١٨٠

ترشيح فيصل . وذكر في هذاالصـدد انه تنازل عن ترشيح نفسه لانه وجد في شخصية فيصـل ، «جميـع الصفـات والمواهب ، التي تؤهله لان يتولى ذلك العرش»[٢٧]. ومما يؤكـد حرص بريطـانيـا الشـديـد على مجيء فيصـل الى العـراق ، انهـا كانت ترسل البرقيات التي يبعثها العراقيون الى الشريف حسين لارسال نجله ، باللاسلكي ، خوفاً من ان تقع بيد اتباع السيد طالب ، وهذاماأكدتهالمس بيل في رسائلها المعروفة .[٢٨]

وكـانت السلطـات البريطانية تدرك جيداً ان قدوم فيصل الى العراق سيغضب ابن سعود، لذا اقترح تشرشل زيادة المعونة البريطانية له ، لتأمين علاقات طيبة بين الطـرفين .[٢٩] كمـا اسهمت الصحف المحلية في ترويج الدعاية للعائلة الهاشمية ، فكتبت جريدة العراق ان البيت الهاشمي «اقدم البيوت حسباً ونسباً ومجداً ، ولايعرف العـالم العـربي ، ارفـع من البيت الهـاشمي ، بيتـاً . وكفـاه تعظيماً انه فرع من فروع الشجـرة الطـاهـرة النبوية ، فانتخاب احد افراد هذا البيت العريق في المجد ، لعرش العـراق لايـزيـد ذلك الفرد شرفاً ، بل يمنح العراق مركزاً سامياً»[٣٠] ورغم انها نشرت مقـالاً بقلم «عـراقي مفكـر» طالب ان يكـون الملك من اهـل البـلاد ، اذ انه سيكون مطلعـاً على احـوالهم ، وان هنـاك الكثيرمن العراقيين الكفؤيـن لهذا المنصب ،[٣١] فانها سرعان ماردت عليه بمقال اكدت فيه ، ان ليس هناك عراقي كفؤ لهذا المنصب ، ثم اسهبت في توضيح فضل الشريف حسين باعلان الثورة العربية ، ضد الدولة العثمانية .[٣٢] . كما نشرت مقالاً بعنوان «الامير فيصل» كتبه رشيد الهاشمي ، تناول بشيء من التفضيـل دور الاميـر في الثـورة العـربيـة ومؤتمر الصلح . وجاء في المقال «عـرفت فيـه قائداً باسلاً ، وسمعت منه خطيباًمقصعاًوحدثت عنه سياسياً قديراً ووطنياً

٢٧ـ العراق، ١٩٢١/٦/١٤

28- Buryoyne. op. cit., p. 279-280

٢٩ـ عبد الله فهمي النفيسي ، دور الشيعة في تطـور العراق السياسي الحديث، دار النهار، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص١٧٤

٣٠ـ العراق، ١٩٢١/٥/٤ .

٣١ـ العراق، ١٩٢١/٥/٥ .

٣٢ـ العراق، ١٩٢١/٥/٧ .

كبيراً. فهو نابغة العرب في القرن الرابع عشر «الهجري».. كان يأكل كما يأكل الجنود ويركب الجمل ويغزو مع الجنود، ويعاشر العرب كانه واحد منهم، وقد اقسم ان لايرجع الى جلالة والده حتى يحرر سوريا والعراق، وقد بر بقسمه، واوفى بما عاهد عليه اباه». [٣٣] وذكرت في مقال اخر ان الظروف السياسية اقتضت ان يبقى الامير عبد الله في شرق الاردن، وان الانظار قد توجهت الان الى الامير فيصل، ثم اسهبت في ذكر مناقب الاخير وقالت انه من نوابغ الشرق النادرين، واشبه الناس بالسلف الصالح. [٣٤] واذا افتخر الالمان ببسماركهم والايطاليون غاريبالديهم «فيحق للعرب ان يفتخروا بفيصلهم» [٣٥] اما جريدة الموصل، فانها عارضت في تنصيب احد ابناء الشريف حسين، او اي عراقي، ملكاً على البلاد، باعتبار ان النظام الملكي قد يؤدي الى وصول شخص غير كفؤ الى العرش، اذ ان هذا النظام يقوم على الوراثة. [٣٦] فنشر احد الكتاب مقالاً في الصحيفة نفسها اكد فيه ضرورة ان يكون احد ابناء الشريف حسين ملكاً على العراق «لانهم الشرفاء الحقيقيون. وهم الاحق في سيادة الامة، فضلاً عن كفاءتهم، وانهم من قريش» [٣٧] ورداً على الاقوال التي شاعت من ان فيصلاً غريب على العراق، كتب «مصطفى ذهني» مقالاً ذكر فيه ان «الحجازي والعراقي والسوري والنجدي، كلهم شعب عربي، ينطقون بالضاد متحسسين بحاسيات واحدة، تجمعهم روابط وعنعنات متحدة. نجاحهم في تمسكهم بالعروة العربية الوثقى، التي لاانفصام لها». [٣٨] كما كتبت جريدة الموصل مقالاً اشادت فيه بفيصل ودوره السياسي في سوريا. [٣٩] وفندت جريدة لسان العرب، الادعاءات القائلة بلزوم انتخاب الامير عبد الله، باعتبار ان العراقيين سبق وان انتخبوه في

٣٣ـ العراق، ١٩٢١/٥/٢٤

٣٤ـ العراق، ١٩٢١/٥/٢٧.

٣٥ـ العراق، ١٩٢١/٦/٢٠.

٣٦ـ الموصل، ١٩٢١/٥/٢٠.

٣٧ـ الموصل، ١٩٢١/٥/٢٥.

٣٨ـ الموصل، ١٩٢١/٥/١٨

٣٩ـ الموصل، ١٩٢١/٥/٢٧.

المؤتمر السوري وان «البيعة ملزمة»، فذكرت ان ذلك سبباً غير وجيه، اذ ان الاميرين من اسرة واحدة، وان غرض اصحاب هذا الرأي، هو التمويه على الناس، وليس خدمة الوطن. ولم يستبعد كاتب المقال من ان هؤلاء قد يكونون معارضين لترشيح عبد الله نفسه.(٤٠)

* * *

في الرابع عشر من حزيران القى المستر تشرشل خطاباً في مجلس العموم، اكد فيه ان الحكومة البريطانية ابلغت الامير فيصل، بانها لاتعارض ترشيحه. وانها ستقف الى جانبه فيما اذا انتخبه الشعب العراقي، واذا ماتم ذلك، فان بريطانيا تكون قد توصلت الى حل ضمنت فيه مستقبلاً ناجحاً.(٤١) وبذلك تكون قد تهيأت الاستعدادات لترشيح فيصل لعرش العراق، فابرق الشريف حسين الى زعماء البلاد مؤكداً انه سيرسل ولده.(٤٢) كما ابرق فيصل الى عبد الرحمن النقيب مشيراً الى ان العراقيين يرغبون في ترشيحه ملكاً عليهم. وانه تناقش مع والده في الموضوع، واستقر الرأي على سفره الى العراق.(٤٣)كما ابرق الى السيد طالب النقيب ـ قبل نفيه برقية تحمل المضمون نفسه.(٤٤) ومما تجدر الاشارة اليه ان عبد الرحمن النقيب كان اول الامر معارضاً لتنصيب فيصل او اي فرد من افراد الاسرة الهاشمية على عرش العراق، حتى انه ذكر للمس بيل، انه يفضل عودة الاتراك الى العراق، على ان يرى الشريف حسين او احد ابنائه يحكم العراق.(٤٥) ويبدو **انه** رضخ لرغبة بريطانيا بعد ذلك.

في الثاني عشر من حزيران ١٩٢١ ابحر فيصل من ميناء جدة على ظهر الباخرة

٤٠ـ لسان العرب، ١٩٢١/٦/٢٩.

٤١ـ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج١، ص٤١

٤٢ـ المصدر نفسه، ص٣٣

٤٣ـ المصدر نفسه، ص٤٤

٤٤ـ المصدر نفسه، ص٤٥

٤٥ـ المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ص٤٨٠

«نـورث بورك» مودعـاً من قبـل ابيـه واخيـه الاميـر زيـد. وكان يرافقه عدد من رجاله المقـربين، وبعض الشخصيـات العـراقيـة. [٤٦] وفي الثـالث والعشرين من حزيران وصلت الباخرة ميناء البصرة. وقبل ان ترسو في الميناء قابلـها في عرض البحر زورق بخـاري، كان على ظهـره جون فيلبي وجعفر العسكري واحمد باشا الصائغ متصرف البصرة، وكانت مقابلة فيلبي للامير وحاشيته، جافة، بسبب عدائه للبيت الهـاشمي، [٤٧] ومعـارضتـه تنصيب فيصـل على عرش العراق، اذ انه كان من انصار السيـد طالب النقيب، والـداعين الى قيـام حكم جمهـوري، حتى انـه ادعى ان الحكومة البريطانية ضغطت على برسي كوكس ليوافق على تنصيب فيصل. [٤٨]

كان استقبـال الاميـر في البصـرة رائعاً، كما تصفه بيل. [٤٩] ويذكر آل فرعون، ان المـدينـة خرجت عن بكـرة ابيهـا لاستقباله، كما حضر عدد غير قليل من ابناء القرى المحيطـة بالمـدينـة. [٥٠] واقيمت الحفـلات والقيت الخطب والقصـائـد. [٥١] وفي المأدبـة التي اقيمت له في اليـوم التالي لوصوله، اكد الامير في كلمة القاها، ضرورة ان يكـون الشعب متحـداً ومتـآزراً، وان تكون نوايا الجميع، خدمة الوطن «واني والله لا أرغب ان أرى في المقامات العليا، غير من تجمع عليه الامة. واني اقسم بشرفي وتربة اجدادي، وبقبر جدنا الرسول (ﷺ) انني اول من يبايع الرجل الذي تتفق عليه الامـة جميعـاً، فاذا أردتم ان تولـوا عليكم شخصاً، عليكم ان تخلصوا له في القول» وطالبهم بصفاء النوايا وازالة الشكوك بينهم وبين الحاكم. [٥٢]

٤٦ـ منهم رستم حيـدر وتحسين قدري وعلي جودت الايـوبي ويـوسف السـويـدي ومحمـد الصدر وعلوان اليـاسـري ومحسن ابـو طبيـخ ورايـح العطية وابراهيم كمال وامين الكسباني ومرافقه صبيح نشأت ومكي الشربتي وكورنوالس الذي عين بعد التتوييج مستشاراً لفيصل

٤٧ـ علي جودت الايوبي، ذكريات علي جودت، مطابع الوفاء، بيروت ١٩٦٧ ص١٤٣ـ١٤٤

٤٨ـ جون فيلبي، ايام فيلبي في العراق، ترجمة جعفر خياط، دار الكشاف بيروت، ١٩٥٠، ص٣٦

49- Gertrude Bell, The letters of Gertrude Bell, Vol.2, London, 1927, P. 602

٥٠ـ العراق، ١٩٢١/٦/٢٨، فريق مزهر آل فرعون، المصدر السابق، ص٥٢٦

٥١ـ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٢٣، ص٣٤٧

٥٢ـ مديرية الدعاية العامة، المصدر السابق، ص٢٣٢ـ٢٣٣

ومن الملفت للنظر ان استقبال الامير في بعض المدن التي مربها وهو في طريقه الى بغداد، وبالذات في الفرات الاوسط، لم يكن بمستوى استقباله في البصرة، وقد لمس فيصل ذلك واشار اليه في مناسبة لاحقة. وحاولت بعض المصادر ومنها الصحف، ان تصور الاستقبال في هذه المدن بغير صورته الحقيقية، ويذكر علي جودت الايوبي، ان جعفر العسكري انفجر بوجه عبد الرزاق شريف رئيس بلدية الحلة، لانه لم يكن احد باستقبال الامير، غيره وبرترام توماس، وقد علل رئيس البلدية ذلك، بان احد لم يعلمه بساعة قدوم الامير، وان الوطنيين فقط كانوا على علم بذلك، لكن سرعان ما احتشد الناس لتحيته، وقد سأل برترام توماس، الامير عن السبب الذي دفعه للمجيء الى العراق، وكانت مفاجئة لفيصل الذي أراد معرفة سبب الاستفسار، فرد عليه توماس بوقاحة «ان الشعب لايريدك» فكان رد فيصل «لماذا تريد ان تتدخل انت بيني وبين اهلي» فقال له توماس انه اراد ان يعلمه بالحقيقة ليس غير،فرد عليه فيصل بانه لايحتاج الى ذلك وانه ـ توماس ـ سوف يرى ما اذا كان العراقيون يريدونه ام لا.

ثم مر الامير بالنجف حيث استقبل بحفاوة، والقيت العديد من الخطب والقصائد في استقباله وزار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء.[٥٣]

في التاسع والعشرين من حزيران، وصل الامير، بغداد، فخرج الناس الى الشوارع وعلى الشرفات والسطوح لرؤيته، ورفعت الاعلام.[٥٤] وتذكر بيل أن فيصل كان رائعاً.[٥٥] وقد حضرت وفود من معظم الوية ـ محافظات ـ البلاد، وقد تعلق الناس بالسيارة التي كانت تقل الامير.[٥٦] ويعلق محمد مهدي البصير ـ وهو من رجال ثورة العشرين ـ على استقبال الامير، بقوله، ان البلاد رقصت «فرحاً وصارت الايام اعياداً، واخذ البغداديون والموصليون والبصريون يجتمعون دائماً في الحفلات

٥٣ـ علي جودت الايوبي، المصدر السابق، ص١٤٤ـ١٤٥
كذلك ملحق جريدة العراق، ١٩٢١/٦/٢٥.

54- Bell, OP.cit., P.604

55- ibid., p.605

56- Burgoyne, op.cit, 222

الانيقة، والولائم الفاخرة»[٥٧].

في الحادي عشر من تموز ١٩٢١ قرر مجلس الوزراء باقتراح من عبد الرحمن النقيب المناداة بفيصل ملكاً على العراق، وقد تمت الموافقة بالاجماع. واشترط المجلس ان تكون الحكومة دستورية نيابية ديمقراطية، مقيدة بالقانون، ثم اعطت وزارة الداخلية تعليمات الى متصرفي الالوية بشأن اخذ رأي الشعب في تنصيب فيصل ملكاً على العراق. واوفدت لجنة الى كل لواء للاشراف على عملية الاستفتاء فقام فيصل بزيارة الاماكن المقدسة في الكاظمية ومرقد الامام ابي حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني، كما التقى بابناء الطوائف غير المسلمة كالمسيحيين واليهود، واوضح لهم سياسته التي سبق ان انتهجها في سوريا، والتي حملت شعار «الدين لله والوطن للجميع» وعند زيارته الكاظمية بايعه الشيخ محمد مهدي الخالصي، اذ خاطبه قائلاً «اننا نبايعك ملكاً على العراق، على ان تسيروا بالحكم سيرة عادلة، وعلى ان يكون الحكم دستوريا ونيابيا. وان لايتقيد العراق على عهدكم باية قيود اجنبية» وقد وعده الامير خيراً واكد انه جاء لخدمة البلاد.[٥٨] وفي الكلمة التي القاها في المدرسة الجعفرية، وعد بانتهاج سياسة التسامح تجاه الاقليات، واوضح ان عدم انتهاج الدولة العثمانية، لمثل هذه السياسة كان احد اهم الاسباب التي ادت الى الاضطرابات فيها وكذلك الحال في ايران. كما اعرب عن سروره لحملة التبرع التي اقيمت لبناء المدارس، ووعد بان يصبح عدد المدارس في بغداد اكثر مما كان في العهد العباسي.(*) واكد فيصل ان غايته هي خدمة البلاد، وانه لم يات للبحث عن عرش، او فخر او مجد «. . . . كلا لم اقم انا ولم يقم والدي، ولا احد من افراد اسرتي بعمل من اعمال النهضة ولهم مطمع في شيء، بل انما قمنا باعمالنا، ابتغاء لوجه الله . . . اقسم بشرفي وبتربة اجدادي لولا الحاح من اكثر اصدقائي ومجموع الامة العراقية ـ الشعب العراقي ـ لما خطر في بالي ان آتي العراق. . . » واعرب عن عدم قناعته بالنظام الجمهوري، كما اعتذر عن حضور حفل أراد ان يقيمه له

*** هنا قاطعه الشيخ محمد الصدر قائلا، ان ذلك سيتم بجهودك، فهتف الحاضرون بحياة العلم والملك حسين والامير فيصل.**

٥٧ـ محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص٣٥٣

٥٨ـ انظر نص الكلمة في العراق، ١٩٢١/٧/١٦

المحامون، لان ذلك سيكون بمثابة دعاية انتخابية.(*) ثم نهض الشيخ احمد الداود وسأل الحاضرين فيما اذا كانوا يرغبون بملك غير فصل، فأجابوا بالنفي، ثم هتفوا بحياة الامير، وفي هذه المناسبة قرر فيصل زيارة المدرسة المستنصرية، وتمنى ان ترجع بغداد الى عهدها الزاهر، وهنا انشد الزهاوي قصيدة جاء في مطلعها:

ستعود بعد تصرم ونفاذ   ايام بغداد الى بغداد[٥٩]

وفي الكلمة التي القاها امام وفد الموصل، اكد ان بريطانيا عازمة على الوفاء بوعودها، وان ماحدث له في سوريا، جعله ينصرف لخدمة العراق، وطالبهم بضرورة التمسك بالوحدة، لان الانقسام يؤدي الى ضياع الاستقلال.[٦٠] اما كلمته التي القاها في الحفل الذي اقامته له الطائفة الكلدانية، في ٣٠ تموز، فقد شكرهم فيها على ثقتهم به كونه عربياً اولاً وعراقياً ثانياً، واكد انه «لايفرق بين طائفة وطائفة، بل كلنا عراقيون. . . ليعلم الجميع ان في هذا القطر لايوجد ـ توجد ـ اقلية واكثرية، فالاقلية اكثرية والاكثرية اقلية» ووعد بالسير بالبلاد نحو التقدم باقصى سرعة، بعد ان بقيت ٧٠٠ سنة تحت الحكم الاجنبي «لكن لي رجاء واحد من الامة، ان لاتستعجل ولاتطيش، وان حاسيتها القومية ودمها العربي النشيط لايفوران فورة مستعجل». اذ ان تأسيس الدولة بحاجة الى وقت، فالذي يريد ان يؤسس مدرسة عليه ان ينتظر مالايقل عن سنة ثم ينتظر ١٢ سنة ليتخرج طلابها «فالسكون والصبر والاعتماد المتبادل، كل ذلك من لوازم نهضتنا». وفي ختام كلمته اشار الى حاجة البلاد الى العلم والخبرة والمشورة، من اجل النهضة المنشودة، وهذا يحتم الاعتماد على بريطانيا، باعتبارها صديقة العرب، وان هناك من البريطانيين من هو اكثر اخلاصاً للعراق من بعض العراقيين، واوضح انه قد يكون مخطيء في تقديره هذا، لكنه قال ان من يخالف هذه السياسة فهو عدو البلاد[٦١].

من المؤكد ان فيصل كان يعرف اكثر من غيره، ان بريطانيا لا تفكر الا بمصالحها الخاصة، وانها ابعد ما تكون عن الايفاء بالوعود، وان تخليها عنه اثناء اشتداد الازمة

* هنا قاطعه احد الحاضرين قائلا «ان الامة بايعتك بقلوبها ولسانها».

٥٩ـ مديرية الدعاية العامة، المصدر السابق، ص٢٣٦ ـ ٢٤١

٦٠ـ المصدر نفسه، ص٢٣٥

٦١ـ العراق، ١٩٢١/٧/٣١

مع الفرنسيين في سوريا، يؤكد هذه الحقيقة، التي سبق لفيصل ان أكدها لوالده.

كما قام فيصل بجولات طويلة في انحاء البلاد، والتقى بشيوخ القبائل والمتنفذين، عارضا سياسته والاهداف التي يسعى الى تحقيقها. وقد لمسَ ان عموم الشعب العراقي يرغب في تنصيبه ملكاً على البلاد، ولم يجد مايشير الى انه لم يكن مرغوبا فيه، ومن طريف مايذكر هنا انه اثناء جولته في الرمادي قدم له الشيخ فهد الهذال الطاعة قائلاً «اننا نقسم بالطاعة لك لان الحكومة البريطانية رضيت بك» وقد فوجيء فيصل بهذا القول، ونظر الى بيل مبتسماً وقال «ليس هناك من يشك في علاقتي بالبريطانيين. ولكن علينا ان نحسم امورنا فيما بيننا»[٦٢]

من خلال خطبة واحاديثه التي القاها في المآدب التي اقيمت له، يكون فيصل قد حدد الخطوط الاساسية لسياسته القائمة على مبدأ التعاون مع بريطانيا والحصول على الاستقلال تدريجياً، وبالطرق الدبلوماسية، والواضح انه استفاد من تجربته المريرة والقاسية في سوريا، فقرر انتهاج سياسة تجنبه الاصطدام بالبريطانيين.

كانت نتيجة الاستفتاء فوز الامير فيصل بنسبة ٥, ٩٦٪، وهذا يؤكد ان الاستفتاء لم يكن ديمقراطياً مثلما كان مقرراً. (*) وليس كما حاولت ان تصوره جريدة العراق حين ذكرت ان نتائج الاستفتاء في الاعظمية وكربلاء والنجف والموصل، كانت لصالح فيصل بالاجماع، وليس هناك من معارض لفيصل. وهذه مسألة غير معقولة وقد سبقت الاشارة الى ان بعض المقالات التي نشرتها جريدة الموصل، عارضت تنصيب فيصل على عرش العراق. لكن هذا لايعني ان فيصل فرض بالقوة على الشعب، اوجاء محمولاً على حراب الانكليز، كما يحاول ان يصور ذلك بعض السياسيين والمؤرخين، فكل المؤشرات كانت تؤكد ان فيصل كان افضل من غيره. وانه لم يكن ليقبل العرش لو لمس عدم رغبة الشعب في ان يصبح ملكاً للبلاد. وفي هذا الخصوص يقول احمد رفيق البرقاوي «لو تفحصنا الحقيقة في ذلك الوقت لوجدنا ان الامير فيصل كان من

---

* يبدو ان الرقم ٩٦٫٥٪ يمثل نسبة الذين شاركوا فعلا بالانتخابات.

٦٢ـ العراق، ٢٧/٧/١٩٢١. كذلك Bell op.cit., 615

دون شك اجدر المرشحين واكثرهم كفاية، لا من وجهة نظر بريطانيا، فحسب، بل من وجهة نظر العراقيين انفسهم، وانه لو اجري اي تصويت حر في العراق، لوجدنا انه من غير المعقول ان يؤدي الى فوز مرشح غير الامير فيصل». [٦٣]

في الحادي والثلاثين من تموز ابرق السير برسي كوكس الى حكومته مؤكداً ضرورة التعجيل بتتويج فيصل. واشار الى ان الامير يرغب بالقاء كلمة في يوم التتويج ليحدد الخطوط الاساسية لسياسته، وان من الضروري ان يكون هناك اعتراف دولي بملوكيته، وجاء في البرقية «من الحري ان افصح هنا بمناسبة التصويت الذي يجري الان، ان بعض العناصر المتطرفة في بغداد، جعلت قبولها بملكية فيصل منوطاً بان يكون بعيداً عن أية سلطة اجنبية». وطلب تحديد سلطة كل من الملك، والسلطات البريطانية في البلاد، خوفاً من حدوث صعوبات في المستقبل. [٦٤] وقد رد تشرشل على برقية كوكس معرباً عن موافقته بالاسراع في التتويج على ان يعلن فيصل عند اعتلائه العرش، ان قبوله الملكية منوط بالمساعدة البريطانية، واشار في برقيته ايضاً، الى ان فيصل قبل الانتداب «فعليه ان يطبق مواده، حتى يحل محله نوع اخر من العلاقات». وان هناك معاهدة ستعقد بين الطرفين تحل محل الانتداب. [٦٥]

رفض فيصل بشدة ان يذكر في خطاب العرش المقرر ان يلقيه في حفل التتويج انه سيسير وفق توجيهات المندوب السامي، اذ ان ذلك اهانة لكرامته، وانه لابد ان يعامل كملك مستقل حتى يتمكن من السيطرة على من اسماهم بالمتطرفيين. واذا ما اصرت بريطانيا على ذلك، فانه ليس له استعداد بالاستمرار في العمل. [٦٦] وبعد مراسلات بين كوكس وتشرشل، صرفت السلطات البريطانية النظر عن هذه العبارة، كما طلب تشرشل من كوكس ان يخبر فيصل بانه ـ تشرشل ـ مهتم ببذل كل مافي وسعه لتعزيز مكانته في نظر الشعب العراقي. وقد رأى تشرشل ضرورة ان يتضمن

٦٣ـ احمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا «١٩٢٢ ـ ١٩٣٢» وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٨٠، ص٣١

٦٤ـ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج١، ص٥٥

٦٥ـ المصدر نفسه، ص٥٣ـ٥٤

66- Burgoyne., op. cit.,p.237-238; Ireland,op.cit p.334

خطاب العرش اعتراف الحكومة البريطانية بملكية فيصل، وان يدخل العراق معها في حلف، ويتعهد فيصل بالخطاب بوضع القانون الاساس وضمان الحريات.[٦٧]

اختار فيصل يوم الثالث والعشرين من آب ١٩٢١، لاعتلاء العرش، ويصادف هذا اليوم في التاريخ الهجري، ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩، وهو اليوم الذي يعتقد فيه ان الرسول محمد (ﷺ) عهد بالخلافة الى الامام علي. وقد اقيم في يوم التتويج احتفال كبير حضره كبار المسؤولين البريطانيين، واعضاء الحكومة المؤقتة وشيوخ العشائر، ووجهاء المدن.[٦٨] فاحتشد الناس في الطرقات المؤدية الى ساحة البرج في «القشلة» حيث اقيم الحفل. وقد جلس فيصل على الكرسي المخصص له، وعلى يمينه برسي كوكس، وعلى يساره آلمر هولدن، قائد القوات البريطانية في العراق.[٦٩] ثم القى كوكس كلمة حكومته التي أشار فيها الى ان فيصل حاز ثقة الشعب العراقي «وعليه اعلن ان سمو الامير فيصل نجل جلاله الملك حسين قد انتخب ملكاً على العراق، وان حكومة جلالة ملك بريطانيا قد اعترفت بجلالة الملك فيصل ملكاً على العراق، فاليحيى الملك»[٧٠] ثم نهض الملك والقى خطاب التتويج، فشكر في بدايته، الشعب، الذي منحه الثقة، واثنى على الجهود التي قام بها والده في اعلاء كلمة العرب، كما اشاد بجهود بريطانيا التي ناصرت العرب، وجادت «باموالها وضحت بابنائها في سبيل تحريرهم واستقلالهم» ووعد بالسعي الى تطوير البلاد وتقدمها «وقد صرحت مراراً بان مانحتاج اليه، لترقية هذه البلاد يتوقف على معاونة امة تمدنا باموالها ورجالها. وبما ان الامة البريطانية اقرب الامم لنا، واكثرها غيرة على مصالحنا، فاننا نستمد منها ونستعين بها وحدها على الوصول الى غايتنا المنشودة في اسرع وقت»، ووعد بالمباشرة باجراء انتخابات المجلس التأسيسي، لوضع دستور للبلاد «على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية» ويصادق على المعاهدة التي ستحدد العلاقة مع بريطانيا «وانني لواثق تمام الوثوق

٦٧- عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج١، ص٥٨

٦٨- محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص٣٥٩

٦٩- طالب مشتاق، المصدر السابق، ص٩٩

٧٠- محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص٣٥٩-٣٦٠

بان بالاستشارة مع فخامة المندوب السامي السير برسي كوكس، الذي برهن على صداقة للعرب، خلدت له الذكر الجميل، سنصل الى غايتنا هذه باسرع وقت ان شاء الله».وفي نهاية الخطاب، دعا الشعب الى الاتحاد والعمل على الاخذ باسباب العلم. (٧١)

بعد ان انتهى الملك من القاء خطاب العرش، قدم اليه برسي كوكس برقية التهنئة التي بعثها اليه الملك جورج ملك بريطانيا، بهذه المناسبة، التي اصبحت فيها «بغداد مدينة العراق القديمة مرة اخرى مركزاً لمملكة عربية، بفتوى الاغلبية الساحقة من اهالي العراق». وقد بعث الملك فيصل برقية شكر جوابية، اثنى فيها على جهود بريطانيا في تحقيق آمال العرب، وان «الامة العربية ستحقق مالجلالتكم. من الاعتماد عليها باعادة مجدها القديم، ومادامت مؤيدة بصداقة بريطانيا العظمى». (٧٢)

الواضح من خلال البرقيتين ان الملكين، اسرفا في عبارات المجاملة السياسية، اذ ان حقيقة الموقف كانت غير ذلك، فبريطانيا تريد ان يكون فيصلاً، ملكاً صورياً تحركه، وتحرك البلاد برمتها كما تشاء، وفق مصالحها. اما فيصل فقد أراد ان يكون ملكاً دستورياً لدولة مستقلة ذات سيادة لاتتردد في الاعتماد على بريطانيا لتسيير شؤونها السياسية والاقتصادية والعسكرية.

بعد انتهاء الحفل توجه الملك الى البلاط لتلقي التهاني بالمناسبة. وقد استبشر الشعب بهذا الحدث الذي اعاد الى اذهانهم فكرة الدولة العربية المستقلة التي يقودها رجل من ابنائهم. كما ابتهجت دمشق، بهذا الحدث المهم، وفكر القنصل البريطاني باقامة حفل بالمناسبة، لكن المسؤولين الفرنسيين اثنوه عن رغبته، خوفاً من حدوث «هياج». ونشرت جريدة «الف باء» الدمشقية، مقالاً حول تتويج فيصل حذفه الرقيب، ثم عطل الجريدة بعد ذلك، لانها تركت ثلاثة اعمدة بيضاء، والمسموح به ترك عمودين فقط. واشارت بعض المصادر الى ان المقال طبع وأرسل

٧١ـ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج١، ص٦١-٦٢

٧٢ـ المصدر نفسه، ص٦٣

على حدة مع العدد ٥ الامر الذي ادى الى اغلاق الجريدة.[٧٣]

اما جريدة «المقتبس» فقد ذكرت ان اعتلاء فيصل عرش العراق لم يكن اكثر من اجراء اقتصادي اتخذه تشرشل للتقليل من نفقات حكومته، وتأسيس امبراطورية بريطانية - عربية. وان استقلال العراق ليس اكثر من استقلال زائف.[٧٤] والواضح ان السلطات الفرنسية، كانت وراء هذا الموقف الذي اتخذته بعض الصحف، اذ ان فرنسا كانت ضد مجيء فيصل الى العراق، خوفاً من ان يثير القلاقل ضدها، انتقاماً ليوم ميسلون، وثأراً لكرامته التي هدرها الفرنسيون يوم اخرجوه بالقوة من سوريا. ولم تتردد السلطات الفرنسية في اتهام فيصل باثارة المشاكل الحدودية ضدها، والتأمر عليها، وقد فكرت تلك السلطات باغتياله، كما تؤكد الوثائق البريطانية.[٧٥] وقد سبق لبعض الصحف الفرنسية ان حاولت اثارة الرأي العام الفرنسي ضد تنصيبه على عرش العراق، فادعت انه سيسعى الى دخول سوريا بالقوة.[٧٦] كما نشرت الصحف السورية التي يمولها الفرنسيون الكثير من المقالات التي كانت تسيء لفيصل وبريطانيا.[٧٧] كما مولت السلطات الفرنسية المعارضين لفيصل، مادياً لبث الدعاية ضده.[٧٨]

اما في بريطانيا فقد قابلت الصحف تتويج فيصل بالرضا والاستحسان، فقد كتبت «التايمز» ان انتخاب فيصل، تم «بطريقة مرضية»، كما اشادت بالملك وذكرت انه «قوي في اخلاصه، حكيم باعتداله، فاذا ظل متمسكاً بهذه الصفات السامية، وهو متربع في دست ملوكيته، كل التمسك، سهل علينا كثيراً جداً المهمة التي اخذنا على عاتقنا القيام بها في العراق.»[٧٩]

٧٣- لسان العرب، ١٩٢١/٩/٢٦

٧٤- لسان العرب، ١٩٢١/٩/٢٨

٧٥- انظر الملحق رقم «١»

٧٦- العراق، ١٩٢١/٧/٣٠؛ هنري فوستر، المصدر السابق، ص١٨١

77- Burgoyne, op.cit.,232

78- Ibid., 243

٧٩- العراق ١٩٢١/٩/٢٧

اما جريدة «المورننغ بوست» فقد ذكرت ان تأييد الشعب البريطاني للملك فيصل هو ايفاء ديننا لحلفائنا العرب، وانجاز العهود التي قطعناها لهم، نظراً لمساعدتهم لنا في الموقف الحرج الذي مربنا اثناء الحرب العظمى. [80] كما اشادت جريدتا «البيل ميل» و«الكلوب» بكفاءة فيصل العسكرية واخلاقه واطلقتا عليه لقب «الفارس العربي»، ورددت الكثير من الصحف البريطانية هذا الرأي. [81]

ان كل مايمكن استخلاصه، هو ان تنصيب فيصل على عرش العراق، حظي بتأييد كل من العراقيين والبريطانيين على الرغم من اختلاف مصلحة الطرفين من الناحية الجوهرية،وكانت مهمة فيصل ان يقنع الطرفين بانه سيكون موضع ثقتهما، وكانت عملية الموازنة هذه، في غاية الصعوبة والحرج، فقد سعى للحصول على الاستقلال التام بشكل تدريجي، وفي الوقت نفسه، عمل على كسب ود بريطانيا، التي لابد وان تقتنع بمرور الزمن بمنح الاستقلال مع بقاء مصالحها. فالمعروف عن فيصل انه كان حريصاً على سمعته وسمعة عائلته، كملك مستقل ينتمي الى اسرة قادت الثورة العربية من اجل الاستقلال، وقد اولاه الشعب ثقته، وان زعماء البلاد والمتنفذون فيها، هم الذين طلبوا من والده ان يكون ملكاً عليهم، فلم يكن من السهل عليه ان يفرط بهذه الثقة. اما بريطانيا فانها ساعدته في تولي العرش بعد ان خرج مخذولاً من سورية، فهي تريد ثمن مساندتها له، وذلك بضمان مصالحها، حتى اذا تضاربت مع مصالح العراق، وهي لن تتردد عن التلميح له، بان مصيره سيكون النفي، اذا ماحاول العمل خلاف ذلك. لقد كلفت عملية الموازنة هذه، فيصل الكثير من الجهد والاعياء، الامر الذي ادى الى موته المبكر كما سيأتي بحثه.

* * *

بعد التتويج واصل الملك اتصالاته برجال البلاد، وابناء الشعب، ففي الخامس والعشرين من آب، اقام له السيد محمد صدر الدين، حفلاً في الكاظمية، حضره كبار الموظفين ووجهاء بغداد، وقد اهداه السيد صدر الدين، سيفاً مرصعاً بالذهب

٨٠ـ العراق ٢٧/٩/١٩٢١

٨١ـ العراق ٢٧/٩/١٩٢١

باسم سكان الكاظمية، ثم القى كلمة ذكر فيها، ان الشعب الذي اولاه ثقته واجلسه على العرش، قلده هذا السيف ليذود به عن حياض البلاد، ويدافع عن مجدها وكيانها السياسي، وانه يضع تحت تصرف الملك كل غال ونفيس للوصول الى تلك الغاية المقدسة. وان امل الشعب عظيم في ان تتحقق امانيه الوطنية على يد فيصل. وقد شكره الملك في كلمة جوابية، قال فيها ان هذا السيف هو رمز الجهاد المطلوب، من اجل توطيد استقلال العراق، ووعد ببذل كل مافي وسعه لتحقيق اماني الشعب الوطنية والقومية. (٨٢)

كما قام بعد ذلك بجولات طويلة في انحاء البلاد كالموصل والحلة والمنتفك. وقد زادته هذه الجولات قناعة، في التفاف الشعب حوله. (٨٣)

موقف الملك من المعاهدة العراقية - البريطانية الاولى :-

بعد اعلان ملوكية فيصل قدم عبد الرحمن النقيب رئيس الوزراء، استقالته، كاجراء روتيني. وكان الملك يشاركه الوطنيون «المتطرفون» يفضل اسناد المنصب الى شخص لايميل الى بريطانيا، وهذا ماكان يرفضه السير برسي كوكس بشدة، مما جعل فيصل يخشى من النتائج غير المحمودة التي قد تترتب على الاصرار على رأيه. فبعد مشاورات استمرت ثلاثة اسابيع كلف الملك عبد الرحمن النقيب بتشكيل الوزارة، وقد اعترض فيصل على فكرة برسي كوكس، باسناد وزارة الداخلية الى توفيق الخالدي، الذي لم يكن «يرتاح» اليه الملك بسبب ميوله التركية الواضحة، وهذا يبين ان الملك حاول منذ البداية فرض وجهة نظره في بعض القضايا السياسية، رغم أعتراض البريطانيين عليها.

وكانت السلطات البريطانية قد باشرت قبيل تشكيل الوزارة بفتح باب المفاوضات مع العراق، لعقد معاهدة بين الطرفين، وقد وصل كل من الرائد يونغ وفيرسون

٨٢- محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص٣٦٥-٣٦٦

٨٣- للتفاصيل راجع الصحف العراقية الصادرة في تلك الفترة وكذلك الجزء الاول من تاريخ الوزارات العراقية للسيد عبد الرزاق الحسني.

مبعوثين من قبل وزير المستعمرات تشرشل لمساعدة برسي كوكس في المفاوضات، المقرر اجراؤها. والحقيقة ان السلطات البريطانية كانت قد وضعت البنود الاساسية التي تضمنتها المعاهدة، قبل وصول فيصل الى العراق، اذ انها أرادت فرض الانتداب بصيغة معاهدة، وهو ماحدث بالفعل، ولم يكن امام فيصل اكثر من ان يخفف من قساوة بنود المعاهدة، كي يقبلها الشعب كخطوة اولى نحو الاستقلال الحقيقي. فكان الغاء الانتداب في مقدمة المطاليب التي أرادها الشعب، لان الانتداب كما سبق ان ذكر فيصل في سورية كلمة «لاحد لها ولامعنى صريح، وقد رفضتها الامة رفضاً باتاً». ولم يكن من السهل على بريطانيا، ان توافق على الغاء الانتداب رسمياً، لان ذلك قد يسبب لها مشاكل دولية، كما ادعا ساستها، واعربت عن استعدادها على عدم ذكر كلمة الانتداب في نص المعاهدة مادامت الكلمة بغيضة الى نفوس الشعب العراقي، اما فيما عدا ذلك فقد خيرت بريطانيا فيصل بين الانتداب او الجلاء عن العراق.(٨٤)فلم يكن امام فيصل الا القبول بمواصلة المفاوضات.

في ٢٩ ايلول ١٩٢١ قدمت بريطانيا للملك مسودة غير رسمية للمعاهدة، لمعرفة رأي الجانب العراقي، وكانت المسودة تضم ١٥ مادة، اعطت للمسؤولين البريطانيين صلاحيات واسعة في الاشراف على مرافق الدولة السياسية والاقتصادية، مع الاحتفاظ بقوات عسكرية بريطانية في العراق، ولم تكن الحكومة العراقية من الناحية الفعلية، الا اداة تحركها بريطانيا. وقد ابدى الملك رأيه في مواد المعاهدة، وقدم بعض المقترحات لتعديلها، واضافة مواد اخرى، او بمعنى اخر قدم مسودة جديدة، تمهيداً لاخذ الصيغة النهائية، ولرفع الشكوك وقطع الطريق امام الاعداء الذين يحاولون تعكير صفو العلاقات بين العراق وبريطانيا على حد تعبيره.

تضمنت المسودة التي اقترحها الملك، ١٨ مادة مع مقدمة. وتذكر الدكتورة رجاء الخطاب ان النص الجديد الذي قدمه الملك، اظهر الخلاف الكبير في وجهات النظر، ليس فقط في الكلمات المستعملة في الصياغة، وانما في مضمون المواد

٨٤- رجاء حسين حسني الخطاب، العراق بين ١٩٢١ - ١٩٢٧، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦، ص٣٠

نفسها، حيث اظهرت تلك الخلافات اتجاهاً لدى الملك لتثبيت سلطاته كملك لدولة مستقلة.[٨٥] فقد جاء في المقدمة، أنه نظراً لقدرة العراق على القيام بشؤونه فالملك فيصل سيتحمل المسؤولية التي يتحملها ملك بريطانيا، وان عقد المعاهدة جاء نتيجة لادراك الملك فيصل حاجة البلاد لها. وجاء في المادة السادسة ان على بريطانيا ان تتعهد بادخال العراق عصبة الامم، ونصت المادة الخامسة عشرة على ضرورة مساهمة بريطانيا في تقوية علاقات العراق مع الاقطار العربية التي انفصلت عن الدولة العثمانية، كما تضمنت المسودة حق العراق في التمثيل الخارجي.[٨٦]

كان من الطبيعي ان تواجه مقترحات الملك بالرفض، ودخل المندوب السامي معه في مفاوضات لمناقشة المواد، وكانت المقترحات البريطاينة، لاتختلف من حيث الجوهر، عن المقترحات الاولى، المعبرة عن سياسة بريطانيا في فرض سيطرتها على البلاد.

في شباط ١٩٢٢ قدمت وزارة المستعمرات البريطانية رايها في التعديلات التي اقترحها الملك. وتعتقد الدكتورة رجاء الخطاب، ان الوزارة المذكورة، ارسلت ملاحظاتها بناء على المعلومات التي قدمها الرائد يونغ الى وزير المستعمرات البريطاني.[٨٧] وقد عبرت وجهة نظر الوزارة المذكورة عن تصلب بريطانيا، اكثر مما عبرت عنه ملاحظات المندوب السامي، الامر الذي جعل الاخير يتراجع عن الموقف المرن الذي ابداه بعض الشيء في اثناء المفاوضات مع الملك.[٨٨] وقد اعلم المندوب السامي، الملك عدم امكانية الغاء الانتداب وانه ليس من الصواب رفض توقيع المعاهدة «واذا بقي موقف جلالته على ماهو الان، يعتبر وزير

٨٥- المصدر نفسه، ص٤٠

٨٦- المصدر نفسه، ص٤١. بحثت كثيراً عن الملف الذي استخدمته الدكتورة رجاء الخطاب والذي تسلسله «٣١» لكني لم اعثر عليه تحت هذا الرقم الذي اعتمد عليه ايضاً الدكتور محمد مظفر الادهمي في رسالة الماجستير التي كتبها عن المجلس التأسيسي، ويبدو ان تغييراً حدث في ترقيم الملفات، لذا اعتمدت على كتاب الدكتورة رجاء في هذا الجانب كونه بحثاً علمياً.

٨٧- المصدر نفسه، ص٤٥

٨٨- المصدر نفسه، ص٤٧

المستعمرات ان الخطة الواجبة اذ ذاك تكون ترك المفاوضات في امر المعاهدة بتاتاً، وذلك يعني انه يستوجب علينا مجرد الاستمرار في تفسير الامور بموجب السلطة التي يخولها الانتداب». واشار المندوب السامي الى ان هناك حلاً ثانياً هو الجلاء عن العراق. ورغم قناعة تشرشل بان الامر قد لايصل الى هذا الحد، لكنه محتمل الوقوع، فحث فيصل على دراسة المسألة بحكمة وسداد رأي.[٨٩]

كانت هذه صدمة كبيرة للملك لم يكن يتوقعها، فكتب الى المندوب السامي البريطاني في ٢٣ شباط ١٩٢٢ كتاباً ذكر فيه، انه بعد المناقشة التي اجراها مع رئيس الوزراء، وجد ان التعديلات الجديدة لايمكن قبولها «وان النصوص التي تقررت فيما بيننا سابقاً هي اقل مايتمكن معه، بقاء الواجب نحو البلاد، والاحتفاظ بصداقة بريطانية، ومنع الفشل امام الرأي العام».[٩٠] كما اوضح الملك، انه يريد ان تكون بريطانيا دولة حليفة، وليس منتدبة، وان فرض الانتداب تم في فترة كانت ملائمة لذلك الوضع، الا ان الوضع الجديد قد تغير، وصاحبة شعور وطني متنام «فاذا منحتنا بريطانيا معاهدة حرة وصريحة وباستقلال كامل، فستجدون منا التأييد الكامل لحفظ مركزكم في العراق، من كل جوانبه السياسية والاقتصادية».

واعرب الملك عن عدم استعداده ورئيس وزرائه لمساعدة بريطانيا، وان عليها ان تجهز جيشاً قوياً لفرض سيطرتها على الشعب الرافض للانتداب.[٩١] والواضح هنا ان الملك أراد ابداء شيء من الصلابة في الموقف تجاه بريطانيا. وقد ذكر لامين الريحاني ان البريطانيين يطلبون منه «عقد المعاهدة وفيها نص صريح على الانتداب، وفي بعض موادها غموض فتتحمل التفاسير العديدة». واوضح الملك ان هذا يخالف ماسبق ان عاهدوه عليه في لندن، اذ انه اكد لتشرشل بانه لن يقبل العرش الا بشرطين اساسيين، هما استقلال البلاد، ورفض الانتداب. وقد قبل تشرشل

٨٩- م. و. و.، ملفات البلاط الملكي، ٥١٤٧ - بلا، وثائق المعاهدة العراقية - البريطانية، كتاب من المندوب السامي، الرقم بلا، في ١٩٢٢/٣/٢١، ورقة بلا «الملف غير مرقم»

٩٠- رجاء الخطاب، المصدر السابق، ص٥٠

91- F.o., *371/7770,E2621 «Iraq Treaty»* paraph rase Teley. No. 163. H. commissioner to s.s. colonies 27 feb. 1922

بذلك .[٩٢]

نقل المندوب السامي وجهة نظر الملك، التي كان يؤيدها الوزراء، الى حكومته التي اصرت على موقفها، وعادت تهدد بالاستمرار بادارة العراق وفق نظام الانتداب، اذا ماصر الملك على رأيه، لكن الاخير لم يتراجع، فطلب تشرشل من برسي كوكس قطع المفاوضات، لان مشاكل العراق الداخلية والخارجية ستجعل الموقف العراقي اكثر وضوحاً .[٩٣]

مشاكل الحدود واثرها على سير المفاوضات

من الامور الملفتة للنظر، قيام الوهابيين بتجاوزات عديدة، على حدود العراق الجنوبية، اثناء تأزم المفاوضات التي دارت بين العراق وبريطانيا حول المعاهدة، مما يثير الشك في ان تلك الغارات جاءت بتحريض من بريطانيا التي أرادت افهام الملك وحكومته وكذلك الشعب العراقي، انهم لايستطيعون الاستغناء عنها، بدليل ان سلطات الاحتلال البريطاني لم تتصدى للغارات، بل اكتفت بارسال طائرات لمراقبة تحركات الوهابيين ولم تضرب تجمعاتهم الابعد ان قاموا برمي هذه الطائرات .[٩٤] كما ان المراسلات التي دارت بين الملك والمندوب السامي بخصوص اعتداءات الوهابيين توضح ان السلطات البريطانية لم تكن جادة في وضع حد لهذه المشاكل، الامر الذي كان يثير الملك الذي اولى المسألة اهتماماً كبيراً، وقد اوعز الى رئيس الديوان الملكي ـ رستم حيدر ـ بان يكتب الى مجلس الوزراء، موضحاً انه ـ الملك ـ تحدث مع المندوب السامي عن ضرورة ايقاف الوهابيين عند

نقلاً عن فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية ـ البريطانية واثرها في السياسة الداخلية «١٩٢٢ ـ ١٩٤٨» وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧، ص٣٥

٩٢ـ امين الريحاني، الاعمال العربية الكاملة، المجلد الاول «ملوك العرب» ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠ ص٨١٢ـ٨١٣

93- F.o., 371/7771/ E3710 paraphrase Teleg. churchil to cox, April 6, 1922

٩٤ـ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج١، ص٦٧

حدهم، ومفاوضة السلطان ابن سعود لتحديد الحدود بين البلدين، وانهاء الخلاف والتنافر بين القبائل في المنطقة.وطلب من المجلس اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستتباب الامن في المنطقة، وحماية السكان.[٩٥] وقد ناقش مجلس الوزراء كتاب الديوان الملكي، فأستفسر ناجي السويدي فيما اذا كان هناك خلاف بين الحكومة العراقية، وحكومة نجد، وماهي اسباب هذا الخلاف ان وجد. كما طلب معرفة موقف الحكومة البريطانية تجاه مشاكل الحدود. وفيما اذا كانت هي المسؤولة عن الدفاع عن حدود العراق. فرد عليه وزير الدفاع - جعفر العسكري - موضحاً انه سبق ان تم الاتفاق بين الملك والمندوب السامي «ان تكون مسؤولية الدفاع عن ساحل نهر دجلة الايمن وساحلي الفرات من المنتفق الى تلعفر شمالاً، على الحكومة العراقية، وان تكون مسؤولة الدفاع عن ساحل دجلة الايسر والعمارة والبصرة على الجيش البريطاني...»[٩٦] ويذكر الاستاذ عبد الرزاق الحسني ان تساول السويدي، كان ينطوي ضمناً الاستفسار فيما ان كان هناك خلافاً بين الملك فيصل وابن مسعود. ولم يكن هناك من يجرؤ على الجهر بهذا الخلاف الذي كان موجوداً في الاساس «حتى وضع السويدي النقاط على الحروف بتساولة»[٩٧] وقد اثارت هذه المناقشات الملك، خصوصاً وان بعض الوزراء[*] ايدوا ماذكره السويدي، كما ان الملك امتعض لان المجلس لم يوصي باتخاذ اي اجراء لانهاء المشكلة[٩٨]. وقد أرسل الديوان الملكي كتاباً الى مجلس الوزراء في ٢٩ /آذار/١٩٢٢، جاء فيه ان الملك كان يأمل ان يتخذ المجلس قراراً واضحاً يكفل العمل به صيانة حدود العراق، ويضمن سلامة الشعب من تجاوزات النجديين، وحث على انشاء مخافر حدودية، كما اشار الكتاب الى اسف الملك على مافاه به ناجي السويدي.[٩٩]

*** الوزراء هم عزت باشا الكركوكلي والدكتور رضا الخياط وعبداللطيف المنديل والحاج رمزي وهبةالدين الشهرستاني.**

٩٥- المصدر نفسه، ص٧٨

٩٦- المصدر نفسه، ص٧٩

٩٧- المصدر نفسه، ص٧٩

٩٨- المصدر نفسه، ص١٠٠

٩٩- المصدر نفسه، ص٨٣

لم يكتف الملك بالايعاز بارسال الكتاب المذكور انفاً، فاستدعى الوزراء الخمسة وطلب اليهم تقديم استقالاتهم، لانه لم يعد يثق بهم.[١٠٠] فقدم الوزراء استقالاتهم، لكن رئيس الوزراء لم يقبلها.[١٠١] وقد اثار تصرف الملك هذا، المندوب السامي، فكتب الى المستر تشرشل بذلك. فطلب الاخير معاجة الموقف بشدة وحزم وكان رأي كوكس ان على بلاده ان تحافظ على مكانة فيصل بين شعبه، اما اذا فكر بالقيام بعمل مماثل للذي اقدم عليه، فعلى الحكومة البريطانية ان تطلب اليه التنازل عن العرش. وقد صدرت تعليمات الى رئيس الوزراء باختيار وزراء بدلاً للذين طلبوا الاستقالة، بعد ان صدرت الارادة الملكية بقبول الاستقالات[١٠٢].

* * * *

وجدت السلطات البريطانية ان موقف الرأي العام العراقي اصبح ضدها، بشكل واضح، وحملها مسؤولية اثارة المشاكل. كما ان الملك فيصل كتب الى المندوب السامي طالباً تدخل القوة الجوية البريطانية لضرب التجمعات الوهابية، كما طلب التدخل لدى السلطان ابن سعود لوضع حد للاعتداءات وتحديد الحدود، لان بقاء الوضع على ماهو عليه يعني بقاء العراق مهدداً بالخطر.[١٠٣] فسارع برسي كوكس الى ارسال برقية احتجاج الى ابن سعود، واقترح وضع حدود مؤقتة بين الدولتين، عن طريق مؤتمر يعقد في المحمرة. وقد تم ذلك بالفعل، واتفق الطرفان على وضع حد لمشاكل الحدود وكبح جماح العشائر الواقعة تحت سيادتها.[١٠٤]

لم يقتنع الرأي العام العراقي بهذا الاجراء، فعقد مؤتمراً في كربلاء، في التاسع من نيسان حضره كبار الشخصيات ورجال الحركة الوطنية، وكان من المتوقع ان يحضر الملك الى كربلاء، لمتابعة الامور عن كثب، لكنه اوفد وزير الداخلية السابق

١٠٠ـ المصدر نفسه، ص٨٠

١٠١ـ المصدر نفسه، ص٨٣

١٠٢ـ المصدرنفسه، ص٨٣ـ٨٤

١٠٣ـم.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ة/٤/٥أ، ٨٦١ ـ و٤الحدود العراقية ـ السعودية، رسالة من الملك فيصل الى السير برسي كوكس في ١٨/٣/١٩٢٢، ورقة ٥٤

١٠٤ـ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص٨٥ ـ ٨٦

توفيق الخالدي، لان السلطات البريطانية، عارضت حضوره، رغم رغبته الشديدة في ذلك.[١٠٥] فاوكل مهمة متابعة احداث المؤتمر الى العناصر الوطنية مثل محمد مهدي الخالصي ومحمد الصدر وجعفر ابي التمن، الذي كان ينقل اليه اخبار المؤتمر.[١٠٦] وقد وصلت الملك برقيات عديدة من المؤتمرين تؤكد تصميمهم على الدفاع عن الوطن وتعلقهم بعرش جلالته، واطاعتهم لارادته.[١٠٧] وقد شكرهم الملك على ثقتهم هذه.[١٠٨] ويبدو ان المؤتمرين أرادوا ببرقياتهم هذه حث الملك على اتخاذ اجراءات رادعة بحق الوهابيين،فكتب الملك بالفعل الى مجلس الوزراء مطالباً باتخاذ الاجراءات العسكرية بحقهم.[١٠٩]

لابد لنا ان نشير هنا الى ماذكره الشيخ محمد الخالصي، عن نية والده الشيخ مهدي باستغلال المؤتمر للقيام بانتفاضة ضد بريطانيا على غرار ماحدث في ثورة العشرين، وذلك بان يبعث الى الملك طالباً اليه الحضور الى كربلاء، وانذار البريطانيين بانهاء الاحتلال والجلاء عن البلاد. واذا ماوافق البريطانيون، فان العراق سينال استقلاله. ويذكر محمد الخالصي ان الملك وافق على هذا الاقتراح، وقد رجحت الدكتورة رجاء الخطاب صحة هذه المعلومات، واكدت ان صحة مايدعمها، هو رسالة السير برسي كوكس الى رستم حيدر التي «يعلمه فيها المعلومات العسكرية عن التعاون البلشفي - الكمالي»[١١٠] لخلق صعوبات امام حكومة الملك فيصل والسياسة البريطانية في العراق. وانهم يحاولون ذلك من خلال المدن المقدسة. ويشير برسي كوكس الى التوافق بين حركة النجف في استغلال مشاكل الحدود وبين النشاط البلشفي الكمالي، ويضيف كوكس، ان المؤتمرين عملوا على استدراج

١٠٥- المصدر نفسه، ص٨٨

106- Ireland, OP. cit., p. 355

١٠٧- م.و.و. ملفات البلاط الملكي، ة/٤/٥أ، ٨٦١-وع، الحدود العراقية - السعودية برقية من الشيوخ المجتمعين في مؤتمر كربلاء الى الملك، ورقة ٨٣ - ٨٤

١٠٨- الملف اعلاه، كتاب من الديوان الملكي الى وزير الداخلية في ١٨/٤/١٩٢٢، ورقة ٨٦

١٠٩- الملف اعلاه. كتاب الديوان الملكي الى سكرتير مجلس الوزراء في ١٦/٤/١٩٢٢، ورقة ٨٨

١١٠- نسبة الى كمال اتاتورك الرئيس التركي

فيصل الى كربلاء ومن ثم اجباره، لان يطلب من بريطانيا منح العراق استقلاله التام فوراً، ويذكر كوكس ان المؤتمرين سيحاولون الحصول على السلاح من بريطانيا بحجة الدفاع عن العراق ضد الاخوان، ومن ثم استخدامه للغرض المذكور. كما كتب كوكس الى حكومته مؤكداً ان الكثيرين يعزون انعقاد المؤتمر الى الملك الذي أراد الحصول على تأييد شعبي له، في موقفه من الانتداب، ولارغام وزارته على توسيع الجيش وتوفير مايلزم، لذلك من الاموال.[١١١]

لا اعتقد ان الملك فيصل وافق على اقتراح الخالصي، لانه يعلم جيداً عدم امكانية اخراج البريطانيين من العراق باستخدام القوة او بالتهديد باستخدامها. وان المحاولة التي بدأت في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠، لاتزال ماثلة امام الجميع، رغم تأثيرها المباشر على السياسة البريطانية، كما ان تجربته الخاصة مع الفرنسيين في سوريا إثبتت له الشيء نفسه. وقد سبقت الاشارة الى ان البريطانيين كانوا يهددون الملك بالانسحاب من البلاد وتركه لوحده، لانهم يعلمون ان الانسحاب المبكر من العراق سيربكه. فهناك مشكلة الموصل والغارات النجدية وعدم ارتياح الفرنسيين لوجوده في العراق، فضلاً عن المشاكل التي كانت تثيرها ايران

استئناف المفاوضات والازمة الوزارية :ـ

توتر الموقف بشان المفاوضات حين صرح تشرشل في مجلس العموم البريطاني في ٢٣ مايس ١٩٢٢، بان الملك فيصل والحكومة العراقية لم يخبروا المندوب السامي برفض الشعب العراقي للانتداب.[١١٢] وقد ادى هذا التصريح الى هياج الرأي العام العراقي. وشكلت المعارضة لجنة، قابلت الملك، الذي لم يكذب ادعاء تشرشل؛ ووقف موقفاً سلبياً من المعارضة. وتذهب الدكتورة رجاء الخطاب الى ان سبب ذلك يعود الى ان الملك كان يخشى تصلب بريطانيا «لهذا

١١١ـ رجاء الخطاب، المصدر السابق، ص٢٨٠ـ٢٨١؛ على الوردي، المصدر السابق، ج٦، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٦، ص١٥٢ـ١٥٤

١١٢ـ العراق، ١٩٢٢/٥/٣١

فضل ان يضحي بالمعارضة مؤقتاً لكسب تفهم بريطاني احسن» .[١١٣] وهذا يدعم رأينا في ان الملك لم يفكر بقبول دعوة الخالصي ، المار ذكرها ، عند عقد مؤتمر كربلاء ، لان سياسته قائمة على اساس التفاهم مع بريطانيا وليس مواجهتها بالقوة .

في حزيران ١٩٢٢ ، وصلت وجهتا النظر العراقية والبريطانية الى شيء من التقارب ، وقرر مجلس الوزراء في ٢٥ حزيران قبول المعاهدة ، على ان تصبح نافذة المفعول ، بعد ان يصادق عليها المجلس التأسيسي ، لكن المندوب السامي رفض ذلك ، فاصر الملك والوزراء على هذا الشرط ، مما اضطر المندوب السامي الى الموافقة ، وقد اقر المجلس ذلك ، عدا جعفر ابو التمن ، الذي اعترض على بعض مواد المعاهدة . كما اكد اهمية وجود مادة تنص على الغاء الانتداب .[١١٤] ويذكر كريفز ، ان ملاحظات ابو التمن ، هي نفس ملاحظات الملك ، الامر الذي جعله يعتقد ان الملك جاء بابي التمن الى الوزارة من اجل ان يبدي تحفظه .[١١٥] رغم انه اكد لبيل بعدم علمه المسبق بموقف ابي التمن ، وقد علقت المس بيل على ذلك بقولها ان الملك لم يكن صادقاً .[١١٦] وفي اليوم التالي قدم ابو التمن استقالته ، فحاول الملك تأخيرها لكن دون جدوى . ثم سرعان مادارت مناقشات طويلة حول بنود المعاهدة والتعديلات التي يجب ادخالها، تمسك كل طرف خلالها بموقفه . وتعزي الدكتورة الخطاب هذا الخلاف الى اصرار الملك مع الغاء الانتداب .[١١٧] وتذكر بيل في رسائلها انها اخبرت كورنوالس بعدم ارتياحها لموقف الملك ، الغامض ، ولانه رفض شجب بيانات صحف المتطرفين ، ودعمه «لاشد المتطرفين خسة» على حد تعبيرها . وقد ايدها كورنوالس وذكر لها انه تشاجر مع الملك بهذا الخصوص ، وانه يشعر بخيبة امل . وقد اوضح لها فيصل ، بعد ذلك حين جاءت

١١٣ـ رجاء الخطاب ، المصدر السابق ، ص٥٩

١١٤ـ فاروق صالح العمر ، المصدر السابق ، ص٤٠

115- Craves OP.cit., 312

116- Burgoyne, OP. cit., p.277

١١٧ـ رجاء الخطاب ، المصدر السابق ، ص٧٠

لمعاتبته، بانه مضطر لتطمين العناصر الوطنية. [١١٨] وهنا تتجلى حنكة فيصل وسياسته التي أراد بها تسيير دفة البلاد بمسك العصا من منتصفها.

* * * *

حين وجدت وزارة المستعمرات ان المفاوضات وصلت الى طريق مسدود، وان عملية التفاوض عن طريق الكتب الرسمية والبرقيات لن تجدي نفعاً، رأت ان من الافضل ان يسافر الملك الى لندن، ويكون هناك خلال شهر ايلول. مع ضمان استتباب الامن في البلاد. وقد اعرب الملك عن استعداده للسفر اذا سمحت له الحكومة البريطانية نشر بيان قبل سفره، يعلن فيه ان بريطانيا قبلت الغاء الانتداب، وانه سيسافر للاتفاق على ذلك، وقد قوبل اقتراحه بالرفض. [١١٩]

لمست الوزارة ان الملك متفق مع موقف المعارضة المعادي للمعاهدة، واكدت بيل هذه الحقيقة حين ذكرت في رسائلها ان الملك كان يواصل استقبال «الاوغاد والمؤذين» وتعني العناصر الوطنية المتطرفة، الامر الذي جعلها على اتصال دائم بالعناصر المؤيدة للانتداب. واضافت انه كان يكره العناصر المؤيدة للانتداب، حتى ان رجال الحاشية في البلاط، اشعروهم بانهم خونة، وان المعارضين للانتداب كانوا يقرأون الصحف البغيضة بصوت عالٍ ويستهزئون من احتمال ان يمثل المندوب السامي لوحده النفوذ البريطاني مع سبع طائرات. كما اكدت بيل ان الصحف المعارضة كانتمدعومةمنَ قبل الملك، الامر الذي اثارها جداً حتى انها قالت لنوري السعيد، «ان موقف الملك لايمكن الدفاع عنه مطلقاً» وهددت بقطع العلاقات معه، [١٢٠] اذ انه بدأ يسلك سلوكاً معارضاً لما سبق ان اتفق عليه مع البريطانيين، وكان رد الملك على ذلك، ان بلاده فوق كل شيء. [١٢١] فاوضحت له بيل ان سياسته قد تؤدي الى ترك الموظفين البريطانيين وظائفهم[١٢٢] وقد سرت في هذه

118- Burgoyne, op. cit., p270-272

١١٩- رجاء الخطاب، المصدر السابق، ص٧٦

120- Burgoyne, op.cit., p.279,285

121- Ibid., p.294

122- Ibid.,p. 285

الفترة اشاعات مفادها ان الخالصي سيشكل الوزارة من العناصر الوطنية، مثل محمد الصدر وجعفر ابو التمن، وان الانتداب سوف يلغى.

بناء على ذلك طلب مجلس الوزراء من الملك، ان يسانده في تسيير امور البلاد. وفي جلسة ٩ آب ١٩٢٢، قدم كل من توفيق الخالدي وهبة الدين الشهرستاني استقالتيهما. واوضح الخالدي ان سبب تقديمه الاستقالة يعود الى اضطراب الاوضاع السياسية، والوهن الذي اصاب المملكة. وبما ان المعاهدة ستعقد بين ملكي العراق وبريطانيا، فمن الواجب «ان تجري اعمال الحكومة تحت اشراف جلالة الملك العظيم»[١٢٣] وذكر رئيس الوزراء ان حراجة الموقف تتطلب من الملك ان يدير دفة الحكم، ويصبح مجلس الوزراء تابعاً له، واعرب عن امله في ان يساند الملك مجلس الوزراء. وتقرر في مجلس الوزراء باتفاق ألاراء رفع كتاب الى الملك يطلب فيه «ان يؤازر حكومته المجدة في تمشية الامور على مايرومه جلالته ويرضاه، ليظهر للشعب ان حكومة جلالته مستندة على مؤازرة جلالتكم».[١٢٤] وجاء في كتاب الاستقالة الذي رفعه هبة الدين الشهرستاني ان اصرار بريطانيا على عدم الغاء الانتداب، من الاسباب المهمة التي دفعته الى تقديم استقالته.[١٢٥]

حين اطلع الملك على مقررات مجلس الوزراء طلب من رئيس ديوانه الاستفسار من المجلس عن الاسباب الحقيقية للاستقالة «اما كون المعاهدة هي المشكلة الكبرى، فالمجلس الموقر عالم بشدة حرص جلالة الملك على انجازها. وجلالته اسف شديداً على تأخر ابرامها، بسبب مسألة الانتداب. ان صاحب الجلالة يشكر المجلس على التماسه، ولكنه يأسف جداً والحال هذه على انه لايرى مسوغاً للعدول عن خطته الحاضرة...»[١٢٦]

حين وصل كتاب الديوان الى مجلس الوزراء قدم ستة وزراء استقالاتهم.(*) وقد

---

* الوزراء هم توفيق الخالدي وساسون حسقيل وعبدالمحسن السعدون وجعفر العسكري وصبيح نشأت وهبةالدين الشهرستاني.

١٢٣- عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص١٠٨

١٢٤- المصدر نفسه، ص١٠٨

١٢٥- المصدر نفسه، ص١٠٨-١١٠

١٢٦- المصدر نفسه، ص١٠٩-١١٠

علم رئيس الوزراء، الملك بذلك، واوضح له انه رفض قبول الاستقالات. واعاد عليه مسألة تأييد الوزارة «فاني استرحم من جلالتكم المعظمة، تأييد ثقة جلالتكم بهذا الداعي والوزارة. وبصدور الارادة الملكية بذلك، لكي يهتم الوزراء في شؤون وزاراتهم كالسابق»[١٢٧] وكان رأي الملك ان على الوزارة ان تستقيل، وكتب الى المندوب السامي شاكياً من تلكؤ الحكومة البريطانية في مسألة تحديد المسؤولية فيما يخص ادارة البلاد «وقد مضى على ذلك نحو من سنة دون ان تنال هذه المسألة الحيوية الحل الذي تتطلبه. ولقد كنت اوصل صلاح الحال بعقد المعاهدة التي يتعين بها موقف البلاد، الا انه وياللاسف تأخر ذلك للسبب الذي نعلمه، ووصلت حالة البلاد الى درجة لايجوز التغافل عنها» وطلب من المندوب السامي اخبار وزارة المستعمرات عن عدم مسؤوليته «عن نتائج التردد والتغاضي في الادارة والسياسة التي لايستبعد ان تنشأ عنها ثورة شديدة المخاطر» وناشده ان يختار بين اخذ مسؤولية ادارة البلاد على عاتقه، ويطبق سياسته بكل حزم «واما ان تلقوا المسؤولية على عاتقي وتتركوني مطلق اليدين لتدبير الامور على الخطة التي أرى بها انقاذ البلاد» واكد في نهاية كتابه ان اخلاصه لبريطانيا وحبه لامته، كانا وراء ارسال هذا الكتاب.[١٢٨]

اغاض كتاب فيصل هذا، المندوب السامي فقرر ان يرد بشدة على الملك، وحمله مسؤولية ماحدث، وقد اعد كتاباً بالفعل، لكنه عدل عن ارساله، بسبب قرب حلول الذكرى السنوية الاولى للتتويج، وحين شعر رئيس الوزراء بتفاقم الازمة بين الملك والمندوب السامي قدم استقالته التي سرعان ما قبلها الملك. لكن المندوب السامي عمل على اقناع الملك برفضها[١٢٩]

ليس من المستبعد ان تكون هذه الازمة من صنع الملك، حاول من خلالها افهام الجانب البريطاني ان موقفه المتصلب من المعاهدة سيؤدي الى الكثير من المشاكل والازمات الداخلية. والذي يجعلنا نرجح هذا الرأي، هو ان جعفر العسكري كان من

١٢٧ـ المصدر نفسه، ص١١٠ـ١١١

١٢٨ـ المصدر نفسه، ص١١١ ١١٢

١٢٩ـ المصدر نفسه، ص ١١٢

بين الوزراء الذين قدموا استقالتهم، والعسكري معروف بولائه المطلق للمد واتفاقه في الرأي معه.

مع حلول الذكرى الاولى للتتويج «٢٣ آب ١٩٢٢» كتب كل من الحزب الوطني وحزب النهضة بياناً قدماه الى الملك يطلبان فيه الاسراع بانتخاب المجلس التأسيسي، ووضع دستور. ونددا بسياسة بريطانيا المنافية لروح الاستقلال وطالبا بتأليف وزارة من الاكفاء المخلصين، وعدم عقد المعاهدة، او اجراء مفاوضات، الابعد اكمال انتخابات المجلس التأسيسي.[١٣٠] وفي الوقت نفسه نضمت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني تظاهرة سلمية للاعراب عن مطالب الشعب التي تضمنها الكتاب المرسل الى الملك. وذهب اعضاء اللجنة لتقديم التهاني الى الملك في ذكرى التتويج، واعرب جعفر ابو التمن، عن رغبة الحزب في ان يلقي احد اعضائه خطاباً حول الوضع الراهن في البلاد، والتمس منه حضور أحد رجال حاشيته الى التجمع الجماهيري الذي ستلقى فيه الكلمة. فوافق الملك، وأمر كبير أمنائه «فهمي المدرس» بالحضور، وقد اعرب الحزب في كلمته عن استيائه من عدم جمع المجلس التأسيسي. وحمل الوزارة مسؤولية ذلك، وطلب من الملك تشكيل «وزارة مخلصة حائزة على ثقة الجمهور». ونادى حزب النهضة بالمطالب نفسها. وانتدب احد اعضائه لالقاء كلمة بين المتجمهرين في البلاط. لم تختلف من حيث مضمونها عن كلمة الحزب الوطني. وحين جاء المندوب السامي لتقديم التهاني الى الملك، تلفظ احد المتجمهرين بعبارات اثارت المندوب السامي. فوجه الاخير، كتاباً الى الملك، ذكر فيه ان احد المتجمهرين هتف «ليسقط الانتداب». وكان فهمي المدرس حاضراً، فاذا كان هو المسؤول عن ذلك، فليقدم استقالته، وقد ترجم احد رجال البلاط ذلك الكتاب الى فهمي المدرس بشكل غير دقيق، الامر الذي دفعه الى تقديم استقالته.[١٣١] كما طلب المندوب السامي اعتقال المسؤولين عن التظاهرة.[١٣٢]

١٣٠ـ محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص٤١٤ـ٤١٦

١٣١ـ المصدر نفسه، ص٤١٦ـ٤٢٠

132- Ireland, op. cit., p.359

في اليوم التالي لذكرى التتويج اصيب الملك بالزائدة الدودية، فاجريت له عملية جراحية في ٢٥ آب. وقد طلب منه المندوب السامي قبيل اجراء العملية التوقيع على قرار اعتقـال المتظـاهـرين، لكن الملك رفض ذلـك، لأنـه خشي ان يكـون، اخـر مايعمله في حياته التوقيع على ادانةرعاياه، كما تذكر بيل. وتضيف بيل ان المندوب السامي استغل مرض الملك، الذي جاء في الوقت المناسب، فاعلن نفسه مسؤولا عن البلاد بسبب مرض الملك، فضلا عن عدم وجود وزارة.[١٣٣] وقد تم نفي محمد مهـدي البصير وحمـدي البـاجـة جي وامين الجـرجفجي ومحمـد الصـدر ومهـدي الخـالصي. كمـا اتخـذ تدابيـر عاجلة للحـد من الاضطـرابـات التي سادت بعض المناطق، فاغلق الصحف، وقامت الطائرات البريطانية بضرب ابناء الشعب.[١٣٤]

في العـاشـر من ايلول طلب المنـدوب السـامي من الملك، المصـادقـة على الاجراءات التي اتخذها اثناء مرضه، واوضح له بان الحكومة البريطانية، لن تسامحه اذا مافكـر بمسـاندة «الهيجانات الوطنية» كما انها لن تتساهل في اي تأخير يطرأ على تصديق المعاهدة. كما طلب منه عدم التدخل في الشؤون الادارية والتعيينات، كونه ملكاً دستورياً، وقد دعا الملك، عبد الرحمن النقيب الى تشكيل الوزارة، واوضح انه تدخـل في الشؤون السيـاسيـة، لعدم وجـود دستـور، وان اعضـاء الوزارة لم يكونوا منسجمين ولم يكن من السهـل عليـه، عدم التـدخـل، ولكن اذا ماحصـل على المعـاهـدة والدستور فانه سينفذ مايطلب منه.[١٣٥] وفي اليوم التالي «١١ ايلول» رفع الملك الى المندوب كتاباً اعرب فيه عن شكره للاجراءات التي اتخذها اثناء مرضه.[١٣٦]

133- Burgoyne, op.cit.,p.294

134- Ireland,op. cit., p.360

كذلك انظر. عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق، «١٩٢١-١٩٣٣» مطبعة الاداب، النجف، ١٩٧٥، ص١١١-١١٢

135- Ireland, op. cit.,p.361

136- Ibid., p.361

الـواضـح ان هنـاك تناقضاً كبيراً بين موقف الملك حين رفض المصادقة على قرار المندوب السامي بنفي العناصر الوطنية، قبيل اجراء العملية الجراحية، وبين موقفه في تأييـد المنـدوب السامي على الاجراءات التي اتخذها بنفي هذه العناصر وضرب الشعب بالطائرات.

لاينكـر ان الملك كان مجبـراً على ذلـك، بعد تحذير المندوب السامي له، وهذه حقيقـة لاجـدال فيهـا، ولكن هذا لايعني ان الملك كان مصيبـاً في المـوقف الـذي اتخذه برفع كتاب يشكر فيه المندوب السامي على الاجراءات القسرية التي اتخذها بحق الشعب. وان اقـل ماكـان يمكن فعله، في مثـل هذه الحـالـة، هو الاشارة الى خطـوة مثـل هذه الاجـراءات واستنكـارهـا الان اثـارهـا السلبيـة كانت واضحة على الطـرفين، بريطـانيـا التي زاد كره الشعب لها، والملك الذي كان يسعى الى التفاهم معها. في حين ان كتاب الملك كان يحمل عبارات الرقة والتودد، حتى انه شكره في نهايته على «تعاونه القيم»، ويبدوا ان الملك أراد ان يثبت حسن نواياه، فلم يخالف المنـدوب السـامي على اي طلب، حتى في تحـديـد رئيس الـوزراء الجـديـد «عبد الرحمن النقيب» الذي لم يكن راغباً في اسناد المنصب اليه، ولايمكننا الا ان نقول ان موقف الملك هذا، كان من اسؤ المواقف السلبية التي اتخذها في حياته، ان لم يكن اسـوأهـا على الاطـلاق، والتي تشيـر الى اسـرافـه في بعض الاحيـان بمجاملة بريطانيا ومسايرة سياستها. (*)

في الثـاني من تشـرين الاول ١٩٢٢ شكـل النقيب وزارته الثالثة، وفي العاشر من الشهر نفسه صادق مجلس الوزراء على المعاهدة، واشترط ان تكون نافذة المفعول بعد ان يصادق المجلس التأسيسي عليها.

على اثـر توقيـع المعـاهـدة، ونشـرها، كتب الملك الى الشعب، بلاغاً، في ٢٣ تشرين الاول، اشار فيه الى الصعوبات التي اعترضت سير المفاوضات. واعرب عن ثقته في ان الشعب سيقدر اهمية المعاهدة بصفتهما خطوة مهمة نحو تحقيق الاماني القومية. وادعا ان بريطانيا «تعهدت بمعاونتنا، واعترفت باستقلالنا السياسي وباحترام

---

* كان انتهـاج هذه السيـاسـة من قبـل بعض رجـالات العهـد الملكي مثـل نوري السعيـد وعبدالاله من العوامل الاساسية والمهمة التي ادت الى انهيار النظام في ١٤ تموز ١٩٥٨.

سيادتنا الوطنية». وان ادارة البلاد اصبحت مناطة به وبالحكومة والشعب.[١٣٧]

لم يكن هذا البلاغ اكثر من محاولة يائسة من الملك، لامتصاص نقمة الشعب على المعاهدة، التي لم تكن سوى نسخة طبق الاصل من صك الانتداب. وكان الملك يدرك هذه الحقيقة جيداً، لانه لم يكن مؤمناً بانها كانت خطوة جدية وحقيقية نحو الاستقلال، بقدر ماهي محاولة لتبديل شكل الاستعمار وجعله اكثر قبولاً.

كان اول رد فعل تلقاه الملك على توقيع المعاهدة، هو نقض الشيخ مهدي الخالصي، البيعة، امام جمهور كبير من الناس، في مدرسة الكاظمية، اذ قال «بايعنا فيصل ليكون ملكاً على العراق بشروط. وقد اخل بتلك الشروط، فلم يعد له في اعناقنا، واعناق الشعب العراقي، اية بيعة».[١٣٨] وقد علق محمد مهدي كبة على ذلك، بقوله ان فيصل الذي فقد عرشه في سورية كان عليه ان يجاري سياسة البريطانيين وينصاع لتوجيهاتهم»[١٣٩] وكان يعنى ان الملك لم يلتزم بالعهد الذي قطعه للخالص، بعد البيعة.

انتخابات المجلس التأسيسي وتصديق المعاهدة:-

بعد ان وافق مجلس الوزراء على المعاهدة، ادرك عبد الرحمن النقيب ان مهمته قد انتهت، كما وجد المندوب السامي، ان الوزارة الحاليه على هيئتها لن تنجح في جمع المجلس التأسيسي، وبالذات بعد ان ظهرت معارضه شديدة للانتخابات تمثلت بشكل واضح حين اصدر رجال الدين، فتاوى تنص على معارضة الانتخابات وتحريمها. وتذكر بيل ان النقيب وجد نفسه عاجزاً عن التصدي لمطالب الاتراك في الموصل، فقدم استقالته،التي سرعان ماقبلها الملك، وقد اتفق المندوب السامي مع فيصل، على اسناد المنصب الى عبد المحسن السعدون، المعروف بسياسته القائمه على اساس التعاون مع بريطانيا، وقد شكل السعدون الوزارة بالفعل في ١٨ تشرين الاول ١٩٢٢.[١٤٠] وفي اليوم التالي لاستلامه المنصب، صدرت

١٣٧- عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص١٣٣-١٣٤

١٣٨- المصدر نفسه، ص١٤٠

١٣٩- محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الاحداث «١٩١٨-١٩٥٨» ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥، ص٢٤

١٤٠- عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص١٤٦-١٤٧

الارادة الملكيه بالشروع بالانتخابات. وكان الملك حريص على انتخاب اعضاء موالين له وللمعاهدة، ليتم تصديقها كي تصبح نافذة المفعول. وكان حريصاً في الوقت نفسه، على اشعار السلطات البريطانية، بان الشعب غير راضٍ عنها، فسعى الى ان تكون المصادقه عليها باكثريه ضئيلة. ومن المرجح ان الملك كان يتعاطف مع المعارضة الشديدة التي ابدتها الحركه الوطنية للانتخابات سيما فتاوى رجال الدين، ومنهم الشيخ الخالصي، لان هذا جعل المسؤولين البريطانيين يقفون بشكل اكثر وضوحاً على حقيقه رأي الشعب بالمعاهدة، التي فرضوها على فيصل والحكومة العراقية، وهنا تتجلى صعوبه التوفيق بين طرفي المعادلة. فالملك من جانب يريد من الشعب ان يقبل المعاهدة، ولكنه في الوقت نفسه يريد ان يضع بريطانيا امام حقيقه وجوب تعديلها لاحقاً، بالشكل الذي يرضي الشعب.

وقد لجأت بريطانيا الى محاولة لامتصاص نقمة الشعب، بان استدعت مندوبها السامي، الى لندن، في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٣، وتم الاتفاق على اصدار بروتوكول يجعل مدة المعاهدة أربع سنوات، بدلاً من عشرين سنة، تبدأ من تصديق معاهدة الصلح مع تركيا.[١٤١] فصدر بلاغاً الى الشعب اشاد ببريطانية وبالخطوة الجديدة التي اتخذتها. وجاء في البلاغ «ولاشك ان الحالة الجديدة التي تتلوا هذا العقد الجديد تقضي بصرف جهود عظيمة من قبل الحكومة والشعب، لتتمكن من انهاء المسؤوليات والتكاليف الملقاة على عاتق حليفتنا العظمى....»[١٤٢] ولكن البروتوكول لم يغير من قوة المعارضة التي واجهتها الانتخابات. فقام الملك بجولات عديدة في انحاء البلاد لكسب الشعب الى جانبه، وبث الدعاية للانتخابات، مؤكداً اهمية جمع المجلس التأسيسي، لتصديق المعاهدة كخطوة لدخول العراق عصبة الامم. ومما قاله في زيارته للموصل «وانني معتقد بان ابناء شعبي المخلص يشتركون معي في لزوم القيام بهذا الواجب ـ اجراء الانتخابات ـ لانهم سوف ينبذون كل مايريد ان يعرقل مساعينا ويقف عثرة في سبيل استقلالنا وسير حياتنا القومية.

١٤١ـ عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات، ط٥، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٨ـ٤٩

١٤٢ـ المصدر نفسه، ص٥٠ـ٥١

واني سوف اكـون بعـون الله رقيبـاً على تحقيق هذه المهمـة». [١٤٣] وفي كلمة القاها امـام وجهـاء مدينـة البصـرة وكبـار المـوظفين من العـرب والاجـانب وابناء الجاليات الاوربية، اكد ان جمع المجلس التأسيسي وتصديق المعاهدة مسألة ضرورية لنيل الاستقلال. [١٤٤]

لم تأتي جولات الملك بنتـائـج ايجـابيـة ملمـوسـة، اذ بقيت المعـارضة قائمة، والصقت على جدران المباني اعلانات اوضحت ان البروتوكول ليس اكثر من خدعة لجأت اليهـا الحكـومـة. ودعت الاعـلانات الى التمسك بفتاوى رجال الدين. [١٤٥] فلم تجـد الحكـومـة امامها سوى ابعاد قادة المعارضة. وكان الملك فيصل، قد فكر باتخاذ هذا الاجراء، منذ شهر نيسان، لكن بعض رجال حاشيته نصحوه بالعدول عن ذلك. [١٤٦] وقد ارسل الملك قاطع العوادي الى الشيخ الخالصي لاقناعه بسحب الفتـاوى، لكن الاخيـر رفض. [١٤٧] ويبـدو ان تطـورات الاحداث اثبتت صحة رأي الملك، اذ ان رجـال الـدين، بفتـاواهم المحرمة للانتخابات، كانوا العامل الاساس في عرقلة سير الانتخابات. فتقرر نفي الشيخ الخالصي. وقد فضل الملك ان يكون بعيـداً عن بغـداد، عنـد نفيـه، فقـام بجولة في المنطقة الجنوبية واتفق مع السعدون على ان يبـرق اليـه من البصـرة، في حالة موافقته النهائية على النفي. [١٤٨] وقد ابرق عبـد المحسن السعـدون الى رستم حيـدر الـذي كان يرافق الملك في جولتـه في الجنـوب. واوضـح له ان رجال الشرطة القوا القبض على بعض اتباع الخالصي. ثم اتبعهـا باخـرى، اشار فيهـا الى ان محـاولات رجـال الـدين الصـاق الفتاوي لاتزال

١٤٣ـ العراق، ١٩٢٣/٥/٣٠

١٤٤ـ محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٦، ص٣١٧ـ٣١٨

١٤٥ـ المصدر نفسه، ص٣٢٠

146- Report by His Britannic Majesty's foverenwent on the administration of Iraq for the Reriod from April1923-December 1924, London, 1924, p.p.,

١٤٧ـ علي الوردي، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٦

١٤٨ـ المصدر نفسه، ص٢٢٢

مستمرة، وانهم حرضوا الناس على الاصطدام بالشرطة. وان الشيخ علي حفيد الخالصي «اعترف بان جميع هذه الاعمال، هي بامر الخالصي وولديه، الشيخ على والشيخ حسن وشريكهما الشيخ سلمان القطيفي»(١٤٩) فوافق الملك على اقرار ابعاد الخالصي، وطلب معاملته بكل احترام، لما له من مكانة وهيبة في نفوس الناس، كما سبق له وان خدم الملك والعائلة الهاشمية. كما طلب اخبار علماء النجف بالاجراء، واسف الحكومة لاضطرارها الى ذلك، كما طلب ابلاغهم بالتزام السكينة.(١٥٠)

هكذا ابعد الملك الشيخ الخلصي، وتخلص من معارضته، لكن تبعية ذلك وقعت على عبد المحسن السعدون.(١٥١) وقد ولد ابعاد الخالصي ردود فعل قوية لدى الشعب، الامر الذي جعل فيصل يبذل جهوداً مضاعفة لكسب الشعب الى جانبه، فهاجم بشكل غير مباشر رجال الدين من ذوي الاصول الفارسية، واكد ان هذه البلاد، لايمكن ان تستسلم لدعوة اجنبية.(١٥٢) وقد تمكن الملك من ان يكسب الى جانبه بعض شيوخ العشائر مثل عبد الواحد الحاج سكر وشعلان ابو الجون.(*)

وقد نشرت جريدة العراق، مقالاً حاولت فيه ان تصور، مدى التفاف ابناء الشعب حول الملك، فكتبت ان الكثير من شيوخ العشائر، اجتمعوا بالملك واقسموا له بالايمان المغلظة، انهم متفانون في اتباع سياسة جلالته. وانهم على استعداد لمواجهة كل الدسائس التي تمس مصلحة الوطن. وانهم لن يصبروا على تأخير الانتخابات. وذكرت الجريدة ان الشيخ شعلان ابو الجون خاطب الملك بقولة «اننا يد جلالتك القوية في تحقيق استقلال الامة المطلق، بالطرق التي ترجحونها، وطوع ارادتك اليوم وغداً كما بالامس».(١٥٣)

---

* شعلان ابو الجون، هو شيخ عشيرة الظوالم الذي كان اعتقاله السبب المباشر لثورة العشرين.

١٤٩ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج١، ص١٦٥

١٥٠ـ المصدر نفسه، ص١٦٦

١٥١ـ لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٩، ص٨٨

١٥٢ـ جريدة العاصمة، ١٩٢٣/٧/١

١٥٣ـ العراق ١٩٣٢/٦/٣٠

ابعاد السعدون والمجيء بجعفر العسكري :-

استمرت عملية الانتخابات وقطعت شوطاً بعيداً، وسط معارضة الشعب، وحرص الملك على انتخاب اعضاء يوثق بهم «لكي نكون في مأمن تام من تصديق المعاهدة». [١٥٤] وحين وجد الملك ان وزارة السعدون، ادت دورها في السير بعملية الانتخابات، فكر بابعاد السعدون عن الحكم. هذا من جانب ومن جانب اخر فان وزارة السعدون حاولت تقليص صلاحيات الملك، حين ناقشت لائحة القانون الاساس. [*] كما ان الملك أراد كسب العناصر التي عارضت نفي رجال الدين والتي حملت عبد المحسن السعدون مسؤولية ذلك. فاتصل الملك بالمنفيين ووعدهم بابعاد السعدون عن الحكم وتشكيل وزارة من العناصر الموالية لهم، تعمل على ارجاعهم، وترفض المعاهدة. فارسل رجال الدين، رسائل الى مؤيديهم، مرفقة بفتاوي تبطل تحريم المشاركة بالانتخابات، بسبب تغير موقف الملك، وقد وقعت بعض هذه الرسائل بايدي السلطات البريطانية، ولم ينكر الملك انه اتصل برجال الدين لكنه ادعا انهم بالغوا في تصوراتهم، وانه لم يعدهم بتنحية السعدون، وتشكيل وزارة من العناصر الموالية لهم، تضمن عودتهم الى البلاد. ويؤكد الدكتور لطفي جعفر فرج، ان تصور رجال الدين المنفيين كان في محله، بدليل ان الملك نحى السعدون بالفعل، كما ان السعدون لمّح في احدى المناسبات بانهسيفسح المجال لشخص من اتباع رجال الدين المنفيين لاستلام الحكم. [١٥٥] كما عمل الملك على اثارة القبائل ضد وزارة السعدون، فارسل كل من جعفر العسكري وياسين الهاشمي، لهذه المهمة. [١٥٦] واخيراً استغل الملك الازمة الاقتصادية التي عجزت وزارة السعدون عن القضاء عليها، فاوعز الى رئيس الديوان الملكي، بان يكتب الى سكرتير مجلس الوزراء، بهذا الخصوص وجاء في الكتاب، ان الوزارة لن تقدم على عمل، من شأنه حل الازمة الاقتصادية «سوى انها زادت في ثقل الضرائب على عاتق الامة لسد العجز في المالية». وطلب رئيس الديوان، ارسال الحلول التي

١٥٤- لطفي جعفر فرج، المصدر السابق، ص١٠١

١٥٥- المصدر نفسه، ص١٤٥-١٤٦

156-peter sluglett, Britain in Iraq «1914-1932» Ist-ed-London, 1970, p160

* ارادت وزارة السعدون ان يكون الوزراء مسؤولين امام مجلس الامة وليس امام الملك.

تراها الوزارة مناسبة لمعالجة الازمة.[157] وقد فسرت الوزارة هذا الكتاب بان الملك يتهمها بالتقصير في واجبها، وعدم تطبيقها المنهاج الوزاري، فطلبت منه توضيح رأيه بشكل صريح، فحاول الملك التقليل من حدة الموقف، فاكد في الكتاب الذي بعثه الى مجلس الوزراء، ان غايته هي حث الوزارة على الاسراع في حل الازمة.[158] والظاهر ان الملك أراد التنصل من مسألة اجبار الوزارة على تقديم استقالتها. لكن السعدون وجد ان وزارته لم تعد حائزة على ثقة الملك، فاضطر الى تقديم استقالته في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٣. وقداكدت بيل ان الملك هو الذي دفع الوزارة الى الاستقالة.[159]

اسند الملك رئاسة الوزارة الى جعفر العسكري، المعروف بولائه المطلق له، فضلاً عن علاقته القوية به منذ ايام الثورة العربية، كما عرف العسكري باعجابه الكبير بالملك فيصل، الى الحد الذي اعتقد انه الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يقود القضية العربية الى النجاح، كما انهما يسيران بخط سياسي واحد، حتى ان بعض المؤرخين اعتبروا جعفرالعسكري، فضلاً عن نوري السعيد، يد الملك اليمنى.[160]

كانت احدى المهام الاساسية لوزارة العسكري، اكمال الانتخابات، ومن اجل تسهيل مهمة الوزارة هذه، اتفق الملك مع المندوب السامي هنري دويس، على عودة رجال الدين المنفيين، على ان يكون ذلك بعد اجتماع المجلس التأسيسي. وبشرط انيتعهدوابعدم التدخل في السياسة.[161] كما قامت الوزارة في الاول من شباط ١٩٢٤، بحذف اسم السلطان العثماني من الخطبة في الجوامع، وقد قابلت مختلف الطوائف الاسلامية في العراق هذا القرار بترحاب واسع. وفي

١٥٧-عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج١، ص١٨٠

١٥٨-المصدرنفسه، ص١٨٠-١٨١

159- Burgoyne, op. cit.,p.320

160- Hanna Batatu, the old social classes and the revolutionary movement of Iraq, new jersy, 1978, p. 198

161- Burgoyne, op. cit., p.329

الـرابـع عشـر من آذار من العـام نفسـه قرات الخطبة باسم الملك حسين. (١٦٢) ومما يؤكـد ترحيب الشعب بهـذا القـرار، ان عدد المصلين ازداد بعـد ذلك. (١٦٣) وتكون الـوزارة بقـرارها هذا قد ساهمت في التفاف الشعب حول الملك وكسب الرأي العام الى جانبه. ومن المرجح ان جعفر العسكري أتخذ هذا القرار، بناء على توجيه من الملك، الـذي سبق له ان عمـل على اقنـاع السعدون على عهد وزارته الاولى، بان يذكـر اسمـه «الملك فيصـل» واسم ابيـه قبل اسم السلطان، اذ انه كان يرى في ذكر اسم السلطـان قبـل اسمـه واسم ابيـه، اهـانـة بحقـه وبحق المصلين الذين يدعون لسلطان خلعه شعبه. (١٦٤) لكن عبد المحسن السعدون رفض الاقتراح. (١٦٥)

وقـد حدث اثنـاء الانتخـابـات ان اغتيل توفيق الخالدي، وزير الداخلية السابق، المعـروف بميـولـه الجمهـوريـة، وعـدم صفاء علاقته مع الملك، الامر الذي جعل اصـابـع الاتهـام تتـوجه نحو الملك والوزارة. وقد اكد خالد عبد الله سرية، نقلاً عن ابيه، ان اباه نفذ عملية القتل بامر الملك. (١٦٦) ويعتقد بعضهم ان الملك بدأ يخشى من ان يبعـده البـريطـانيـون ويضعون الخالدي مكانه، ممادفعه الى تحريض نوري السعيـد على التخطيـط لقتله. (١٦٧) امـا عن سيـر الانتخـابـات، فقـد تمت بشكـل سريـع، حدث تدخـل واضـح من الحكومة لضمان فوز العناصر الموالية للمعاهدة، كي تسهل عملية مصادقتها في المجلس التأسيسي، اذ ان قبول المعاهدة، كان احد الشروط التي وضعها تشرشل، لقبول العراق في عصبة الامم. (١٦٨) وقد وافق مجلس الـوزراء على تخصيص ١٥ ألف روبيـة، (*) لصـرفهـا على الدعاية الانتخابية «ومنح

---

* الروبية عملة هندية تعادل ٧٥ فلس عراقي.

162- British report, 1923- 1924, p. 196 Burgoynr op. cit, p.335

163- P.R.O., F.O., 47,/10097/466, Iraqi internal affairs

164- P.R.O., F.O., 371/10097/4601, Iraqi internal affairs; British report, 1923-1924, P.19

165- Sluglet OP. cit., p.85

١٦٦- مقابلة مع خالد عبد الله سرية من ٢٧/٦/١٩٨٤.

١٦٧- احمد فوزي، اشهر الاغتيالات السياسية في العراق، ط١، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٣.

١٦٨- محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي، ص٢٤٥.

الاكراميات بصورة علنية». [١٦٩]

ان هذا التدخل في الانتخابات يدعم ماذكره طه الهاشمي، من ان كل من جعفر العسكري ونوري السعيد اتفقا مع الملك على ابعاده ـ الهاشمي ـ خارج القطر، لان وجوده على رأس الجيش قد يعرقل تصديق المعاهدة. فارسل الى اسْطنبول لحضور مؤتمر لوزان. [١٧٠]

حين عرض جعفر العسكري المعاهدة على المجلس، جوبهت بمعارضة شديدة، داخل المجلس وخارجه، اذ اقيمت التظاهرات والتجمعات التي نددت بها، وهذا ماكان يريده الملك ليظهر للبريطانيين، بانَ المعاهدة مجحفة، ولابد من تعديلها، ورغم محاولات المندوب السامي، الذي حضر المجلس، لاعطاء التطمينات لاعضائه، فان الاصرار على تعديل المعاهدة بقي مستمراً، فكتب الى الملك يخيره بين رفض المعاهدة او قبولها، ووعده باجراء التعديلات بعد المصادقة عليها، وجاء في الكتاب الذي بعثه اليه في ٢٦ نيسان ١٩٢٤، ان الحكومة البريطانية «لن تتنازل اثناء المفاوضات المقبلة مع تركيا بخصوص الحدود عن اي من مطالب العراق العادلة». [١٧١] واكدت السلطات البريطانية ان عدم تصديق المعاهدة قد يؤدي الى انهيار العلاقات بين العراق وبريطانية، وخلق مشاكل جديدة بين الطرفين. [١٧٢] وتشير بعض المصادر الى ان المندوب السامي هدد باعلان الحكم المباشر، في حالة عدم المصادقة على المعاهدة. [١٧٣] كما استغلت السلطات

١٦٩ـ م. و. وملفات وزارة الداخلية، ١٦/ ٢٩ المصاريف السرية، قرار مجلس الوزراء في ١٩٢٤/١/٣٠، ورقة ٥١. وكان ناجي السويدي وزير داخلية عبد المحسن السعدون قد قدم اقتراحاً بتخصيص هذا المبلغ لصرفه على الدعاية الانتخابية.

١٧٠ـ طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي، ج١، (١٩١٩-١٩٤٣) تحقيق خلدون ساطع الحصري، ط١، بيروت، ١٩٦٧، ص١٥٤.

١٧١ـ العالم العربي، ١٩٢٤/٥/٢.

١٧٢ـ برسي كوكس وهنري دوبس، تكوين الحكم الوطني في العراق، ترجمة بشير فرجو، مطبعة الاتحاد الجديد، الموصل، ١٩٥١، ص٧٧.

١٧٣ـ محمد جميل بيهم، الانتدابات في سوريا والعراق، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣١، ص٤٥.

البريطانية مشكلة الموصل، بالضغط على الملك والحكومة والمعارضة، ففي الوقت الذي كان فيه المجلس التأسيسي يناقش المعاهدة، كان السير برسي كوكس، يفاوض الاتراك بشأن الحدود مع العراق، وكان الاتراك مصرين على ضم الموصل الى دولتهم، فحاولت السلطات البريطانية تفسير هذا الاصرار برفض المجلس للمعاهدة،[١٧٤] وقد بعث كوكس برقية من تركيا، اشار فيها الى ان تردد المجلس، بتصديق المعاهدة شجع الاتراك على تمسكهم بالموصل.[١٧٥] وقداشارالمندوب السامي الى ذلك امام المجلس،[١٧٦] واكد في الكتاب الذي بعثه الى الملك ورئيس الوزراء، ان قبول المجلس للمعاهدة وملحقاتها سيدعم موقف العراق في المفاوضات مع تركيا بخصوص مشكلة الموصل.[١٧٧] وذكرت بعض المصادر ان المندوب السامي خير الحكومة العراقية بين عدم اجراء التعديل او التنازل عن الموصل للاتراك.[١٧٨] وقد اكدت الصحف الصادرة في تلك الفترة ضرورة مراعاة مشكلة الموصل، فذكرت جريدة «المفيد» ان اخطاراً هائلة تهدد حياة الوحدة العراقية، اذا لم نتلافاها من الان بالحكمة والعقل.[١٧٩] وذكرت صحيفة العراق ان انسلاخ اجزاء من تركيا، كالبانيا ومقدونيا بعد حرب البلقان، كان نتيجة تدخل الشباب والطلبة في السياسة.[١٨٠] والواضح ان الصحيفة تنتقد رجال المعارضة، وتحذر من ضياع الموصل.

١٧٤- برسي كوكس، المصدر السابق، ص٧٧.

١٧٥- العالم العربي، ١٩٢٤/٥/٢٨.

١٧٦ - العالم العربي، ١٩٢٤/٦/١.

١٧٧- م. و. و. ، ملفات البلاط الملكي، ة/٤/١، ٨١١- وع، مشكلة الموصل، رقم الكتاب آر. او ٨٩، ورقة ٧.

١٧٨- سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق (١٩٢٠-١٩٥٨) ج١، سنة ومكان الطبع؟ ص٤١.

١٧٩- جريدة المفيد، ١٩٢٤/٦/١.

١٨٠- العراق، ١٩٢٤/٥/١٤. للمزيد من التفاصيل عن مشكلة الموصل راجع كتاب الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، بغداد، ١٩٦٧.

اضطر العسكري الى تقديم استقالته بعد ان استشار الملك بسبب قوة المعارضة فحاول الملك بعد ان استشار المندوب السامي اسناد الوزارة الى ياسين الهاشمي،[١٨١] الذي كان معارضاً لتصديق المعاهدة، مالم تجر عليها تعديلات.[١٨٢] كان الملك ذكياً في طلبة هذا، اذ انه كان مدركاً بان قيادة الهاشمي للمعارضة لم تكن نابعة من موقف مبدئي بقدر ماكانت تهدف الى احراج الوزارة، بالدرجة الاولى، وعدم جعلها تتمادى في قبول المعاهدة.[١٨٣] وقد رفض الهاشمي بالفعل تشكيل الوزارة، وليس من المستبعد ان يكون موقف الهاشمي من المعاهدة، ومن ثم رفضه تشكيل الوزارة قد جاء بتدبير من الملك الذي أراد ان يثبت للبريطانيين، صعوبة الموقف، والدليل على ذلك ان الهاشمي دعا الى التصويت الى جانب المعاهدة او الامتناع عن التصويت ضدها، كما تؤكد ذلك التقارير البريطانية السرية.[١٨٤]

ازاء هذا الموقف المتوتر، حاولت الحكومة البريطانية ان تعطي تطمينات كثر للعراق في محاولة للحد من توتر الموقف، فكتب المندوب السامي الى الملك في ١٦ مايس مؤكداً له ان حكومته ستدخل في مفاوضات حول تعديل المعاهدة، بعد ابرامها.[١٨٥] لكن هذا لم يمنع الملك من ان يحاول ثانية ان يطلب من المندوب السامي تعديل المعاهدة، فكتب اليه في ٢٧ مايس «ارغب في هذا ان اسأل فخامتكم، وذلك لاخر مرة، اذا كان من الممكن ان تبينوا لي باسم حكومة صاحب الجلالة، امكان قبول التعديلات، التي اقترحتها لجنة المعاهدة»(*). واكد في الكتاب انه يعرف جيداً ان من المستحيل على بريطانيا الموافقة على اقتراحه

---

* اللجنة التي تشكلت داخلت المجلس التأسيسي لدراسة المعاهدة.

181- Ireland, op. cit., 133.

١٨٢ـ مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي، ط١، مطبعة السلام، بغداد ١٩٢٤، ص٤٣٥. وسأرمز له، المذاكرات.

١٨٣ـ علي جودت الايوبي، المصدر السابق، ص١٧٢!

184- P.R.O., CO, 730/60/6277,paraphrase telegram from H.c. for Iraq to the secret for the colonies 12 July, 1924 .

١٨٥ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج١، ص٢١٤-٢١٥.

هذا. [١٨٦] وقد اصر المندوب السامي على موقفه بالفعل، بل ان وزير خارجية بريطانيا، كتب الى سكرتير مجلس عصبة الامم في ٢١ آيار ١٩٢٤، كتاباً جاء في فقرته الاخيرة «الا انه من المحتمل ان لاتكون المعاهدة والبروتوكول والاتفاقيات المتفرعة، قد قبلت من قبل المجلس التأسيسي، قبل جلسة مجلس الجمعية، المذكور، المقبلة(*)، وفي تلك الحالة ستحدث وضعية جديدة. وقد لايبقى لدى حكومة صاحب الجلالة من خيار سوى ان تحصل من مجلس العصبة على تفويض، لاجل اتخاذ ترتيب ما اخر» [١٨٧] وكان يعني العمل بنظام الانتداب، ثم بعث المندوب السامي بنص هذا الكتاب الى الملك، واوضح له ان موعد الجلسة المقبلة لجمعية عصبة الامم هو ١١ حزيران، وفي حالة عدم تصديق المعاهدة «فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تفكر في ان تعرض على مجلس الجمعية ترتيباً اخر، عوضاً عن الوثيقة الانفة الذكر ـ المعاهدة ـ لاجل معاملة العراق. وانه من المهم ان يذاع قرار الحكومة البريطانية هذا ذيوعاً واسعاً في العراق، بدون تأخير. ولي ثقة بان جلالتكم ستصدرون الاوامر، لاجل نشرها قريباً» لكن الملك، اكتفى بارسال الكتاب الى جعفر العسكري، وحين لاحظ المندوب السامي ذلك، قام الملك بنشر الكتاب في جريدة «بغداد تايمز Baghdad Times» التي تصدر باللغة الانكليزية. [١٨٨]

يبدو ان الملك لاحظ ان معارضة المعاهدة اصبحت اكثر قوة مما كان يتوقع او يريد، فدعا في التاسع من حزيران، اعضاء المجلس الى الاجتماع والقى فيهم كلمة جاء فيها «انا لااقول لكم اقبلوا المعاهدة او ارفضوها، انما اقول لكم، اعملوا ماترونه الانفع لمصلحة البلاد، فان اردتم رفضها فلا تتركوا فيصلاً، معلقاً بين السماء والارض. . . » [١٨٩] ويعلق صلاح الدين الصباغ على ذلك بقوله، ان الملك ذكر ذلك بعد ان هدده البريطانيون ونوري السعيد وجعفر العسكري، بخلعه عن العرش

---

* وهذا آخر موعد حددته بريطانية لقبول المعاهدة.

١٨٦ـ المصدر نفسه، ص٢١٥ .

١٨٧ـ المصدر نفسه، ص٢٢٠ـ٢٢٣ .

١٨٨ـ المصدر نفسه، ص٢٢١ـ٢٢٢ .

١٨٩ـ العالم العربي، ١٩٢٤/٦/١٠.

اذا لم يبرم المعاهدة،[١٩٠] والحقيقة ان الملك خاطب اعضاء المجلس باجمعه ولم يخاطب القوميين، كما ذكر الصباغ وليس هناك مايؤكد صحة ماذكره حول خلع الملك عن العرش.

حين يأس المندوب السامي من تصديق المجلس المعاهدة، اتصل هاتفياً بالملك، معرباً عن رغبته في مقابلته، في التاسع من حزيران، وهو اليوم الذي القى فيه الملك كلمته في اعضاء المجلس، وحين التقى به سلمه انذاراً اكد ان حكومته لايمكنها ان تسمح باستمرار الحال، وما يترتب على ذلك من خطر على سلامة العراق، وطلب من الملك تعديل القانون الاساس يتضمن تخويل الملك حق فض المجلس التأسيسي والامر بحله ابتداء من الساعة الثانية عشرة من ليلة ١٠/١١ حزيران، وطلب ابلاغ ذلك رسمياً الى رئيس الوزراء ورئيس المجلس التأسيسي وان يصدر التعليمات بغلق بناية المجلس فوراً، واحاطتها بقوة من الشرطة.[١٩١] وقد رفض المندوب السامي طلب تقدم به الملك لتأجيل البث في المعاهدة ٢٤ ساعة، عندها لم تجد الحكومة بدأ من جمع اعضاء المجلس ليلاً ليصادقوا على المعاهدة بأكثرية ٣٧ ضد ٢٤ مع امتناع ٢٨ عن التصويت.

وقد شارك احد مرافقي الملك في جمع اعضاء المجلس، مما يؤكد ان الملك كان الى جانب اجراء الحكومة.

ان مجمل مايمكن ان نستنتجه من موقف الملك هو انه اراد ان يثبت لبريطانيا ان المعاهدة جائرة بدليل المعارضة الشديدة التي واجهتها، وانه بذل كل ما في وسعه لتصديقها، مخالفا بذلك رغبة الشعب، وما على بريطانيا الا ان تفي بوعدها بتعديل المعاهدة بالشكل الذي يرتضيه الشعب. وقد اكد خليل كنه ان الملك ساند المعارضة للمماطلة في توقيع المعاهدة.[١٩٢]

بعد ان انجزت وزارة العسكري مهمتها الاساسية بتصديق المعاهدة، فضلاً عن اقرار القانون الاساس «الدستور» قدم العسكري استقالته الى الملك الذي سرعان

١٩٠ـ صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة، الشباب العربي، مكان الطبع؟ ١٩٥٦، ص٣٩

١٩١ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج١، ص٢٢٤.

١٩٢ـ خليل كنة، العراق امسه وغده، ط١، بيروت، ١٩٦٦، ص٦٥.

ماقبلها . ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض السياسيين اطلقوا على وزارة العسكري اسم «وزارة البلاط» لانها كانت تسير حسب توجيهات الملك فقد ذكر توفيق السويدي ان العسكري حين يسأل عن سبب عدم حريته في عمله بصفته المسؤول الاول في الدولة من الناحية الدستورية يقول «ان الملك لايمكنني من ذلك لمداخلاته الكثيرة في اموري» ولما سئل الملك قال انه يضطر للمداخلة لان جعفر ليس له من المقدرة مايطمئنه على حسن جريان الامور كما يرغب.[١٩٣] ويعزو السويدي ذلك الى ان العسكري لم يكن رجل دولة بالمعنى الصحيح لانهماكه باموره الشخصية.[١٩٤]

والحقيقة ان تدخل الملك في شؤون الدولة في عهد وزارة العسكري يعود الى قوة العلاقة بين الاثنين التي تختلف عن طبيعة العلاقة بين الملك ورئيسي الوزراء السابقين، عبد الرحمن النقيب وعبد المحسن السعدون، وقد اكد الملك لهنري دويس، ان صداقته الشخصية هي التي ولدت الانطباع بأن الوزارة اصبحت في قبضة الملك.[١٩٥]

* * *

وقع اختيار المندوب السامي «هنري دويس» على ياسين الهاشمي، ليرأس الوزارة، وكان الهاشمي قد سعى الى التقرب من بريطانيا، وقد اثمر هذا السعي بان اسند اليه المنصب الاول في الدولة.

قرر الهاشمي ابقاء وزارة الدفاع بعهدته، وكان من رأي الملك اسناد هذا المنصب الى نوري السعيد، لكنه لم يتمكن من تحقيق ذلك، فقرر استحداث منصب نائب القائد العام، وعين السعيد، فيه، لحرمان الهاشمي من الاتصال المباشر بالجيش ووضع السعيد بينه وبين الهاشمي، لتمر القضايا العسكرية عن طريق السعيد.

لم يحدث في عهد وزارة الهاشمي، شيء يذكر حول المعاهدة والعلاقات مع بريطانيا كان للملك فيصل دور فيه، باستثناء مسألة الموظفين الاجانب، اذ قررت

١٩٣ـ توفيق السويدي، وجوه عراقية، مذكرات مخطوطة، وغير مرقمة الصفحات.

١٩٤ـ المصدر نفسه.

١٩٥ـ م.و.و. ، ملفات البلاط الملكي، ج/٩، ٢٨٢ـ وع مفاوضات لندن، ورقة ١٥٠.

الـوزارة تخفيض عدد المـوظفين البريطانيين من ١٨١ الى ١٠٣ كمـا حددت مدة استخدامهم بخمس سنوات ، وقد رفض المندوب السامي الموافقة على هذا القرار، كما رفضه الملك بضغط من المندوب السامي ، وبعد مفاوضات طويلة ، تم التوصل الى حل وسط اذ تقرر ان لاتتجاوز العقود الطويلة عشر سنوات ، مع ملاحظة الكفاءة والاختصار في العمـل ، لدى توقيـع العقـود الطويلة ، على ان تكون للحكومة ، مطلق الحـريـة في استخـدام المـوظفين ، وقـد اشترط المندوب السامي للموافقة على هذا القرار، ان يحتفظ لنفسه بحق طلب تعيين موظفين بريطانيين ، فضلاً عن الذين تمت الموافقة على تعينهم ، فوافق الملك على هذا الشرط .(١٩٦)

سعى الملك بعـد ذلـك الى تنحية الهاشمي عن رئاسة الوزارة ، اذ كانت سياسته تقوم على عدم بقاء رئيس وزراء في المنصب مدة طويلة ، وقد لمس الهاشمي ان كلا من الملك والمنـدوب السـامي ، ايـدا عبـد المحسن السعدون في محاولاته لاحباط مساعيه في حصول انصاره من حزب الامة على الاكثرية البرلمانية في المجلس .(١٩٧) كما ان الملك اتهم الوزارة بعجزها عن انهاء التوتر في المنطقة الشمـالية .(١٩٨) فشعـر الهـاشمي ان الملك لايـرغب ببقـائـه في المنصب ، فقـدم استقـالتـه ، التي سرعـان ماقبلها الملك ، وقـد اسنـد الملك رئـاسـة الـوزارة الى السعدون ، اعتقاداً منه انه اكفأ من غيره ، لتطبيق توصيات لجنة الحدود ، الرامية الى تحديد اجل الانتداب البريطاني على العراق مدة ٢٥ عاماً ، مع ضمان بقاء الموصل جزءاً من الاراضي العراقية .(١٩٩)

في ٢٦ حزيران ١٩٢٥ ، صدرت الارادة الملكيـة بتعيين عبد المحسن السعدون رئيساً للوزراء ، وكانت احدى اهم مهامه ، الدخول في مفاوضات لتعديل المعاهدة ، ذلك ان قرار عصبة الامم ، ببقاء الموصل ضمن الدولة العراقية ، اقترن بعقد معاهدة

١٩٦ـ سامي عبد الحـافـظ القيسي ، ياسين الهـاشمي ودوره في السيـاسـة العـراقيـة بين عـامي ١٩٢٢ـ١٩٣٦ ، ج١ ، البصرة، ١٩٧٥ ، ص٣٠٠

١٩٧ـ المصدر نفسه ، ص٣٠٨.

١٩٨ـ المصدر نفسه ، ص٣١٢ .

١٩٩ـ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج١ ، ص٢٨٧.

جديدة مع العراق تصبح مدّة الانتداب بموجبها ٢٥ عاماً.

وفي ٢٨ كانـون الاول ١٩٢٥ ، قدمت الحكـومـة البريطانية الى الحكومة العراقية نص المعاهدة «الجديدة»، التي لم تختلف عن سابقتها من حيث الجوهر، سوى ان مدة الانتداب اصبحت ٢٥ عاماً، الامر الذي ازعج الملك ورئيس وزرائه، وقد اعرب الملك للقـائم بالاعمـال البريطاني عن المه لموقف بلاده، فذكر في رسالة بعثها اليه «يؤلمني ان افضي اليكم بمـا اصـاب الجميـع من الانكسـار، وخيبـة الامل، بسبب تأجيل تلك الوعود، التي ترددت على الالسن مراراً، باسم حكومة جلالة الملك»[٢٠٠] كمـا اكـد اهمية قيام بريطانيا ببذل جهودها، كل اربع سنوات، لادخال العراق عصبة الامم، مع الاخذ بنظر الاعتبار، اعادة النظر بالاتفاقيات الملحقة بالمعـاهـدة.[٢٠١] لكن المـوقف البـريطـاني لم يتغير، فاضطر السعدون الى تقديم استقـالتـه في التـاسع من كانون الثاني ١٩٢٦ ، الى الملك، الذي لم يوافق عليها، اعتقـاداً منـه، ان تفـاقم الازمـة قد يؤثر على مسألـة المـوصـل، ذلك ان المندوب السـامي ابلغ الملك في كانـون الثـاني، بانـه ليس امام العراق سوى قبول المعاهدة بالشكـل الـذي وضعتـه بريطـانيـا، او التنـازل عن الموصل لتركيا، وان بريطانيا غير مستعـدة لقبـول اي تعـديـل على المعـاهدة.[٢٠٢] وكان من الطبيعي ان يقبل الملك بمعاهدة جائرة على ان يضحي بجزء مهم من تراب الوطن، فجاء في رده على كتاب استقـالـة السعـدون «فهل انتم مفكرون فيما يحدثه انسحابكم في مثل هذه الازمة، التي لها مابعدها من الوهن، في موقفنا داخل البلاد وخارجها، وتقوية خصومنا علينا، لذلـك لاأرى في هذه الظـروف مجـالاً لقبـول استقـالتكم انتم وزمـلائكم وارى ان الـواجب الـوطني يحتم عليكم ان لاتفكـروا في امـر كهـذا. . .»[٢٠٣] كمـا تدخـل المنـدوب السـامي للتخفيف من الازمة، فابلغ السعدون ان حكومته مستعدة لاضافة

٢٠٠- فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية - البريطانية، ص١٥٢.

٢٠١- المصدر نفسه، ص١٥٣.

٢٠٢- عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات، ص١٣٣.

٢٠٣- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات. ج٢، ص٣٣-٣٤.

مادتين الى المعاهدة الجديدة، تعرب فيهما عن استعدادها الى اعادة النظر في الاتفاقيات الملحقة، بعد التوقيع على المعاهدة، وكذلك اعادة النظر بالمعاهدة وملحقاتها بعد انتهاء مدتها، [٢٠٤] وفي نهاية كل اربع سنوات، فتمت الموافقة على المعاهدة التي اقرها مجلس عصبة الامم في الحادي عشر من آذار ١٩٢٦ .

في الاول من تشرين الثاني ١٩٢٦ قدم عبد المحسن السعدون استقالته الى الملك بسبب خذلان مرشحه حكمت سليمان، في مجلس النواب، وانتخاب مرشح المعارضة رشيد علي الكيلاني . فاسند الملك الوزارة الى جعفر العسكري، وكان الملك مهتماً بابعاد السعدون عن المنصب، حتى انه لم يستفسر عن سبب استقالته بل انه عرقل محاولات دار الاعتماد للحيلولة دون الاستقالة، ورفض دعوة السعدون لحل المجلس النيابي . [٢٠٥]

جاء اسناد الوزارة الى العسكري اعتقاداً من الملك ان اعتزال العسكري السياسة الحزبية سيمكنه من التوفيق بين الاحزاب المتنازعة، وسيمكن هذا المجلس من تصديق القوانين الهامة . [٢٠٦] وفي مقدمتها قانون التجنيد الاجباري .

وقد ظهر دعم الملك للوزارة منذ اليوم الاول لتشكيلها، اذا رقي رئيس الوزراء الى رتبة فريق . [٢٠٧]

استغل المندوب السامي وصول السير جون شاكبيرة مدير الامور الشرقية في وزارة المستعمرات البريطانية الى فلسطين، فطلب منه زيارة العراق لمناقشة الامور المتعلقة بالمعاهدة، فجاء الى بغداد في ٢٠ آذار ١٩٢٧، واجتمع بالملك والعسكري وحاول التوفيق بين وجهات النظر المتضاربة، لكنه اخفق في مهمته . [٢٠٨] فاضطر العسكري الى تقديم استقالته، لكن الملك لم يقبلها، ودعا

٢٠٤ـ المصدر نفسه، ص٣٤ .

٢٠٥ـ لطفي جعفر فرج، المصدر السابق، ص٢٤٠.

٢٠٦ـ العالم العربي، ٢٧/١١/١٩٢٦.

٢٠٧ـم.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ج/١، ١٩٤وع، تشكيل واستقالة الوزارات، كتاب الديوان الملكي المرقم ر/١١/٦١٦، في ٢١/١١/١٩٢٦ ورقة ٢٤.

٢٠٨ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص١٢٦.

العسكري الى الاجتماع بالمندوب السامي بحضوره شخصياً، وقد اقترح العسكري نشر اسباب الاستقالة. لاحراج المندوب السامي، وهذا ماأكده الاخير في الكتاب الذي ارسله الى الملك والذي عبر فيه عن استياء حكومته «من استعمال وسائل كتلك التي فكرت في استعمالها الوزارة بغية حملها على التوصل الى قرار». [٢٠٩] وكان المندوب السامي يعتقد ان فكرة الاستقالة والتهديد بنشرها كانت بتحريض من الملك فيصل، فانذره في الحال لان مثل هذا الاجراء سيثير استياء بريطانيا ويدمر «اهداف فيصل الخاصة». . [٢١٠]

واخيراً رفض الملك استقالة رئيس الوزراء لاعتقاده انها حققت الغاية المطلوبة. [٢١١]

في السابع من تموز سافر المندوب السامي الى لندن واجتمع بالمستر امري وزير المستعمرات لبحث مسألة تصديق المعاهدة. فتقرر استدعاء الملك فيصل الى لندن، فغادر الاخير بغداد في السادس من آب. [٢١٢] وقد شاع في حينه انه ذهب للاستشفاء.

والمرجح ان الملك هو الذي طلب الاشتراك في المفاوضات بحجة عدم قناعته بقوى جعفر العسكري الفكرية، وقابليته على المناقشة والحجة، وخشية من ان يخفق في التعبير عن رغبات ومشاعر الملكية في المفاوضات، فقرر ان يطرح افكاره بشكل شخصي على المسؤولين البريطانيين [٢١٣]، لذا «التمس» مجلس الوزراء من

٢٠٩ـ المصدر نفسه، ص١٣١.

210- P.R.O., F.O., 371/12259/3881,not of the internal situation in Iraq by the high commissioner, 27/6/1927.

٢١١ـ علاء جاسم محمد، المصدر السابق، ص١١٤.

212- Report by his Britannic MaJesty's Government to the council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the year 1927, London, 1928,P. 15-16.

213- P.R.o., F.o., 371/12260/4022.5th November, 1927.

الملك ان يشرف على المفاوضات من محل قريب لتسهيل سيرها. (٢١٤) وفي الخامس من ايلول سافر جعفر العسكري الى لندن يطلب من الملك ليكون على اتصال بدائرة المستعمرات(٢١٥)

بين الخامس و السابع من ايلول دارت مشاورات بين شاكبره والملك فيصل في اكس لابان وقد تسائل الملك عن سبب التأخير في المباشرة في المفاوضات واكد انه جاء الى اوربا الآن بريطانيا الزمت نفسها بتعهد، واكد انه ليس لديه شيء اكثر مما سبق ان ذكره وإنه لايريد ان يضغط على بريطانيا في مسألة دخول العراق عصبة الامم، لانه يعرف صعوبات ذلك، رغم انه فضل ان يكون دخول العراق العصبة عام ١٩٢٨. واقترح الملك تعديل الخامسة الخاصة من المعاهدة بحيث تحرره من مسؤولية الحصول على موافقة بريطانيا في تعيين ممثلين للعراق في الخارج. وان على بريطانيا ان لاتعارض اي تعيين يقوم به، وان تعدل الفقرة الثانية من المادة ذاتها وتصبح مسألة حماية العراقيين في الخارج من قبل بريطانيا يطلب من الملك، اما المادة السادسة، فقد اقترح الملك تحديد سنة ١٩٢٨ بدخول العراق عصبة الامم بدلاً من عبارة «في اقرب وقت ممكن» ويذكر شاكبره ان الملك ابتسم ابتسامة عريضة وهو يقترح ذلك، وانه لم يتوقع ان تؤخذ هذه المسألة بشكل جدي من قبل بريطانيا، كما اقترح الملك إلغاء المادة الثامنة التي نصت على عدم تنازل الملك عن ارض عراقية او يؤجرها الى اية دولة اجنبية او وضعها تحت سيطرتها، كما اقترح الغاء المادة ١٣ الخاصة بمنع انتشار الامراض ومقاومتها والمادة ١٤ الخاصة بنظام الاثارة والمادة ١٥ الخاصة بالعلاقات المالية لانتقاء الحاجة لها.

الواضح ان فيصل ركز في مفاوضاته هذه على الاسراع بدخول العراق عصبة

٢١٤ـ حديث رشيد عالي الكيلاني في مجلس النواب، محاضر مجلس النواب الدورة الاعتيادية الاولى، الجلسة الثانية، المنعقدة في ١٧/١٢/١٩٢٧ ص٦. عندما تأكد ذهاب العسكري الى لندن طلب يوسف السويدي الى الملك ان يقوم ابنه ناجي السويدي بمرافقته ـ الملك «لان من غير اللائق الاعتماد على رجال مثل العسكري والسعيد» واعرب عن عدم ارتياحه لان الملك يولي ثقته لغير الاشراف وطبقات الشعب العليا، انظر Batatu, op. cit., p.177

215- British Report, 1927, p.16 .

الامم وتعديل بعض المواد بشكل يوحي بأن العراق اصبح دولة مستقلة ذات سيادة فقد سبق له ان اكد انه لن يعود الى العراق مالم يحدث تعديل في المعاهدة.(٢١٦)

ويؤكد المندوب السامي البريطاني ان غاية الملك كانت العودة بمعاهدة مقبولة كي يعود الى شعبة وكأنه منقذه.(٢١٧)

في العشرين من تشرين الاول ١٩٢٧ سافر الملك من مدينة اكس لابان الفرنسية الى لندن للاشراف على المفاوضات التي بدأت رسمياً في الخامس والعشرين من الشهر نفسه وقد انتهت المفاوضات الى طريق مسدود فعاد جعفر العسكري الى بغداد في ٢٧ تشرين الثاني.(٢١٨) اما الملك فانه لم يغادر لندن، بل مكث فيها بضعة ايام، ويذكر غروبا انه التمس من جورج الخامس ملك بريطانيا قبول تنازله عن العرش لولده غازي بعد ان شعر بأنه اخفق في تحقيق رغبات الشعب العراقي بسبب تصلب بريطانيا، وقد رفض الملك جورج هذا الطلب.(٢١٩) وقبل ان يغادر العاصمة البريطانية اقيمت للملك مأدبة حضرها كبار مسؤولي الدولة، ودار حديث غير رسمي حول المعاهدة. وقد اعرب الملك بطلب من تشرشل عن استعداده لحذف كلمة «التام» على ان يبدي الجانب البريطاني مرونة اكثر في موقفه.(٢٢٠) وكان البريطانيون قد اصروا على حذف عبارة «الاستقلال التام» من مسودة المعاهدة التي قدمها الوفد

216- P.R.O., F.o., 371/12259, Report by sir shackburah on conversation with king Feisal at Aix-Lesbain 5th- 7th September, 1927.

217- P.R.O., F.o., 371/12259/38819, Note on the internal situation in Iraq by high commissioner, 27/6/1927.

٢١٨- علاء جاسم محمد، المصدر السابق، ص١١٨.

٢١٩- فريتز غروبا، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق، ج٢، ترجمة فاروق الحريري، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩، ص١٩٩.

٢٢٠- انظر نص الرسالة التي كتبها الملك الى جعفر العسكري في ٤ كانون الاول ١٩٢٧ في، عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج٢، بيروت، ١٩٨٠، ص١٤٤-١٤٦، تاريخ الوزارات، ج٢، ص١٣٨-١٤٠.

العـراقي .[221] وقـد تمكن تشـرشـل من اقناع الملك بان عودته دون توقيع المعاهدة سيؤدي الى حدوث اضطـرابـات في العـراق وان من الافضـل ان يوافق على توقيـع المعـاهـدة ، فكتب الملك الى جعفـر العسكـري ، طالباً منه العودة الى لندن ، وكان العسكـري قد وصل الاسكنـدريـة ، فقفـل راجعـاً الى العـاصمـة البـريطانية ليوقع المعـاهـدة ، وهناك من يذكر ان العسكري عاد الى بغداد ليشكل مجلس وصاية على العرش ، مما دفع السلطات البريطانية الى ابداء بعض المرونة في موقفها .[222] وهذا رأي لايخلو من مبـادئـة ، وليس هنـاك مايـدعمه . وليس من المستبعد ان تكون عودة العسكـري ، منـاورة قام بهـا الملك في محـاولـة للضغط على بريطانيا ، وقد اعترف الملك ، بان المعاهدة الجديدة «لم تأت حسبما كنا تنتظرها»[223]

ان اهم ماجاء بالمعاهدة الجديدة هو البند الاول الذي نص على اعتراف بريطانيا ، بان العراق دولة مستقلة ذات سيادة ، والبند الثامن الذي اصبح بموجبه الطريق مفتوحاً امام العراق لدخول عصبة الامم . اما بقية البنود فانها لاتختلف من حيث الجوهر عن المعاهدة السابقة ، وقد اشارت جريدة «باري ميدي» ان قبول الملك ، المعاهدة جاء بسبب الغـارات الـوهـابيـة ، التي شنت على العـراق اثنـاء المفـاوضات ، وقد فندت جريـدة الاستقـلال ، هذا الادعاء ، لان الغارات لم توثر في سير المفاوضات ،[224] وليس من المستبعـد ان يكـون للبـريطـانيين يد في اثـارة هذه المشكلة لاجبـار الـوفد العراقي على الرضوخ لمطالبهم ، كما حدث اثناء مفاوضات معاهدة ١٩٢٢ ، ويذكر بيهم ، ان للملك عبد العزيز آل سعود يد في تحريض الوهابيين ضد العراق ، في هذه الفتـرة بالـذات «حتى لايبلغ العـراق بغيتـه من الاستقـلال ، كمـا حرم العـراق من

٢٢١ـ علاء جاسم محمد ، المصدر السابق ، ص١١٨.

٢٢٢ـ عبـد الحميـد العنيزي ، العـراق في عهـد الفيصلين ، ج١ ، مكتبـة دار الكتب التجـاريـة ، النجف ، ١٩٥٥ ، ص٣٢. اكـد المؤلف ان وثـائق البـلاط الملكي تؤكـد قوله هذا ، ولكن لم اعثر على مثل هذه الوثائق لدى اطلاعي على ملفات البلاط الملكي في المركز الوطني للوثائق ، والتي ربما تكون قد فقدت ، فيما لوصح وجودها .

٢٢٣ـ انظر رسالة الملك الى جعفر العسكري المشار اليها اعلاه .

٢٢٤ـ جريدة الاستقلال ١/١/١٩٢٨.

الحصول على ماكان يعقد من آمال كبيرة»[225] ويؤكد الدكتور صادق الاسود. ان هجوم الوهابيين على مخفر «بصية» له علاقة، باستدعاء الملك، جعفر العسكري الى لندن لتوقيع المعاهدة، لان هذا الاستدعاء السريع، جاء عقب الهجوم على المخفر.[226]

كانت المعاهدة الجديدة خيبة امل للجميع «الملك والوزارة والشعب» فقرر جعفر العسكري تقديم استقالته للملك، الذي قبلها في الحال، اذ انه أراد ان يشعر بريطانيا بان المعاهدة قاسية الى الحد الذي ادى الى سقوط الوزارة.

الملك وازمة الوضع الشاذ:-

بعد استقالة العسكري استقر الرأي على اسناد المنصب الى عبد المحسن السعدون، فصدرت الارادة الملكية بذلك، في الرابع عشر من كانون الثاني ١٩٢٨، ولم يحدث طيلة فترة حكم السعدون شيء يذكر بخصوص العلاقات مع بريطانيا كان للملك دور فيه، غير ان السعدون قرر الاستقالة بعد ان رفضت السلطات البريطانية الموافقة على اقتراح وزارته بشأن تعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية ومسألة الاراضي، وقد تمكن الملك من اقناع السعدون بالعدول عن الاستقالة اول الامر[227] رغم اتفاقه في الرأي مع السعدون، لكن تصلب الجانب البريطاني دفع السعدون الى الاصرار على الاستقالة، وقد حاول وزير المستعمرات اقناعه بالعدول عن ذلك فرفض، حرصاً على سمعته وسمعة عائلته.[228]

وقد قبل الملك الاستقالة بعد ان اشاد بجهود السعدون واعرب عن اسفه لاستقالته.[229] واكد الملك للمندوب السامي ان اصرار بلاده على موقفها سيجعل

٢٢٥ـ محمد جميل بيهم، الانتدابات، ص٥٠.

٢٢٦ـ صادق حسن السوداني، العلاقات العراقية ـ السعودية، ١٩٢٠-١٩٣١ بغداد، ١٩٧٦، ص٢٧٤.

٢٢٧ـ لطفي جعفر فرج، المصدر السابق، ص٢٧٤ـ٢٧٨.

٢٢٨ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص٢٢٣ـ٢٢٥.

٢٢٩ـ المصدر نفسه، ص٢٢٦.

البلاد بلا وزارة.(٢٣٠) وهذا ماحدث بالفعل اذ لم يجرؤ احد على قبول المنصب خلال ثلاثة اشهر، وقد اكد اعضاء وزارة السعدون عدم مساندتهم اي رئيس وزراء يتعهد بقبول المعاهدة،(٢٣١) ولا يسير على نهج السعدون.(٢٣٢)

ويشير توفيق السويدي في مذكراته الى ان السعدون اقترح على الملك ان يشكل علي جودت الايوبي الوزارة. وكان رأي الملك اسناد المنصب الى نوري السعيد. وحلا للأشكال اتفق الملك مع السعدون على حضور السعيد والايوبي ليتخلص من الوعد الذي سبق ان قطعة للسعيد بأن يشكل الوزارة.(٢٣٣) ويضيف السويدي في مذكراته المخطوطة وغير المنشورة ان الملك استدعاه مع نوري السعيد لمناقشة مسألة تشكيل الوزارة، وانه حين دخل على الملك وجد عنده السعيد، وذكر الملك لهما انه يعتمد عليهما وسيكلفهما بتشكيل الوزارة، وكان رد السويدي انه يرى ان يشكل السعيد الوزارة ويعمل هو- السويدي - على مساندته. كما اقترح السعيد ان يشكل السويدي الوزارة، واعتذر عن العمل معه، ويؤكد السويدي ان الغاية من الاجتماع كانت تتصل الملك من العهد الذي قطعه للسعيد.(٢٣٤)

حين وجد المندوب السامي بقاء البلاد بلا وزارة، بدأ يترك اثراً سلبياً على بريطانيا

230- Ireland, op. cit.,p.412.

231- Ibid. 412.

٢٣٢- التقرير البريطاني المرفوع الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق لعام ١٩٢٩، والذي ترجمته جريدة العالم العربي ونشرته على شكل حلقات، انظر العدد الصادر في ٢٨/٩/١٩٣٠. «لم احصل على النسخة الانكليزية عن عام ١٩٢٩ فاعتمدت على ترجمة الجريدة المذكورة».

٢٣٣- خيري امين العمري، حكايات سياسية، ص٢١٦-٢١٧، لم اطلع على الكتاب المخطوط للسويدي، كله بل اطلعت على جزء منه فاشرت اليه، وهناك قسم اخر موجود لدى الاستاذ خيري العمري اعتمد عليه في كتابه حكايات سياسية، فنقلت ذلك عنه.

٢٣٤- توفيق السويدي، مذكراتي - نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩، ص١٣٨.

وسياستها في العراق، اتصل بالملك، لانقاذ الموقف، وكان رد الاخير انه ـ المندوب السامي ـ سبق وان تشكى لدى حكومته، من تدخله في الشؤون السياسية.[٢٣٥] وكان رأي الملك «انه ليس في امكانه تكليف احد بتأليف وزارة تستمر على الطريقة السابقة نفسها، فيجب والحال هذه تبديل السياسة».[٢٣٦]

كان لتوتر العلاقات بين الملك والمندوب السامي «هنري دوبس» عاملاً مباشراً في انهاء خدمات الاخير، واستبداله بالسير كلبرت كلايتون، الذي وصل بغداد في الثاني من آذار ١٩٢٩. وقد اقام له الملك حفلاً تكريمياً حضره كبار رجال الدولة والمسؤولون البريطانيون، والقى الملك في الحفل كلمة اعرب فيها عن سروره لمجيء كلايتون واعتزازه بالعلاقة القديمة التي تربطه به، وتمنى زوال الازمة الوزارية بتعاون الطرفين.[٢٣٧]

بذل المندوب السامي جهده لاقناع رئيس الوزراء ـ السعدون ـ لسحب استقالته لكنه اعتذر، باعتباره قد اتخذ قراراً بهذا الشأن، مع اعضاء حزبه، ولايمكنه التراجع عنه، وفي الوقت نفسه فان كلبرت كلايتون اعترض على اسناد المنصب الى نوري السعيد بحجة عدم امتلاكه خبرة سياسية تؤهله لتقلد المنصب.[٢٣٨] وقد يكون السبب الحقيقي لهذا الاعتراض خوف كلايتون من ان يصبح السعيد اداة بيد الملك يحركه كما يريد، لان كلايتون يعرف اكثر من غيره كفاءة السعيد السياسية. وربما يكون اصرار الملك على اسناد المنصب الى السعيد، لمعرفته ان بريطانيا تعارض ذلك، عندها سيتحقق هدفه في بقاء البلاد بلا وزارة. وهذه احسن وسيلة لاحراج بريطانيا كما يؤكد توفيق السويدي.[٢٣٩]

٢٣٥ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص٢٦.٥

٢٣٦ـ توفيق السويدي، مذكراتي، ص١٢٥.

٢٣٧ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص٢٣١-٢٣٣ ;

238- FO 371/13758, E2117, Secret, The Residency, Baghdad, DO No. SO 800, clayton to Shuchburh, April/ 1292.

نقلاً عن عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص١٢٩.

٢٣٩ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص٢٢٧-٢٣٨.

حين وصلت محاولات حل الازمة الى طريق مسدود، اطلع كلبرت كلايتون حكومته على حقيقة الموقف، فقررت وزارة المستعمرات ابداء بعض المرونة، وكتبت بذلك الى المندوب السامي، الذي كتب بدوره الى الملك فيصل في ٢١ نيسان ١٩٢٩، كتاباً يعلمه فيه استعداد حكومته، ترك العمل بمعاهدة ١٩٢٧ وملحقاتها، وادخال العراق عصبة الامم عام ١٩٣٢، فضلاً عن جعل ملكية السكة الحديد بيد العراق.[٢٤٠]

ازاء هذه المرونة التي ابدتها بريطانيا وافق توفيق السويدي على قبول منصب رئاسة الوزارة، لتنتهي بذلك الازمة الوزارية التي عرفت باسم الوضع الشاذ «perplexing predicament» وكان الملك يرغب في اسناد المنصب الى نوري السعيد، لكن السلطات البريطانية عارضت ذلك كما ذكرنا، حتى ان السعيد استبعد من وزارة السويدي، التي تشكلت في ٢٨ نيسان ١٩٢٩، ولعل هذا كان في مقدمة الاسباب التي جعلت الملك يعارض الوزارة الجديدة، اذا ماعلمنا ان الملك كان يفضل بقاء البلاد بلا وزارة رغم موقف بريطانيا الاخير، لكن السويدي، ايد وجهة النظر البريطانية وشكل الوزارة، للعمل على ايجاد اسس جديدة للعلاقات مع بريطانيا. وهذا ماأكده توفيق السويدي، نفسه في رسالة بعثها الى الاستاذ عبد الرزاق الحسني.[٢٤١] وقد ذكر عبد المحسن السعدون ـ لأدموندس ـ مستشار وزارة الداخلية، ان الملك يعمل بكل طاقته لتحطيم وزارة السويدي.[٢٤٢] واكد السويدي هذه الحقيقة في رسالته التي بعثها الى الاستاذ الحسني بقوله «ان بعض النفعيين، اقنعوا الملك بضرورة تبديل الوزارة، وتشكيل اخرى من العناصر الممتازة، برئاسة السعدون»،وقد فاتح الملك رئيس وزرائه بذلك فوافق على تقديم الاستقالة، لكنه اكد للملك ان السبب الذي دفع السعدون الى الاستقالة، لايزال قائماً، كما ان ازمة السكر والشاي التي حدثت نتيجة لفكرة وضع لائحة لقانون التعريفة الكمركية، التي

٢٤٠ـ المصدر نفسه، ص٢٢١ـ٢٢٧.

٢٤١ـ المصدر نفسه، ص٢٦٢ـ٢٦٨، نص رسالة السويدي الى السيد الحسني.

242- Sluglet, OP. cit, p.188.

استغلتها المعارضة للاطاحة بالوزارة يستجعل المغرضين يفسرون استقالة الوزارة بالعزل وتكون كرامة الوزارة الحالية التي اتحمل انا مسؤوليتها وصيانة شرفها، مداسة بالاقدام، وهذا مالاأرضى به». [٢٤٣] لكن موقف الملك من الوزارة لم يتغير، اذاصر على استقالتها، لكنه قرر ان يؤجل الاستقالة بعض الشيء، خصوصاً وان تحقيقاً كان يجري حول مدى مسؤولية الوزارة عن شحة السكر والشاي في الاسواق، وتأثير لائحة قانون التعريفة الكمركية على ذلك، وقد تبين بعد ذلك ان الوزارة لم يكن لها يد في الموضوع كما اشيع في حينه[٢٤٤]. وقد قدم السويدي استقالته الى الملك بعد ان ايقن انه غير راغب في استمرارها كما ان الملك وجد في سقوط وزارة المحافظين، وصعود العمال الى الوزارة في بريطانية، بارقه أمل في ان تبدي بريطانيا مرونة في موقفها. ويذكر ايرلاند، ان الملك كان يرغب في تشكيل وزارة اكثر تطرفاً لتستغل الموقف. [٢٤٥] فاتصل الملك بعبد المحسن السعدون الذي كان قد سافر الى بيروت للاصطياف. وطلب منه العودة الى بغداد. فعاد اليها في ١٧ آب، فعرض عليه الملك فكرة تشكيل الوزارة، لكن السعدون لم يوافق على اقتراح الملك، الا بعد ان حصل على تعهد من بريطانيا بادخال العراق عصبة الامم عام ١٩٣٢، وعدم العمل بمعاهدة ١٩٢٧. وهوماعرف بتصريح ١٤ ايلول ١٩٢٩. وقد شكل السعدون وزارته بعد خمسة ايام من التصريح، ثم تشكلت لجنة وزارية للشروع بالمفاوضات، لوضع معاهدة جديدة. لكن الجانب البريطاني سرعان ماعاد الى المراوغة والاساليب الملتوية، وفي المجلس النيابي واجه السعدون عاصفة من الانتقادات الممزوجة بالسخرية من «ثقة السعدون ببريطانية»، رد عليها رئيس الوزراء بالم ومرارة، واكد «ان نيل الاستقلال تابع الى جراة الامة. فالامة التي تريد الاستقلال يجب ان تتهيأ له، ولايكون ذلك بالكلام، ولا الاقوال الفارغة، فالاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية». [٢٤٦] ويذكر الاستاذ الحسني ان بعض المتصيدين في الماء العكر، سعوا

٢٤٣ـ انظر رسالة توفيق السويدي الى السيد عبد الرزاق الحسني المشار اليها اعلاه.

٢٤٤ـ المصدر نفسه.

245- Ireland, OP, cit., P413.

٢٤٦ـ محاضر مجلس النواب، الدورة الثانية، ١١ تشرين الثاني ١٩٢٩، ص١٥.

بالوشاية لدى دار الاعتماد، لاحراج السعدون امام المندوب السامي، [٢٤٧] باعتباره دعا الى اخذ الاستقلال بالقوة من بريطانيا. كما ان الملك فوجيء بموقف السعدون «واتجه الى دار الاعتماد بنظرات تمتزج فيها الشماتة بالرجاء، فاذا هي الاخرى اشد ذهولاً، تتساءل ماذا دهى هذا الرجل حتى انفجر مرة واحدة». هذا ماذكره الاستاذ خيري العمري، الذي اضاف، ان السعدون، ياس من الملك فيصل الذي «كان لايكف عن تدبير مختلف المناورات من وراء الستار بقصد اضعافه، تارة بتشجيع المعارضة عليه، وطوراً في التسرب في صفوف حزبه «حزب التقدم» لجر بعض الاعضاء منه». [٢٤٨] كل هذا دفع السعدون الى الانتحار في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩.

الذي نراه ان الاستاذ العمري بالغ في تصوير موقف الملك من السعدون، اذ يبدو من خلال قوله انه كان يعتبره خصماً لدوداً، لكن مجريات الاحداث لاتؤكد ذلك، بدليل ان السعدون، اوصى ولده بالاخلاص للملك فيصل وذريته اخلاصاً مطلقاً، ومن المؤكد ان الملك كان صادق المشاعر حين وقف على جثمان السعدون قائلاً «لقد خسرتك وخسرتك البلاد». ولاادري ماالذي جعل الاستاذ العمري يشك في هذه المشاعر. [٢٤٩]

لاينكر ان الملك كان لايريد ان يرى سياسياً عراقياً، اكثر منه شأناً، يعتمد عليه البريطانيون في ادارة شؤون البلاد. ولا يخفى ان السعدون كان ابرز منافس للملك في هذا الجانب، وكما يؤكد الاستاذ الحسني، فان السعدون كان شديد الاعتداد بنفسه. [٢٥٠] ولكن هذا لايعني ان خلافه مع الملك وصل الى الحد الذي صوره الاستاذ العمري، الذي اكد ان الاحداث السياسية اثبتت ان المجال اصبح واسعاً امام فيصل لاختيار رئيس الوزراء الجديد، [٢٥١] لانه أراد للعلاقة بينه وبين اي رئيس

٢٤٧ـ عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات، ص٢١١

٢٤٨ـ خيري امين العمري، حكايات سياسية، ص٢٠٤

٢٤٩ـ المصدر نفسه، ص٢١٤.

٢٥٠ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص٢٦٩.

٢٥١ـ خيري امين العمري، حكايات سياسية، ص٢١٥.

وزراء، ان تكون كالعلاقة بين القائد والجندي، وقد رفض بعض الساسة هذا الرأي، ونظروا الى علاقتهم بالملك على انها اشبه بالعلاقة بين ضباط الاركان والقائد. يساهمون معه في وضع الخطط واعدادها، وكان السعدون مع هذا الرأي. (٢٥٢)

ان الخلاف بين الملك ورؤساء الوزراء، حول مختلف القضايا السياسية لايمكن ان ينتهي، بدليل وجود خلاف حتى مع اشد المؤيدين لسياسته، وفي مقدمتهم نوري السعيد، الذي كتب الاستاذ العمري فصلاً كاملاً عن خلافة مع الملك في كتابة «الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد». وهذا يعني ان علاقة الملك مع رؤوساء وزارئه كانت في اطارها العام واحدة.

* * * *

بعد انتحار السعدون، اتفق الملك مع المندوب السامي على تكليف ناجي السويدي، بتشكيل الوزارة، كونه الشخصية الثانية بعد السعدون في حزب التقدم. على ان تبقى تشكيلة الوزارة كما هي، يضاف اليها خالد سليمان للداخلية، باعتبار ان وزير الداخلية - ناجي السويدي - اصبح رئيساًللوزراء، وطلب رئيس الوزراء الجديد من الملك مساندة الوزارة لتحقيق منهاج وزارة السعدون بالحرف الواحد والتي هي مطالب الشعب على حد تعبيره. (٢٥٣)

كان من الطبيعي ان تصطدم الوزارة الجديدة بموقف بريطانياالمتصلب، لانها عزمت على تطبيق منهاج سابقتها. كما واجهت ازمة اقتصادية كبيرة، هي جزء من الازمة العالمية، فاضطرت الوزارة الى الاستقالة، التي سرعان ماقبلها الملك، رغبة منه في تكليف نوري السعيد، بتشكيلها. وهذا مايده توفيق السويدي في مذكراته المخطوطة، اذ اكد ان الملك كان وراء افتعال المشاكل بين شقيقه ناجي والمندوب السامي، حتى انه - الملك - عاتب مستشار الداخلية كورنواس، لتدخله في تصفية الاجواء بين المندوب السامي ورئيس الوزراء. (٢٥٤)

٢٥٢- توفيق السويدي، وجوه عراقية

٢٥٣- راجع نص الرسالة في تاريخ الوزارات، ج٢، ص٢٩٤-٢٩٥

٢٥٤- خيري امين العمري، حكايات سياسية، ص٢٢٣-٢٢٤.

كانت رغبة الملك في اسناد الوزارة الى نوري السعيد شديدة، ولم يفكر برفض استقالة ناجي السويدي، رغم التظاهرات الكبيرة التي عمت بغداد احتجاجا على سياسة بريطانيا، وتأييداً للوزارة، ورغم برقيات الاحتجاج التي رفعت اليه ـ الملك ـ والى المندوب السامي وعصبة الامم ورئيس وزراء بريطانيا وجهات اخرى،[٢٥٥] فضلاً عن دفاع ياسين الهاشمي عن الوزارة وجهودها في تحقيق مطالب الشعب، وذلك في مجلس النواب.[٢٥٦]

دور الملك فيصل في عقد معاهدة ١٩٣٠ :-

اتفقت رغبة الملك فيصل مع رغبة المندوب السامي في ان يشكل نوري السعيد الوزارة.[٢٥٧] ويعلق، علي الشرقي على رغبة الملك هذه، في انه أراد ان يصبح «ملكاً ورئيس للوزراء في الوقت نفسه،فاسند الوزارة الى نوري السعيد»[٢٥٨] ومن المؤكد ان الملك وجد ان السعيد هو افضل من يحقق الخطوة المهمة التي كان على العراق ان يخطوها، وهي الدخول في مفاوضات مع بريطانيا لعقد معاهدة جديدة تمكن العراق من الدخول في عصبة الامم. وقد باشرت الوزارة بالعمل على الدخول في المفاوضات بعد احد عشر يوماً من تشكيلها، وكان من الطبيعي ان يسهم الملك في المفاوضات، وقد ابدى ملاحظات كثيرة على صيغة المعاهدة وبنودها اثناء سير المفاوضات، التي بدأت في ٣ نيسان ١٩٣٠. ففي الاجتماع الثالث الذي عقد في ١٥ نيسان نوقش اقتراح الملك، القاضي بضرورة احتواء المعاهدة على عبارة الاستقلال التام.[٢٥٩] وكان الجانب البريطاني يرفض ادخال هذه العبارة لانها تعني

٢٥٥ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٢، ص٣٣٢-٣٣٤.

٢٥٦ـ محاضر مجلس النواب، الدورة الثانية، ١١ تشرين الثاني ١٩٢٩ ص٤٠٦-٤٠٧

٢٥٧ـ عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣، مطبعة العاني بغداد، ١٩٧٦، ص١٩٢.

٢٥٨ـ علي الشرقي، الاحلام، بغداد، ١٩٦٣، ص١٦٦

٢٥٩ـ احمد رفيق البرقاوي، المصدر السابق، ص١٥٣

ان العراق لم يعد بحاجة الى اية مساعدة او استشارة اجنبية ، بما فيها البريطانية . كما اعترض الملك على مدة المعاهدة التي حددها الجانب البريطاني بـ٢٥ عاماً . وكان رأي الملك «ان هذه المدة تبدو طويلة جداً «لنفرض ان الجيش العراقي او القوة الجوية ، اصبحتا قوية لدرجة كافية تكفل قوة العراق أربع او خمس سنوات ، فهل يجب على العراقيين ان يستمروا في قبول الاحتلال البريطاني حتى خمس وعشرين سنة» .[٢٦٠] واوضح الملك «ان العرب يطمحون الى تحقيق الوحدة العربية ، واول خطوة هي بين سورية والعراق ، فاذا وقعت المعاهدة على هذا الاساس ، فان معناها توقيع الفصل بين سورية والعراق ، وذلك بربط سورية بفرنسا ، والعراق بانكلترا ، بصفة دائمة ، وفي الحقيقة ، فانه اذا حدثت حرب بين فرنسا وانكلترا ، فان ذلك يعني حرب بين العراق وسورية» .[٢٦١] وكان رأي همفريز ان فيصل متشائماً للغاية . وقد رجحت بعد ذلك وجهة نظر بريطانية ، واصبحت مدة المعاهدة ٢٥ سنة .

اما فيما يتعلق باستخدام الاجانب ، فقد اقترح الملك استخدم الموظفين من ذوي الخبرات التي يفتقر اليها العراق ، كما اقترح ان يكون التعيين من صلاحية الحكومة العراقية ، وقد رفض همفريز ذلك اول الامر وتم التوصل بعد ذلك الى حل وسط ، بان سمح للعراق استخدام الموظفين غير البريطانيين ، في حالة عدم توفر بريطانيين لاشغال بعض المناصب .[٢٦٢] وكان فيصل يرى اهمية عدم ذكر مسألة استخدام الموظفين الاجانب في المعاهدة ، فاستقر الرأي على بحث الموضوع في مذكرة مستقلة .

اما فيما يتعلق بمسألة استخدام القوة الجوية البريطانية في العراق ، فقد اقترح الجانب البريطاني بقاء اسراب من قوته في العراق ، لغرض الدفاع عنه . فاعترض الملك على ذلك واكد ان العراق بحاجة الى تسع طائرات فقط ، تكون مهمتها حماية الامن العام ، وليس الدفاع عن البلاد ضد العدوان الخارجي ، لانه كان مطمئناً من ان

٢٦٠ـ المصدر السابق ، ص١٥٨ .

261- F.o., 371/ 14506, Report of proccedings of Eleventh Meeting with Iraqi Delegation, Held on 5 June 1930 .

٢٦٢ـ فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية ـ البريطانية ، ص٢٦٦ـ٢٦٧ .

تركيا وايران لاتفكران اوتجرئان على مهاجمة العراق، لان التحالف مع بريطانية له اثر معنوي واخلاقي، يكفل حماية البلاد بشكل افضل من وجود قوة جوية بريطانية لامر الذي قد يفسر بان العراق يقع تحت الاحتلال البريطاني، في الوقت الذي يسعى فيه، لان يكون حليفاً وليس محتلاً. (٢٦٣) واكد ان عصبة الامم لاتهتم كثيراً بمسألة الامن الداخلي، وليس من الصحيح اعارة اهمية كبيرة للدفاع الخارجي وضرب امثلة لدول لاتستطيع الدفاع عن حدودها، وهي عضو في عصبة الامم مثل ايران وبولندا ورومانيا.

وذكر ان الصين هوجمت، لكنها بقيت عضو في عصبة الامم. (٢٦٤) والواضح ان فيصل أراد عدم بقاء القوة الجوية البريطانية في العراق، متذرعاً بشتى الاعذار، لكن البريطانيين، تمسكوا برأيهم حفظاً على مصالحهم الستراتيجية. فقد تسائل همفريز، فيما اذا كان بامكان العراق ان يدافع عن نفسه، اذ ماهاجمته تركيا بمساعدة الاتحاد السوفيتي، فكان رد فيصل بارعاً وذكياً، اذ بادره بالقول «هل القوة الجوية البريطانية تستطيع ان تمنع الروس من ذلك؟» فتهرب همفريز، من الرد حين اعتبر ذلك من اختصاص الخبراء البريطانيين.

ورأى الملك ضرورة قبول الضباط العراقيين في الكليات العسكرية البريطانية، وفي حالة اعتذار بريطانيا عن قبولهم، فان للعراق الحق في ارسالهم الى الدولة التي يراها مناسبة. وقد ابدى الملك هذا الاقتراح، لان بريطانيا كثيراً ماكانت ترفض قبول الضباط العراقيين في كلياتها العسكرية، لهذا أراد فيصل ان يضعها امام الامر الواقع، فوافق همفريز على السماح للعراق بارسال ضباطه الى الدولة التي يراها. (٢٦٥)

263- F.o, 371/14508, E. 4971/41/93, record proccedings of meetings of British and Iraq delegations in Baghdad April- June 1930, Fourth meeting in 17th April 1930.

نقلاعن احمد البرقاوي، المصدر السابق، ص١٦٢.

٢٦٤- فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية - البريطانية، ص٢٧٠-٢٧١.

٢٦٥- المصدر نفسه، ص٢٦٨.

ولم يفضل الملك الاستعانة بالقوات البريطانية، حتى اذا مر العراق بازمة داخلية شديدة، وكان يرى ان العراق اذا عجز عن الحفاظ عن امنه الداخلي، فليس من الجدير به ان يفاوض على معاهدة استقلال، وكان نوري السعيد يرى عكس ذلك.[٢٦٦] وقد تعجب فيصل من توقع بريطانيا، بان تطلب منها الحكومة العراقية المساعدة العسكرية لاستخدامها ضد العراقيين. وكان همفريز يرى ان القوات البريطانية سيكون لها تأثير على استباب الامن، واقترح ان تبقى هذه المسألة على مستوى الاتصالات الشخصية ولاتدخل ضمن المعاهدة، وقد احتد فيصل اثناء مناقشة هذه المسألة وطلب انهاء النقاش في الموضوع، لانه يرفضه من الاساس، واكد انه يرغب في ان يوضح بان العراق مسؤول عن الحفاظ عن امنه الداخلي. ولايطلب مساعدة احد. وقد جاء هذا التأكيد بعد ان أراد همفريز احراجه بتسائله، فيما اذا كانت الحكومة العراقية سترفض مساعدة القوة الجوية لايقاف العناصر المتمردة في الشمال، اذا ماهاجمت آبار النفط.[٢٦٧] وجاء رد الملك، ليؤكد رغبته في ان تعبر المعاهدة الجديدة عن حقيقة استقلال العراق.[٢٦٨] كما رفض فكرة همفريز في احتفاظ بريطانيا بقواعد جوية دائمية في العراق، واكد ان هذه القواعد يجب ان تبقى ٢٥ سنة ثم تصبح تحت مسؤولية الحكومة العراقية، وحين اعترض همفريز على ذلك، باعتبار ان هذه القواعد هي التي تحمي الطريق الجوي بين البصرة وكراجي. اوضح فيصل ان حماية الخط ستكون من مسؤولة العراق، فاضطر همفريز الى الرضوخ لفكرة الملك.[٢٦٩]

لقد بذل الملك فيصل جهوداً كبيرة وواضحة، للوصول الى معاهدة تشكل خطوة مهمة وحقيقية نحو الاستقلال التام. وكان «هواردHoward» مصيباً في تقييمه لدور فيصل في هذه المفاوضات حين ذكر ان مفاوضات هذه المعاهدة اختلفت عن

٢٦٦ـ المصدر نفسه، ص٢٧٧.

٢٦٧ـ المصدر نفسه، ص٢٧٨.

٢٦٨ـ المصدر نفسه، ص٢٧٩.

٢٦٩ـ المصدر نفسه، ص٢٨٣ـ٢٨٤.

سابقاتها، فان الملك فيصل قد ترأس المفاوضات بكاملها، واعتبره المفاوض الاول فيها وكان العمود الفقري او المحور ضمن الوفد العراقي، واظهر تفهماً واضحاً لقضايا بلاده وللنوايا البريطانية وبقدر ماكان شديداً في مطالبة، الا انه كان يخفف من هذا التشديد عندما يجد مجابهة عنيفة من الجانب البريطاني الاقوى. كما يحاول ايجاد مخارج للازمات، بدون تنازلات كبيرة.[٢٧٠]

وقد اكد حقيقة دور الملك في المعاهدة الكثير من الساسة والمؤرخين، اذ انها مثلت قمة جهود الملك كما يؤكد مجيد خدوري.[٢٧١] واشار توفيق السويدي في مذكراته المخطوطة، بانه مقتنع تماماً بان المعاهدة جاءت نتيجة لجهود الملك «وعبقريته وليس لاحد في البلاد غيره اي دخل فيها»[٢٧٢] وقد اشيع في حينه، ان نوري السعيد حاول تأكيد هذه الحقيقة كي يتمكن من ازالة اية عراقيل قد تقف امام تصديق المعاهدة.[٢٧٣]

وقد اكد الملك في حديث له مع صحيفة «الديلي هرالد» البريطانية انه لم يكن بمقدور اية وزارة عراقية ان تتوصل الى عقد معاهدة شبيهة بمعاهدة ١٩٣٠، فيما لو كانت وزارة نوري السعيد قد اخفقت في عقدها. واشار الملك في المقابلة ذاتها، ان المعاهدة كانت عاملاً قوياً في تحسين الاوضاع السياسية للبلاد، ومستقبلها الاقتصادي، ولو كان العراق قد رفض المعاهدة لبقي تحت وطئة الانتداب، وليس من المنطق تفضيل الانتداب على المعاهدة. واكد ثقته ببريطانيا ونواياها في مساعدة العراق «ولكن شعبي لايؤمن بحسن نيتها، ويقولون لي ارنا مكاناً واحداً كانت فيه انكلترا وتركته، وهناك مثل عراقي، يصف الصيف الذي يطيل المكوث انه كالاستعمار الانكليزي». ومن المؤكد ان فيصل أراد ان يهاجم السياسة البريطانية من خلال رأي الشعب الذي هو رأيه ايضاً، بدليل انه سرعان ماتحدث عن مماطلة

270- Sachar Howard, Europe Leaves the Midler East 1936- 1954, London, 1974, p17

271- Majid khadduri, Independant Iraq (1932-1958) 2nd. ed, London, 1960, p.6.

٢٧٢- توفيق السويدي، وجوه عراقية .

٢٧٣- عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٢٠٣

بريطانيا بتوقيع المعاهدة تلك المماطلة التي كلفت العراق حياة احد رؤوساء وزاراته السعدون ـ على حد تعبيره.[274]

كانت المهمة الجديدة للملك بعد انتهاء المفاوضات، هي العمل على اقناع مجلس النواب بتصديق المعاهدة. وقد دفعه ذلك الى التدخل في انتخابات المجلس لاختيار العناصر الموالية له، مما ادى الى اعتراض الاحزاب السياسية، فرفع جعفر ابو التمن عريضة احتجاج على التدخل في الانتخابات، لكن الملك رد على لسان رئيس ديوانه رستم حيدر، موضحاً ان الانتخابات جرت بشكل قانوني واصولي، وان مايقال عن التدخل فيها ليس اكثر من اشاعة.[275]

ومن اجل ضمان المصادقة على المعاهدة تمكن الملك من اقناع جميل المدفعي، للانتقال من وزارة الداخلية الى المالية، واصبح نوري السعيد وزيراً للداخلية. كما اصبح جعفر العسكري رئيساً لمجلس النواب. ومما يؤكد ان العسكري انتخب خصيصاً لهذا الغرض، هو استقالته من منصبه الجديد بعد تصديق المعاهدة.[276] وحث الملكُ نوري السعيد على التعجيل بتقديم المعاهدة الى المجلس خوفاً من تسرب الاشاعات.[277]

وقد اتخذت الوزارة اجراءات احترازية لتصديق المعاهدة خوفاً من حدوث اضطرابات، فتم تبليغ النواب ليلاً بواسطة بطاقات دعوة قبل يوم من مناقشتها.[278] وقد صادق المجلس على المعاهدة، اذ صوت الى جانبها ٦٩ عضواً من مجموع ٨٢

٢٧٤ـ الاستقلال، ١٩٣٠/٥/٢٢.

٢٧٥ـ م.و.و. ملفات البلاط الملكي، د/١٤، ١٢٠٤ـوع، الاحزاب السياسية، عريضة احتجاج رفعها جعفر ابو التمن الى الملك، ورقة ٤-١٠.

٢٧٦. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٣. ص٧٨.

٢٧٧ـ م.و.و.، ملفات البلاط الملكي ج/٩، ٢٨٤ـوع، المعاهدة العراقية ـ الانكليزية، كتاب من وكيل رئيس الديوان الملكي الى سكرتير مجلس الوزراء، ج/٥١١ في ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٠، ورقة ٥٦.

٢٧٨ـ عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٢٢٥.

حضروا الاجتماع. ولم يعترض عليها سوى ١٣ عضواً. ويكون فيصل بذلك قد حقق هدفاً اساسياً من اهدافه، اذ ان هذه المعاهدة انهت الانتداب وضمنت دخول العراق عصبة الامم.

واجهت المعاهدة الجديدة، كسابقاتها، معارضة شديدة من قبل المعارضة سواء في المجلس او الصحف، حتى ان حزبي الاخاء الوطني والحزب الوطني قررا توحيد جهودهما، على اثر تصديق المعاهدة، التي اعتبراها فاسدة وجائرة ويجب تعديلها.[٢٧٩] ونظراً لهذه المعارضة، قرر الملك زيارة كربلاء والنجف والحلة، لكسب الرأي العام الى جانب المعاهدة. ورغم اجراءات السلطة، فقد عمت هذه المدن تظاهرات ضد المعاهدة، فاضطرت الحكومة الى القاء القبض على القائمين بها،كما رفضت الكثير من عرائض الاحتجاج التي رفعت الى الملك، ضد الوزارة لاخلالها باحكام الدستور وغلقها الصحف.[٢٨٠] وقد تمكن نوري السعيد بتوجيه من الملك شق صفوف المعارضة، باستقطاب مزاحم الباجة جي، احد ابرز العناصر المعروفة بنشاطها.[٢٨١]

دور الملك في سقوط وزارتي نوري السعيد

كان اقرار قانون رسوم البلديات،(*) في العاشر من مايس ١٩٣١ بداية النهاية لوزارة نوري السعيد، اذ عمت البلاد اضرابات عامة واغلقت المحال التجارية.[٢٨٢] وكان كل من الملك ورئيس وزارئه يقومان بزيارة رسمية الى تركيا، فامر الملك نوري السعيد بالعودة الى بغداد لتدارك الموقف، كما ابرق الى نائبه «الملك علي» مؤكداً ضرورة عدم استخدام العنف.[٢٨٣] لكن ذلك لم يمنع من حدوث اعمال عنف كبيرة

---

* الرسوم الواجب استيفاؤها من السكان لصالح البلديات.

٢٧٩- عبد الامير هادي العكام، المصدر السابق، ص٣٧١ .

٢٨- المصدر نفسه، ص٣٧١-٣٧٦

٢٨١- عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٢٣٠

٢٨٢- للمزيد من التفاصيل عن اضراب رسوم البلديات، انظر. شهاب احمد الحميد،الثورة الصامته، اضراب بغداد، ١٩٣١، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٧.

٢٨٣- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٣، ص١٥٣

وبـالـذات في المنتفك وسوق الشيوخ والسماوة والديوانية وعفك والبصرة.[284] وفي ٢٩ ايلول عاد الملك الى بغداد، فاستقبل بكل حفاوة. واصدر البلاط الملكي بلاغاً اعـرب عن ثقـة الملك بمعالجة «المأزق الاقتصادي العظيم، والمسيطر على العالم باسـره، والـذي تتألم منـه هذه البـلاد» وان ذلـك سيتم بتـاكتف الشعب. كما اصدر مكتب المطبـوعـات بيـانـاً اشار فيه، الى ان الملك، لاحظ ان الصحف بدأت تنشر مقـالات تعـكر صفـو المحبـة بين افـراد الشعب، وهـذا مخالف للمصلحة العامة، فدعا الى نبذ المشاحنات الشخصية والاهتمام بمعالجة القضايا العامة، ومن اجل اعـادة الامـور الى نصـابها، اوعز الملك الى الوزارة بالغاء قانون الرسوم فتم ذلك في ١١ تشرين الاول ١٩٣١.[285]

وفي هذه الفتـرة وزعت الكثيـر من المنشـورات التي تحمل عبارات بذيئة تطعن بالملك وامين العـاصمـة «محمـود صبحي الـدفتـري» وقد اجرى ناجي شوكت وزير الداخلية تحقيقاً في الموضوع، فثبت ان مزاحم الباجة جي له يد في الموضوع، اذ انه «لم يتخذ اي اجراء لمنع توزيع هذه الرسائل، ولما أراد الرقيب ان يوقفها، منعه الوزير - الباجة جي عن ذلك مع علمه بمحتواها من بذائة وبمس بالكرامات».[286] وكـان الشعب يبغض البـاجـة جي،[287] الـذي بدأ يشعـر ان البـلاط غير راضٍ عن سلوكـه السياسي، وكذلك رئيس الوزراء، فقدم استقالته في ١٣/١٠/١٩٣١، وقد طلب منه السعيد الاستمرار في عمله الى ان يبت في مسألة استقالته.[288]

ان ازمـة رسـوم البلديـات والمنشـورات انفـة الـذكر، دفعت السعيد الى تقديم استقـالتـه في ١١ تشـرين الثـاني ١٩٣١، فقبلها الملك في الحال، وفي اليوم نفسه

٢٨٤- المصدر نفسه، ص١٥٥-١٥٦.

٢٨٥- المصدر نفسه، ص١٦٣.

٢٨٦- ناجي شوكت، سيرة وذكريات ثمانين عام، ط٣، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧٧، ص١٩٨.

٢٨٧- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٣، ص١٥٢.

٢٨٨- المصدر نفسه، ص١٦٢.

كلفه باعادة تشكيلها، فتم ذلك بعد ان استبعد الباجة جي. ويذكر الاستاذ الحسني ان الملك أراد بقاء نوري السعيد، باعتبار ان وزارته هي التي اقرت معاهدة ١٩٣٠، فلا بد ان يستمر في منصبه الى ان يدخل العراق عصبة الامم.[٢٨٩] وهذا ماحدث بالفعل في ٣ تشرين الاول ١٩٣٢. ويعتبر دخول العراق عصبة الامم واحداً من اهم الاحداث التي شهدها العراق في عهد الملك فيصل الاول. وقد اعطى الملك اهمية كبيرة لهذا الحدث، ففي الحفل الذي اقامته امانة العاصمة في السادس من تشرين الثاني ١٩٣٢، هنأ الملك نفسه وشعبه «على هذا اليوم الذي نفضنا فيه غبار الذل، وفزنا بعد جدال سياسي، دامماينوف على ١١ سنة، بالاماني الكبرى التي كنا نصبوا اليها. وهي الغاء الانتداب، واعتراف الامم بنا وباننا امة حرة ذات سيادة تامة»[٢٩٠]

بعد ان حققت وزارة السعيد هدفها الذي طالما حلم به الملك، بدأ فيصل بالعمل على اقصاء رئيس الوزراء، ويذكر الاستاذ الحسني ان فيصل كان قد فكر بذلك، بعد ان استقال السعيد من وزارته الاولى. لكن المندوب السامي طلب ابقاءه حتى دخول العراق عصبة الامم كما ذكرنا. وذكر الملك لاحمد قدري، بانه لن يفكر مستقبلاً باسناد الوزارة الى نوري السعيد. وان هذه اخر مرة يصبح فيها رئيساً للوزراء، وقد اخبر احمد قدري شقيقه تحسين بذلك. وسرعان ماتسرب الخبر الى السلطات البريطانية،[٢٩١] التي سعت الى تدارك الموقف، ويذكر ناجي شوكت ان الملك شعر بعد تصديق المعاهدة، ان الغرور بدأ يستولي على نوري اذ عدّ هذا الانجاز «نجاحاً شخصياً له، يعطيه مكانة بارزة واهمية كبيرة. وقد خشي ان يبادر الانكليز الى اعطاء نوري، بعد هذا النصر الذي حققه اهمية كبرى، بحيث تؤثر عليه باعتباره ملك، فأخذ يفكر في ازاحته من الحكم»[٢٩٢] ويضيف ناجي شوكت ان

٢٨٩ـ مقابلة مع الاستاذ عبد الرزاق الحسني، في ١٦/٢/١٩٨٧.

٢٩٠ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٣، ص٢٠٥.

٢٩١ـ مقابلة مع السيد عبد الرزاق الحسني في ١٦/٣/١٩٨٧.

٢٩٢ـ ناجي شوكت، سيرة وذكريات، ص٢٠٢، خيري امين العمري الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٩، ص٢٦.

الملك قال له اثناء وجودهما في المنطقة الشمالية، بعد القضاء على تمرد البارزاني «ياناجي اريد ان افضي لك بامر يبقى بيني وبينك. ان نوري لايجوز بقاءه في الحكم مدة اكثر مما بقى خشية ان يتولد شعور في ذهن المعارضة من ان نوري بعد ان سار هذه السيرة وسلخ هذه المدة الطويلة في الحكم، التي حقق فيها مكاسب سياسية من تصديق المعاهدة «غيرها، اصبح هو الكل في الكل، وانا لست اكثر من ملك، لايملك من امره الا مظاهر السلطة، وهو امر لابد لي من تبديده، من الاذهان»(٢٩٣).

وكان حدس الملك صحيحاً، اذ ان الوثائق البريطانية اكدت حقيقة تالق نجم نوري السعيد، الذي اصبح ينافس الملك في شخصيته. (٢٩٤) واعتقدت بعض الاوساط البريطانية ان الملك أراد تنحية السعيد اعتقاداً منه ان مسألة دخول العراق عصبة الامم اصبحت مسألة وقت، وعليه يجب التفكير في تشكيل وزارة قوية تعمل على الغاء المواد التي لم يقبلها الجانب العراقي في المعاهدة. (٢٩٥)

ويذكر الاستاذ الحسني، ان السبب الذي دفع الملك الى ابعاد السعيد هو رغبته «في حفظ التوازن بين القائمين على الحكم في البلاد، وبين المعارضين فيها» فادعا ان وزارة السعيد تعرضت لانتقادات قاسية من المعارضة، لهذا قرر ابعاد رئيسُها، للتقرب الى المعارضة. (٢٩٦)

كاد الخلاف ان يصل الى حد القطيعة بين الملك ونوري السعيد، وقد سعى المندوب السامي البريطاني للتدخل بينهما. او بمعنى ادق للعمل على عدم ابعاد السّعيد، كي يبقى ورقة بايديهم يستخدمونها متى يشاوون ضد الملك. او بمعنى اخر جعله «عبد المحسن السعدون ثاني»، فعقد المندوب السامي اجتماعاً بين

٢٩٣ـ خيري امين العمري، المصدر نفسه، ص٢٧.

294- F.o., 371/16903, E1724/65/93,, British Government Archives, No. 8,F. Humphrys to John simon, No. /8/,April 3,1933.

295- April 23/382/2818, very secret, special service officer to Air staff, Intelligence, Air Headaqarters, Hinwdi, Ref. Bd- 28 Bd.

نقلاً عن عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٣١٤.

٢٩٦ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٣، ص٢١١

الاثنين، حضره كورنوالس، مستشار الداخلية، لكن الاجتماع لم ينته الى نتيجة، اذ ان الملك تبادل مع رئيس وزرائه عبارات قاسية، غادر بعدها السعيد البلاد الى لبنان في ١٣ حزيران ١٩٣٢، طلباً للراحة، والابتعاد عن الجو المتوتر.[٢٩٧]

في الوقت نفسه عرض الملك على بعض الشخصيات السياسية فكرة تاليف وزارة برئاسة اخيه الامير زيد على ان يعهد بوزارة الداخلية الى ياسين الهاشمي، والدفاع الى رشيد عالي الكيلاني. وكانت هذه الفكرة جزء من محاولة ابعاد السعيد، لكنها واجهت معارضة حزب الاخاء.[٢٩٨] ففكر الملك في محاولة اخرى، فاسند منصب رئيس الديوان الملكي الى رشيد عالي الكيلاني وقد سبق لنوري السعيد ان عارض ذلك. واستفسر المندوب السامي همفريز من الملك، فيما اذا كان قد استشار رئيس وزرائه بالموضوع، فأجابه الملك بالايجاب. وكان همفريز يعلم ان السعيد لايمكنه الموافقة على تعين احد المعارضين في هذا المنصب، فصارح الملك بهذه الحقيقة. وكان رد الملك ان تعيين رئيس الديوان، هو من صلاحية البلاط.[٢٩٩]

حين عاد السعيد الى بغداد، صارحه الملك في مسألة ابعاده عن الوزارة وكان ذلك تأييداً للاشاعات التي سبق للسعيد ان سمعها، واكد الملك رغبته في اقصاء السعيد حين اعرب له عن نيته في حل البرلمان، اذ ان رئيس الوزراء المرتقب، لابد ان يطلب اجراء انتخابات جديدة، وقد حاول هيوبرت يونغ. اصلاح ذات البين، لكن السعيد اكد عدم جدوى ذلك مادامت ثقة الملك قد انعدمت به.[٣٠٠] لكن هذا لم يمنع السلطات البريطانية من مواصلة الجهود لاقناع الملك بضرورة التفاهم مع السعيد، وعدم الاستمرار في «لعبته الخطرة» التي ستؤثر على مركزه في العراق.[٣٠١] وقد تذرع الملك بتدهور صحة نوري تارة، ومحاولاته التدخل في شؤون الوزارات

٢٩٧ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، ج٣، ص٨٤ .

٢٩٨ـ سامي عبد الحافظ القيسي، المصدر السابق، ج٢، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٥، ص١٤٥.

٢٩٩ـ عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٣١٧ .

300- F.o,371/16049, E5692, Decypher, H Young immediat, No 335, October 29,1932 .

٣٠١ـ عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٣١٨ .

تارة اخرى. وبلغت تبريرات الملك غير المنطقية حداً جعله يذكر ان هناك خلافاً عقائدياً بينه وبين السعيد، حول مفهوم السياسة السليمة التي ينتهجها العراق. بل انه ذكر ان نوري عدوه وهويخشى ان يضع سلطة كبيرة بيد هذا العدو. وقد فند يونغ هذا الادعاء، واكد للملك ان نوري، تفانى في خدمته. وهومن اشد المخلصين له. ولم يكن امام الملك، الا ان يقر بالحقيقة، لكنه لم يتراجع عن رأيه. وذكر انه ونوري «كزوج وزوجة» وان الخلاف في مثل هذه الحالة مسألة طبيعية، «فلابد ان تختلف بين الحين والاخر ونفترق فترات قليلة»[٣٠٢]

كان رأي الملك، ان نوري «رجل لايبالي بشيء، ولايهتم الا بنفسه، يعتمد على الوحي الذي ياتي من الخارج اكثر من اعتماده على رأيه وآراء اخوانه، التي تكون عادة نتيجة البحث والاستقراء والاستنتاج». [٣٠٣] ويمكن القول ان الملك لمس، في هذه الفترة المبكرة ان السعيد يساير بريطانية اكثر مما يجب، والمعروف ان السعيد غالى في هذه السياسة التي ادت اخر الامر الى نهايته ونهاية النظام الملكي.

توج الخلاف بين الملك والسعيد باستقالة الوزارة. وقد جامل الملك، رئيس وزارته المستقيل، الى حد كبير، ربما لايهام الرأي العام بصفاء العلاقة بينهما. فقد جاء في كتاب قبوله الاستقالة «اني لاشكركم على ماقمتم به انتم وزملاؤكم طيلة مدة بقائكم في الحكم، من الاعمال الجليلة والجهود الثمينة، لخير الوطن، ولاسيما في سبيل ايصال بلادنا المحبوبة الى مصاف الامم الحرة المستقلة واني واثق من ان التاريخ سيسجلها لكم بمداد من ذهب لاتمحى مدى الدهر واني سابقى ذاكراً لها بكل تقدير واعجاب». [٣٠٤]

302- F.o., 371/16049, E5950/ 39/0/93, British Govern ment Archives, No. 8 secret, H. young to John simon, No. 1060, November 3, 1932 .

٣٠٣ـ اسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، دار القاهرة للطباعة القاهرة ١٩١٦، ص١٩٦.

٣٠٤ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٣، ص٢٠٧ـ٢٠٨ .

لكن الخلاف لم ينته، اذ ان محاولات الملك في التصدي لتنامي نفوذ السعيد بقيت مستمرة فقد اصر على حل المجلس النيابي، والعمل على عدم تمكين السعيد من احتلال مركز متقدم فيه. وكان من الطبيعي ان يغضب هذا الاجراء نوري السعيد، الذي اعرب عن عدم استعداده للعمل السياسي مالم تتغير نفسية الملك، بل انه ذهب بعيداً حين قال انه لن يقبل اي منصب وزاري مادام الملك متربعاً على العرش، فقد اصبح شيخاً يصعب تغيير شخصيته [٣٠٥]

وزارة ناجي شوكت:-

سبق للملك ان اخبر ناجي شوكت اثناء زيارتهما المنطقة الشمالية في آب ١٩٣٢، عن رغبته في تشكيل وزارة جديدة بعد دخول العراق عصبة الامم، على ان تكون وزارة محايدة او ائتلافية، ويحل المجلس وتجري انتخابات جديدة لفسح المجال امام العناصر كافة للاشتراك فيه. [٣٠٦] ويذكر ناجي شوكت ان الملك سأله عن رأيه في الشخص الذي يراه مناسباً لتقليد المنصب. فأشار عليه بناجي السويدي اوياسين الهاشمي اولاً وجعفر العسكري ثانياً. وكان رد الملك انه سيستأنف الحديث معه عن الموضوع، بعد العودة الى بغداد. وبعد استقالة السعيد، ارسل الملك بطلب ناجي شوكت، ليخبره بانه قرر اسناد الوزارة الى واحد من ثلاثة هم، جميل المدفعي ورشيد عالي الكيلاني وهو «ناجي شوكت». وبما ان جميل المدفعي انتخب لرئاسة مجلس النواب ورشيد عالي الكيلاني اصبح رئيس الديوان الملكي، فلم يبق غيره. [٣٠٧]

قبل ناجي شوكت المنصب، وسرعان ماطلب حل المجلس النيابي، وانتخاب مجلس جديد، يعبر عن رغبة الشعب في السياسة التي يجب انتهاجها بعد ان دخل العراق عصبة الامم، اذ ان المجلس السابق لم ينتخب على هذا الاساس، وكانت

٣٠٥ـ عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٢٢٣ـ٢٢٤.

٣٠٦ـ ناجي شوكت، سيرة وذكريات، ص٢٠٢.

٣٠٧ـ المصدر نفسه، ص٢٠٣

هذه هي رغبة الملك بالدرجة الاولى ، فصدرت الارادة الملكية بذلك ، وقد حاول نوري السعيد اقناع ناجي شوكت بعدم حل المجلس مع ضمان تأييد اكثرية حزب العهد(*) للوزارة . لكن ناجي شوكت ، رفض ذلك فرفع حزب العهد عريضة الى الملك اوضح فيها عدم شرعية حل المجلس ، عندها قرر الملك ابعاد السعيد عن العراق ، فارسله الى جنيف لحضور اجتماع مجلس عصبة الامم ، الذي سيبحث قضية الحدود بين سوريا والعراق والعرائض التي رفعها الزعماء الاثوريون الى عصبة الامم حول مستقبلهم . (٣٠٨) ويذكر همفريز بانه هو الذي اقترح فكرة سفر نوري السعيد الى جنيف . ثم بعد ذلك تعينه ممثلاً للعراق في روما او برلين ، او كليهما . (٣٠٩) وهذا يعني انه أراد ان يضع حداً لتوتر الموقف بين الاثنين خوفاً من تفاقم المشكلة .

حاول بعض زعماء الاحزاب العمل على اقناع الملك بتشكيل وزارة ائتلافية ، بدلاً من وزارة ناجي شوكت المحايدة . (٣١٠) وقد فوض المعارضون رشيد عالي الكيلاني بصفته رئيس الديوان الملكي ، والسكرتير الخاص للملك من اقناعه بذلك . (٣١١) والحقيقة ان الملك كان يفضل ان يؤلف الكيلاني الوزارة بصفته من العناصر البارزة في حزب الاخاء الوطني الذي قام بدور بارز في معارضة معاهدة ١٩٣٠ . (٣١٢)

وزارة رشيد عالي الكيلاني

قدم ناجي شوكت استقالته فقبلها الملك ، وقد اعتذر رئيس الوزراء المسقيل عن قبول منصب رئيس الديوان ، بدلا من رشيد عالي الكيلاني الذي اصبح رئيساً للوزراء

---

* حزب نوري السعيد .

٣٠٨ـ المصدر نفسه ، ص٢٠٨ـ٢٠٩ .

309- F.o., 371/16903, E.105, private, F. Humphrys to Rendel, December 19,1932.

٣١٠ـ ناجي شوكت ، سيرة وذكريات ، ص٢٢٩ .

٣١١ـ المصدر نفسه ، ص٢٣٠ .

٣١٢ـ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج٣ ، ص٢٣٢ .

في ٢٠ آذار ١٩٣٣ . وقد وضعت الوزارة منهاجاً ذكرت فيه انها تسعى الى تعديل معاهدة ١٩٣٠ ، فحاول الملك ان يجس نبض السفير البريطاني فوجده مضطرباً ، اذ احتج على هذه الفكرة خوفاً من ان تفسر على انها اعتراف من بريطانية بالموافقة على تعديل المعاهدة مما اضطر الملك الى اعادة المنهاج الى الكيلاني ، ليعيد النظر فيه لكن الوزراء اجمعوا على اهمية بقاء الفقرة التي تنص على تعديل المعاهدة ، والا فانهم سيتخلون عن مناصبهم . فاجتمع بهم الملك وخاطبهم بقوله «ان الاقطار العربية تنظر الى العراق نظرة اكبار واجلال لان ساسته يتناسون الضغائن والاحقاد عندما تدعوهم مصلحة الوطن الى الاشتراك في ادارة دفة شؤونه فماذا تفسر استقالة الوزراء؟»، ثم اعرب عن رفضه لاستقالة الوزراء ، وهدد بالتخلي عن العرش . وبعد مداولات بين اعضاء الوزارة تقرر وضع الفقرة الاتية في المنهاج بدلاً من الفقرة السابقة «احترام العهود الدولية والسعي لتحقيق الاماني الوطنية»[٣١٣]. ومعنى هذا ان الوزارة رضخت لرغبة الملك ، لان العبارة الاخيرة تختلف جوهرياً عن مضمون الفقرة السابقة ، وبذلك خسرت الوزارة جزءاً كبيراً من تأييد الشعب ، اذ ان التناقض بين شعارات الحزب الذي شكلها واعماله بدت متباعدة .

في الخامس من حزيران ١٩٣٣ غادر الملك فيصل بغداد الى لندن بدعوة من ملك بريطانيا بمناسبة دخول العراق عصبة الامم ، وبعد سفره بمدة وجيزة لاحت في الافق بوادر المشكلة الاثورية . فقد الزمت الحكومة العراقية المار شمعون بالبقاء في بغداد ، الامر الذي اغضب السلطات البريطانية ،[٣١٤] والصحافة الغربية . وفي العشرين من حزيران ابرق رئيس الديوان الملكي الى فيصل يعلمه باحتجاز المار شمعون ، فرد الملك بان هناك اعمال اهم من قضية المار شمعون ، وطلب منهم ضبط النفس ، وقد مارست السلطات البريطانية ضغوطاً كبيرة على الملك لاستخدام نفوذه للسماح للمار شمعون بالعودة الى الموصل ، فابرق الملك الى رئيس الوزراء مبيناً ان احتجاز المار شمعون سيؤدي الى اثارة الصحف البريطانية «مما يخرب علينا

٣١٣- المصدر نفسه ، ص٣٣٧ .

٣١٤- المصدر نفسه ، ص٢٧٣-٢٧٤ .

الجو الصافي والموقع الممتاز الذي حصلنا عليه... عالجوا الامر بحكمة وصبر...»[315] لكن رئيس الوزراء لم يلب نداء الملك، لان هذا معناه حدوث اضطرابات تخل بالامن، وكان رأي الملك الذي جاء في برقية رد بها على رئيس وزرائه «ان بقاء المار شمعون فترة طويلة في بغداد سيثير الاثوريين ويزيد الدعاية المضادة للعراق، كما سيعطيه قيمة كبيرة، اما اذا اخل المار شمعون بالامن فان الحكومة لها من القوة مايمكنها من تأديبه «وعليه بلغوه شفهيا ان الحكومة لاتغير سياستها نحو الاثوريين وتنتظر منه ان يبرهن على اخلاصه بالذهاب الى محله ودعوة العاصين للاخلاد الى السكينة»[316]

لكن الموقف سرعان ماتدهور في الموصل بعد ان قام الاثوريون بحركات مسلحة استوجبت تدخل الجيش، وامر المار شمعون عدداً من سكان القرى الاثورية بالهجرة الى سورية، لضمان حماية الفرنسيين لهم، فقامت الحكومة بنزع سلاح من غادر البلاد، وقد رفض بعضهم الامتثال لهذا الامر، مما ادى الى حدوث مصادمات بينهم وبين الجيش والشرطة.

حين علم الملك بتدهور الموقف كتب الى نجله ونائبه الامير غازي في ٢٨ تموز مقترحاً على وزير الداخلية عدم اخذ سلاح من الاثوريين الذين يعودون نادمين الى العراق من سوريا، لكن الوزير رفض الاقتراح، وفي الوقت نفسه ابلغت الحكومة البريطانية الملك بضرورة العودة الى بغداد لخطورة الوضع بسبب تجريد الاثوريين المهاجرين الى سوريا من سلاحهم، فطلب من وزير الداخلية التخلي عن قرار تجريد الاثوريين من السلاح لما يترتب عليه من «مشاكل خطير للمملكة». وكان رد الكيلاني، الذي اصبح وكيلاً لوزير الداخلية، ان مقتضيات مصلحة البلاد تدعو الى عدم الرجوع عن القرار المتخذ بشأن عدم قبول الاثوريين النازحين لسورية بسلاحهم اذ ان ذلك يضعف من هيبة الحكومة، فضلا عن تمادي المتمردين في اعمالهم. واعرب الكيلاني عن اسفه للملك، وفضل بقاءه في بريطانيا «اذ ان وضعنا قوي

٣١٥ـ المصدر نفسه، ص٢٧٥.

٣١٦ـ المصدر نفسه، ص٢٧٦.

ولاشيء يستوجب القلق ومع ذلك فاذا رأى جلالتكم الرجوع فالامر لجلالتكم»[٣١٧].
لكن الملك لم يقتنع بهذا الرد فابرق في اليوم التالي «٢٨ تموز» الى رئيس الوزراء مطالباً بتنفيذ توجيهاته بخصوص عدم نزع سلاح الاثوريين.

وجاء في برقية الملك «انني اعلم جيداً بأن الحكومة هي اقوى منهم وانها تتمكن من اخماد اي حركة تأتي منهم بسرعة. ولكن وقوع ادنى حادث سينقلب الرأي العام الغربي ضدنا، وسيكون كيان الدولة مهدداً»[٣١٨]

لكن مجلس الوزراء لم يستجب لنداء الملك، الامر الذي دفع السلطات البريطانية الى انذاره مرة ثانية، فارسل الملك نص الانذار الى رئيس الوزراء، وجاء في الانذار ان سياسة الحكومة العراقية تجاه الاثوريين ترك اثراً سيئاً في الرأي العام البريطاني وغيره «وذلك اذا لم تعودوا فوراً الى العراق وتقبضوا بشخصكم على زمام الحكم ستضطر الحكومة البريطانية الى ان تعيد النظر في علاقاتها العهدية مع العراق».

وعاد الملك يؤكد ضرورة اطلاق سراح المار شمعون، والا فانه سيضطر الى العودة، وكان رد رئيس الوزراء ان بريطانيا ليس من حقها توجيه مثل هذا الانذار، لان هذا معناه التدخل في شؤون البلاد، وان الحكومة العراقية قامت بتأديب عناصر خارجة عن القانون كما هو شأن اية حكومة «واما رجوع جلالتكم الى البلاد فمنوط برأيكم. غير ان هذا لن يغير من موقفنا»[٣١٩].

لم يجد الملك بداً من العودة الى بغداد، اذ وصل في ٢ آب ١٩٣٣. وقد بدت عليه علامات المرض، وكانت معنوياته ضعيفة، ووجد الجميع يميلون الى غازي[٣٢٠]. وكان في نيته عزل الوزارة. ويذكر ناجي شوكت ان الملك عبر له عن اسفه لانه ابعده عن رئاسة الوزارة، وكانت تلك خطئته ـ الملك ـ كما انه اخطأ ثانية

٣١٧ـ المصدر نفسه، ص٢٨٥ .
٣١٨ـ المصدر نفسه، ص٢٩٨ .
٣١٩ـ المصدر نفسه، ص٢٩٩ .
320- Longrigg, OP. cit., P.236.

حين ترك ابنه الشاب «غازي» بعد ان استصحب معه ياسين الهاشمي ونوري السعيد ورستم حيدر، وان الوزراء الذين بقوا في بغداد تحت تأثير النوازع الدينية والقومية لم يقدروا الوضع الدولي.[٣٢١]

ان الملاحظ من خلال البرقيات المتبادلة بين الملك ورئيس الوزراء، ان الملك حاول جهد الامكان دفع الحكومة الى سياسة ضبط النفس نحو الاثوريين، لان تفاقم الازمة سيوحي للرأي العام العالمي والاوربي بالذات ان العراق ليس بمستوى الاستقلال. ولم يكن قد مضى عام على دخوله عصبة الامم. وقد يكون لوجود الملك في اوربا واطلاعه على الصحف هناك اثره في ان ترسخ لديه هذه القناعة. اما رجال الحكومة العراقية ومنهم ولي العهد «الامير غازي» المعروف باندفاعه، فانهم وقعوا تحت تأثير الرأي العام العراقي الذي كان يطالب بوضع حد لاعمال العنف التي قام بها الاثوريون، وهذا اكسب الحكومة ثقة الشعب وكان بداية حصول الامير غازي على شعبية واسعة. كل ذلك جعل الملك يعدل عن فكرته في اقالة الوزارة، اذ ان الهاشمي ابرق الى الكيلاني من لندن ليخبره بأن الملك سيطلب منه تقديم استقالته بعد عودته الى بغداد. وحين علم صفوت العوا مدير الخزينة، ومعلم الملك، القديم، اقنع تلميذه بعدم دفع الوزارة الى الاستقالة، لانها حظيت بتأييد شعبي واسع.

ولما وصل الملك بغداد وجد ان كل شيء قد انتهى، وان التمرد قد قمع.وحين قدم له رئيس الوزراء استقالته، رفضها وخاطب الكيلاني بقوله «يظهر انك لاتعرف فيصلاً بعد. كيف اقبل استقالة وزارتك وقد اصبحت موضع ثقتي ورجائي».[٣٢٢] وقد ذكر الكيلاني لخليل كنة انه هو الذي اقترح على الملك ان يقدم له استقالته بسبب ضغط بريطانيا عليه، لكن الملك غضب وقال له «من قال لك اني اقل وطنية منك، لاسمح لك بمثل هذا الكلام».[٣٢٣]

٣٢١- ناجي شوكت، سيرة وذكريات، ص٢٣٤-٢٣٥.

٣٢٢- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٣، ص٣٠٠.

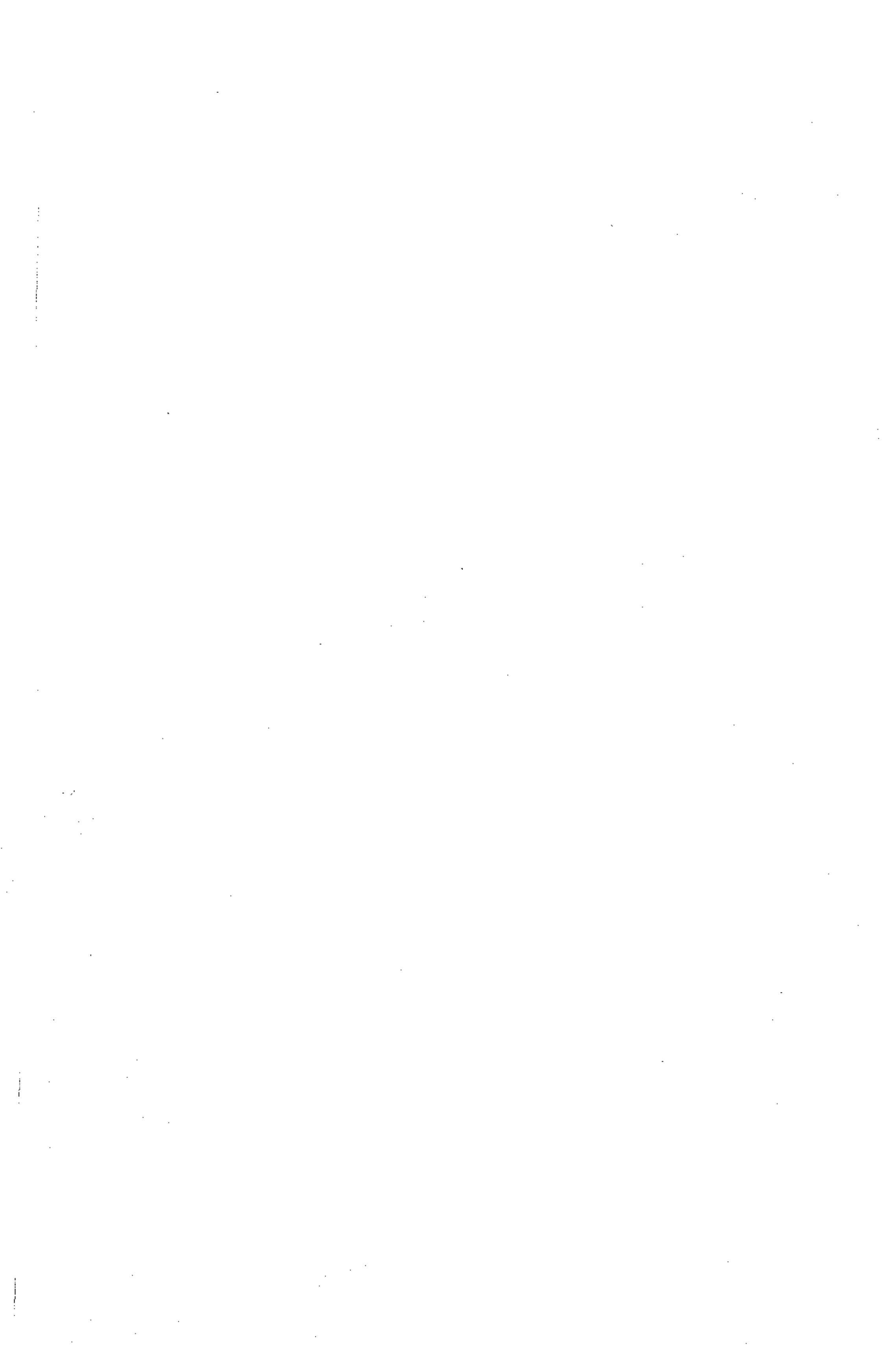
٣٢٣- خليل كنة، المصدر السابق، ص٣٨.

ان جريان الاحداث تجعلنا نرجح ان استمرار رفض الوزارة لتوجيهات الملك التي كانت تأتي من لندن لم تكن سوى عملية تمويه توحي بأن الملك كان مخالفاً لرأي الحكومة والذي يدعم هذا الرأي ان الملك لم يجبر الوزارة على الاستقالة. كما ان هذا يجعلنا نأخذ بنظر الاعتبار ماذكره نوري السعيد من ان اوامر قمع الحركة الاثورية جاءت من الملك نفسه.

حين اراد الملك زيارة منطقة الاضطرابات في الموصل للاشراف على نهايات قمع التمرد، نصحته الحكومة بالعدول عن ذلك خوفاً من اهتياج الرأي العام، [٣٢٤] اذ ان الشعب لم يكن مرتاحاً لموقف الملك «المعارض» لاجراءات الحكومة، فأوكل فيصل هذه المهمة الى الامير غازي.

وفي الاول من ايلول عاد الملك الى اوربا وكانت المرة الاخيرة التي يغادر فيها بغداد، اذ انه توفي بعد ثمانية أيام وهوماسنأتي على تفصيله في الفصل الاخير من هذا الكتاب.

٣٢٤ـ علي جودت الايوبي، المصدر السابق، ص٢١٥.



الفصل الرابع
سياسة الملك الداخلية والعلاقات مع الدول العربية والمجاورة

حين جاء الملك فيصل الى العراق، عام ١٩٢١، كانت البلاد متأخرة من كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولم يكن هناك شارع واحد معبد. في بغداد، وعدد المدارس قليل جداً قياساً الى عدد السكان، وكانت البلاد محاطة بالاخطار الخارجية من معظم الدول المجاورة، فالاتراك يطالبون بالموصل، وموقف ايران المعادي واطماعها، في غاية الوضوح، والفرنسيون في سوريا كانوا ضد فيصل، ومشاكل الحدود مع امارة نجد كانت لاتزال قائمة.

كل هذا جعل الملك امام مسؤوليات ومهام غير اعتيادية، ولانغالي اذ نقول انه كان امام مهمة بناء دولة جديدة، بكافة مؤسساتها العسكرية والسياسية والاقتصادية، وكان للملك دور واضح في هذه المهمة.

١ الجيش:

ان تجارب الملك فيصل علمته ان الجيش هو الاساس الذي تقوم عليه الدولة القوية، التي بامكانها فرض ارادتها على الاخرين واتخاذ قرار مستقل، وقد لمس فيصل اهمية القوة النظامية المدربة، اثناء قيادته الجيش الشمالي، ابان الثورة العربية. فالاعتماد على القوات غير النظامية «القبائل» كالبنيان على الرمال.[1] كما ادرك بشكل اكبر اهمية الجيش بعد الاخفاق الكبير الذي لاقته تجربته في سوريا، وبالذات بعد معركة ميسلون، لهذا نرى الملك «لاتمر فرصة الا وينتهزها لتقوية الجيش»[2] فحين قرر مجلس الوزراء في تموز ١٩٢٢ توسيع الجيش، بارك الملك هذا القرار واعرب عن سروره، وطالب باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ القرار باسرع

١ـ مؤرخ الثورة العربية، الملك فيصل الاول، بيروت، سنة الطبع؟ ص٣٩

٢ـ طه الهاشمي، المصدر السابق، ص١٤٢

وقت.[٣] كما سعى الملك الى مواجهة سياسة بريطانيا الرامية الى اضعاف الجيش عن طريق تخفيض رواتب الجنود بحجة وجود ازمة مالية تستوجب ذلك، وكانت غاية بريطانيا من هذا الاجراء هو عدم تشجيع الشباب على التطوع في صفوف الجيش. وقد اتخذ الملك اجراءاً مضاداً، وذلك باصدار توجيهات تقتضي بزيادة رواتب الجنود، فأشادت جريدة العراق بهذا القرار، واعتبرته «اسمى عاطفة ملوكية اذ ان الجندي الذي اوقف للمناضلة عن البلاد واستقلالها، لهو جدير بأن يكافأ احسن مكافأة وتضمن احتياجاته وراحته».[٤]

وحين ازدادت عوائد العراق من النفط، دعا الملك الى الاستفادة منها في تقوية الجيش وزيادة وحداته، وتبديل طائرات القوة الجوية بطائرات حديثة، ودعا الى تنفيذ ذلك فوراً.[٥] وكان اهتمام الملك بالقوة الجوية كبير للغاية، لان العشائر على حد تعبيره تخاف منها، بدليل ان الشيخ احمد،[*] اشاع بين جماعته ان القوة الجوية البريطانية لن تساهم في القضاء على تمرده، وكانت غايته رفع روحهم المعنوية،[٦] وتمنى الملك ان يأتي اليوم الذي يرى فيه الطائرات العراقية يقودها طيارون عراقيون.[٧] كما ظهر اهتمام الملك بالجيش من خلال سعيه المتواصل الى تطبيق قانون التجنيد الاجباري الذي سبق ان سعى الى تطبيقه في سوريا[٨] فالمعروف ان

---

* احد كبار شيوخ العشائر الكردية الذي قام بحركات ضد الدولة.

٣- م.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ج/١، ١٨٩ـوع، استقالة الوزارات وتأليفها، كتاب الديوان الملكي، ٢/٥/٦٨٢ في ١٩٢٢/٨/١٦، ورقة ٤.

٤- العراق، ١٩٢٢/١/١٠.

٥- م.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ف/٩، ١٦٠٣ـوع، تشكيلات الجيش العراقي، كتاب رئاسة الديوان الملكي، سري في ١٩٣٢/٥/٢٣، ج/٣٢٨ ورقة ٦٢، الى سكرتير مجلس الوزراء.

٦- م.و.و.، ملفات البلاط الملكي ف/٩، ١٦٠٣ـوع، المؤتمر المنعقد في البلاط الملكي بتاريخ ١٩٣٢/٥/٢٠، ورقة ٥٧-٦١.

٧- العراق، ١٩٣٠/١٠/٦.

٨- جريدة «العاصمة» الدمشقية، العدد ٩٩، ١٩٢٥/٢/٥، نقلاً عن خيرية قاسمية «الحكومة العربية»، ص١٦٢

بريطانيا وكجزء من سياستها الرامية الى اضعاف الجيش عارضت تطبيق هذا القانون، الذي من شأنه زيادة عدد الجنود بشكل كبير، بحجة عدم رغبة الشعب العراقي في التجنيد، وقد اكدت الوثائق البريطانية ان الملك ساند وزارة جعفر العسكري الثانية «١٩٢٦-١٩٢٨» حين دخلت في مفاوضات طويلة مع السلطات البريطانية حول تطبيق هذا القانون عام ١٩٢٧ .[٩] وقد عين الملك جميل المدفعي متصرفا للمنتفك بدلاً من جميل العزاوي، فرفع المدفعي مع بعض انصار الملك شعار «اعطني التجنيد الاجباري حتى تتخلص من بريطانيا وتضمن الاستقلال».[١٠] كما ارسل الملك بعض اعوانه الى منطقة الفرات الاوسط المعروفة بمعارضتها التجنيد الاجباري، وذلك للعمل على اقناع شيوخ العشائر بقبول القانون.[١١]

ويذكر هنري دوبس ان الملك اوضح له بانه لولم ترسل حكومة صاحب الجلالة الجواب «عن رأيها بتطبيق القانون» قبل حلول وقت تقديم لائحة الخدمة الالزامية الى البرلمان فانه سيسحب اللائحة، ولايقوم بعمل اي شيء بصدد توسيع الجيش او تهيئة العراق لاستلام المسؤولية للدفاع عن نفسه، اذ انه واثق من ان بريطانيا لن تتخلى عنه. وكان رد دوبس انه بذلك سيرتكب خطأ فضيعاً، وانه كمن يوجه المسدس على رؤوسهم.[١٢] والواضح ان دوبس لمس لهجة التهديد التي تحدث بها الملك، وقد اكد دوبس في رسالة كتبها الى وزارة المستعمرات رغبة الملك والحكومة العراقية في تطبيق القانون قوية «وليس من حسن السياسة مقاومة هذه الرغبة».[١٣] ولم يتردد الملك في استغلال زياراته لبعض المدن، في بث الدعاية

٩-م.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ف/٩، ١٦٠٠-وع تشكيلات الجيش، مذكرة من المندوب السامي الى وزير المستعمرات، بلا رقم اوتاريخ، ورقة ٢٠-٢٨

10- P.R.O., F.O., 371/12259/3881, Not on internal situation in Iraq by High commissioner,

11- Air, 23/384-X/M 04583, secret, special service officer, Baghdad, 25 september 1928

12- Co., 730/108/40004 X,M,08533, H.D,7/5/1927

١٣-م.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ف/٩، ١٦٠٠-وع، تشكيلات الجيش، مذكرة من المندوب السامي الى وزير المستعمرات، بلا رقم اوتاريخ ورقة ٢٠-٢٨

للتجنيد.[14] وفي الاجتماع الذي عقد في البلاط في ٢٠/آيار/١٩٣٢، انتقد الملك نوري السعيد، لانه تخلى عن فكرة الاخذ بقانون التجنيد الاجباري، بعد ان كان مؤيداً للقانون في السابق.[15]

واكد الملك في اكثر من مناسبة ضرورة تطبيق هذا القانون، واكد هنري دوبس ان الملك الح كثيراً على تطبيق القانون، ودعا ايضاً الى الاسراع بدخول العراق عصبة الامم، لان ذلك من شأنه ان يثير حماس الشعب العراقي للحصول على الاستقلال الحقيقي وقبول التجنيد الاجباري بصدر رحب، عندها ستنتفي الحاجة الى الاعتماد على بريطانيا.[16] ولم يكن الملك يتردد في الموافقة على قبول قرارات مجلس الوزراء الخاصة ببناء المعسكرات وامتلاك الاراضي لهذا الغرض.[17] وكان يطلع على اعمال اللجان التي شكلت لمناقشة تشكيلات الجيش ومدى كفاءته، ويلح كثيراً على ضرورة اكمال استعدادات الجيش، وطالب بالغاء الوظائف في بعض دوائر الدولة لتوفير العملة وتخفيض الرواتب للاستفادة من الفروقات لصرفها على الجيش بالدرجة الاولى. وكانت المواقف الصعبة التي يمر بها العراق تدفع الملك الى المزيد من الاهتمام بالجيش، كما حدث بعد وقوع احداث الاثوريين عام ١٩٢٤ في كركوك.

وقد لخص الملك مجمل موقفه من الجيش في المذكرة التي كتبها في آذار ١٩٣٣، والتي شملت قضايا البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، واكد الملك في هذه المذكرة ضرورة زيادة قوة الجيش الى الحد الذي يمكنه من قمع تمردين اذا وقعا في وقت واحد في مناطق متعددة، وجاء في المذكرة «انني غير مطمئن الى اننا بعد ستة اشهر وبعد ان تتخلى انكلترا عن مسؤوليتها في هذه البلاد

14- Air, 23/384, X.M,04583, J.S.H.13/10/1928

١٥ـ م.و.و، ملفات البلاط الملكي، ف/٩، ٣ ١٦ـوع، تشكيلات الجيش العراقي، المؤتمر المنعقد ف[illegible]لاط الملكي بتاريخ ٢٠ ايار ١٩٣٢، ورقة ٦٠ـ٦١

١٦ـ العالم العربي، ٢٩/٩/١٩٢٩.

١٧ـ م.و.و، ملفات البلاط الملكي، ف/٩، ١٦٠٣ـوع، تشكيلات الجيش العراقي يحوي الملف على اكثر من وثيقة تؤكد ذلك.

نتمكن من الوقوف لوحدنا، مادامت القوة الحامية هي غير كافية ولايمكنني ان اوافق على تطبيق الخدمة العامة، او القيام بأي اجراءات اخرى هامة، اومحركة اومهيجة، مالم اكن واثقاً بان الجيش يتمكن من حماية تنفيذ هذا القانون، او اي اجراءات اخرى وعليه ارى من الضروري ابلاغه لحد يتمكن معه من اجابة رغبتي المار ذكرها، وذلك بشكله الحاضر، ارى انه من الجنون القيام بانشاءات واصلاحات عظمى في البلاد، قبل ان تطمئن الى كفاية القوة الحامية لهذه الاعمال...»[١٨]

وكان الملك كثيراً مايتفقد الوحدات العسكرية ويحضر مناورات الجيش ورمي المدفعية.[١٩] كما كان يتفقد مناطق العمليات العسكرية، كما حدث اثناء العمليات العسكرية ضد الشيخ محمود في الشمال، وزار الجنود الجرحى الراقدين في المستشفى.[٢٠] وكان يدعو الضباط الى ضرورة معاملة الجنود معاملة انسانية، كونهم حماة البلاد، وصائني حدودها، والمحافظين على وحدتها الوطنية، واستتباب الامن.[٢١] كما دعا الى ضرورة قبول بعض الطلاب العرب في المدرسة العسكرية انطلاقاً من توجهه القومي.[٢٢] ومما تجدر الاشارة اليه ان الملك الحق ابنه الوحيد «غازي» بالمدرسة العسكرية.

٢ـ الاقتصاد :ـ

ادرك فيصل اهمية بناء اقتصاد وطني، باعتباره احد الاسس المهمة التي يقاس من خلالها تقدم البلاد، وكانت له اراء ومواقف كثيرة تؤكد ذلك.

أـ النفط :ـ

ابدى فيصل اول الامر شيئاً من التساهل مع الحكومة البريطانية فيما يتعلق

١٨ـ انظر نص المذكرة في تاريخ الوزارات العراقية ج٣، ص٣١٦-٣٢٣.

١٩ـ الاستقلال ١٩٣٢/١١/٢٠.

٢٠ـ العالم العربي ١٩٣٢/٤/١٦.

٢١ـ محمد مهدي كبة، المصدر السابق، ص٢٧٠

٢٢ـ ف/١٢، ١٦١٥-وع

بامتيازات النفـط، وبالذات قبل ان تحسم مسألة الموصل.[٢٣] وقد اثبتت الاحداث صحة رأي الملك، اذ ان الاتراك عرضوا على بريطانيا امتيازات سخية اذا ماعطيت لهم الموصـل.[٢٤] وقد قبل فيصل اقترح ممثل شركة النفط، بأن يأخذ العراق اربعة شلنات عن كل برميل نفط، على ان توفر الشركة النفط الى العراق باسعار رخيصة.[٢٥]

وكانت الحكومة العراقية ضد هذا العرض، كونه مجحف بحق العراق. وكانت غاية الملك الاسراع في منح الامتيازات للشركات الاجنبية، رغبته الملحة في الحصول على المزيد من العوائد للاستفادة منها في تطوير البلاد، وبالذات تطوير الجيش.[*]

وحين تعرقلت مسألة منح امتياز لشركة النفط التركية، اتفق الملك مع هنري دوبس باسناد الوزارة الى ياسين الهاشمي. بعد استقالة جعفر العسكري في ٢ آب ١٩٢٤، اذ وجد فيه خير من يتمكن من منح الامتياز، وفي الوقت نفسه يضمن تأييد المعارضة لوزارته.وحين ابدت وزارة الهاشمي شيئاً من التصلب في مجال منح الامتياز فكر الملك باقالتها، لكن المندوب السامي حذره من ذلك خوفاً من التفاف الشعب حول الوزارة فتقرر الاكتفاء بتوجيه انذار الى وزارة الهاشمي.[٢٦]

اما فيما يتعلق بموقفه من مد انبوب النفط العراقي الى سواحل البحر الابيض المتوسط، فقد رفض الملك مد الخط الى طرابلس، وذلك استجابة لرغبة بريطانيا، نكاية بالفرنسيين لاجبارهم على قبول العراق في عصبة الامم.[٢٧] وقد سبب موقف

---

* هذا لا يعني ان الملك اراد التساهل الى ابعد الحدود، بدليل انه قال عن ولسون انه لص حقيقي لانه اراد ان تكون حصة العراق قليلة جدا. انظر Burgoyne, op. cit, p. 204 .

٢٣- نوري عبد الحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق (١٩٢٥-١٩٥٢) ط١، مركز الابجدية، بيروت، ١٩٨٠، ص٧٥

24- From the foreign office to Lindsay, 21/1/1925, Co, 730/84/4035.

نقلاً عن نوري عبد الحميد خليل، المصدر السابق، ص١١٢

٢٥- نوري عبد الحميد خليل، المصدر السابق، ص٧٥

٢٦- المصدر نفسه، ص١٠٣

٢٧- المصدر نفسه، ص١٨٥-١٨٦

الملك هذا إثارة الحكومة الفرنسية،واكد فيصل لهمفريز في ٢٨ تشرين الاول ١٩٣٠ ، ان الحكومة العراقية تفضل بقاء نفطها تحت الارض الى الابد، على ان يصدر الى سوريا، وان العراق سيعلن الغاء الامتياز، اذ انه غير مستعد للتضحية بمصالحه، ارضاء لفرنسا، وانه سيتخذ الاجراءات اللازمة لحماية هذه المصالح .[٢٨] والملاحظ ان توتر علاقات الملك فيصل مع الفرنسيين كانت لاتزال باقية، وقد ظهر ذلك بشكل واضح خلال زيارته، فرنسا في آب ١٩٣٠ ، اذ هدده الفرنسيون بوضع العراقيل امام استقلال العراق مالم يأخذ مصالح فرنسا النفطية بنظر الاعتبار، وكانت فرنسا ترغب في تصدير نفط العراق عن طريق انبوبين احدهما يصل حيفا والاخر طرابلس. لكن الملك لم يخضع لهذا التهديد وكان رده بانه سيحرمهم من كل نفط العراق، خارج امتياز شركة نفط العراق وسيوزعه بين البريطانيين والايطاليين والالمان .[٢٩] وكان موقف الملك هذاءالعامل الاساس الذي جعل فرنسا تعارض دخول العراق عصبة الامم. وقد قررت بريطانيا بعد ذلك ارضاء فرنسا، وسعت الى اقناع الملك بضمان مصالحها النفطية لتأمين دخول العراق عصبة الامم، كما لمحت له باسناد عرش سوريا له. وقد تمكنت بريطانيا من ترتيب اجتماع ضم الملك وشقيقه علي وممثل فرنسا في بغداد، ناقشوا قضية عرش سوريا، والعلاقات بين سوريا والعراق ومسألة انابيب النفط .[٣٠] وتشير الوثائق البريطانية الى ان فرنسا وعدت فيصل بمساندة قرار دخول العراق عصبة الامم، وتسوية الحدود العراقية والسورية، وابداء موقف ودي فيما يتعلق بعرش العراق، والموافقة على تعيين قنصل عراقي في بيروت .[٣١] وقد شجع هذا الموقف الملك على زيارة فرنسا في تموز ١٩٣١ ، حيث جامله الفرنسيون كثيراً، حتى ان سكرتير عام وزارة الخارجية الفرنسية فيليب بريشلو شرب نخب «فيصل ملك العراق وسورية».كما سمح لفيصل بالاتصال بالزعماء الوطنيين السوريين. ويذكر الدكتور نوري العاني ان ذلك لم يكن

٢٨ـ المصدر نفسه، ص١٩٧

٢٩ـ الزمان، ٢٣ / ١٠ / ١٩٣٠

٣٠ـ الاستقلال، ١٩/٣/١٩٣١

٣١ـ نوري عبد الحميد خليل، المصدر السابق، ص٢٤٩

اكثر من خدعة فرنسية ساهمت بريطانيا في تمريرها على فيصل لان مصلحتهم اقتضت مد الانبوبين الى طرابلس وحيفا بسبب ضغط المعارضة.[٣٢]

ويبدو ان الصحف البريطانية ساهمت في هذه الخدعة. فقد ذكرت «المورننغ بوست» ان فرنسا تفكر في عرض عرش سوريا على فيصل اثناء زيارته باريس، ويمكن اقناع الامير عبد الله بالانضمام الى الاتحاد، وبذلك يتحقيق حلم الامبراطورية العربية الذي لاح سنة ١٩١٩-١٩٢٠. وذكرت الجريدة ان فرنسا تتوقى من ذلك منافع فيما يتعلق بمد انابيب النفط.[٣٣] وقد استمرت سياسة فيصل في مسألة الاسراع باستثمار النفط، بدليل ترحيبه بالشركات الايطالية قبيل وفاته في ٧ آيلول ١٩٣٣.

ب - الــزراعــة

لقد بدا اهتمام فيصل بالزراعة واضحاً من خلال دعوته الى تقليص نفقات مؤسسات الدولة على ان لاتشمل الجيش والزراعة، واكد في حفل اقيم بمناسبة تأليف احدى الجمعيات الزراعية في آب ١٩٢٨، ان كل ثروات البلاد سيكون مصدرها الزراعة، واشار الى ان العراق كان متقدماً في هذا المضمار. واصبح الملك نفسه، الرئيس الفخري للجمعية الملكية الزراعية، وقرر ان يكون هو حلقة الوصل بين الجمعية واعضاء الحكومة، وطلب التبرع لصندوق الجمعية، واكد ان التبرع القليل النابع من القلب افضل من التبرع الكثير، عن غير قناعة. وتبرع هو بـ ١٤٥٠ روبية و٥٠ روبية، اجور انتماء، ودعا اخاه للتبرع ايضا.[٣٤] كما دعا الفلاحين الى مساعدة الحكومة للنهوض بواجباتها، وطلب الاقتداء بمصر، التي حققت نجاحاً في هذا المضمار.

٣٢- المصدر نفسه، ص ٢٥٠
٣٣- العراق، ١٩٣١/١١/٢٣
٣٤- العالم العربي، ١٩٢٨/٨/٧

واكد اهمية انشاء جمعيات فلاحية. وكان الملك يتحدث بصفته احد «سراكيل العراق لابصفه اخرى»، كما اطلق على نفسه اسم «السركال الاكبر» واعرب عن فخره واعتزازه بهذا اللقب.[٣٥] كما دعا الملك الى تأسيس مصرف زراعي، وتشجيع زراعة الفواكه والتبغ والكتان والقطن وتربية دود القز. واكد اهمية الاخذ بالمكننة الحديثة.[٣٦] وجلب مكائن لحلج القطن. واقترح ان تقوم الحكومة ببيع البذور الجيدة، لاحدى النواحي، وتجبر المزارعين على زرعها، وعدم زرع غيرها. وفي الموسم القادم تقوم الحكومة بشراء الحاصل منهم، ثم تبيعه على مقام او متصرفية، وهكذا، ثم بقية المحاصيل. ورأى ان من واجب الحكومة ايضاً ان تؤسس معامل لتنظيف البذور والعناية بها ومراقبة الحبوب غير الجيدة وعدم تصديرها. كما اقترح وضع قانون لتثبيت ملكية الارض، ووضع محاكم خاصة بذلك؛ كما هو الحال في ايطاليا، اذ توجد محاكم لفض النزاع بين العمال واصحاب المصانع، واشار الى اهمية وضع قانون يجبر الفلاحين على زراعة الارض «ويجب تمليك الاراضي لكل شخص زرعها منذ عشر سنوات بدون منازع». كما دعا الى تربية المواشي بتهيئة المراعي وخفض الضرائب عليها ـ المواشي ـ ووضع نظام للري، والاقتداء بمصر في هذا الجانب ايضاً، والسيطرة على مجاري المياه. ووضع برنامج لايقل امده عن خمسين سنة، لانشاء القناطر والمبازل وجداول الري. واكد اهمية انجاز خزان الحبانية وسدة الكوت وخزان عقرقوف.[٣٧]

وظهر اهتمام فيصل بالزراعة، من خلال ممارسات عملية قام بها الملك شخصياً كاهتمامه بمشروع ري الغراف، حتى انه رفع شعار «لامشروع قبل الغراف» وقد زار الملك منطقة الغراف بنفسه،[٣٨] بعد ان قدمت له شكاوى كثيرة من

٣٥ـ العالم العربي ١٩٢٨/٨/٣٠؛ العراق، ١٩٢٩/٧/١٠

٣٦ـ العراق، ١٩٢٩/٣/٦

٣٧ـ م.و.و.، م/١١، ملفات البلاط الملكي، ١٤١ـوع التقارير المالية، تقرير الملك عن الازمة المالية، ورقة ١٣٣ـ١٥٩ .

٣٨ـ العراق، ١٩٢٨/١٠/٢٥ .

المزارعين الذين عانوا كثيراً من شحة المياه الامر الذي يعرض منطقتهم للدمار، كما اشرف الملك بنفسه على حملة مكافحة الجراد،[٣٩] وتفقد الاراضي الزراعية التي تأثرت من جراء ذلك. كما قام بانشاء مزرعة قطن خاصة به، في خانقين، حاول من خلالها معرفة مدى نجاح زراعة هذا المحصول في العراق، وعرض في احدى المناسبات نماذج من قطن مزرعته الذي اشار الى نجاح التجربة، ويذكر فوستر ان الملك كان مزارعاً متحمساً، وله ثلاث مقاطعات زراعية اثنتان منها قريبتان من بغداد، والثالثة قرب خانقين: «وسموه اوعز بزرع اربعمائة دونم، وينوي مضاعفة هذا العدد ستة مرات»[٤٠]. وقد احتفت به جمعية اتحاد القطن البريطانية عند زيارته، مصانع يوركشاير في خريف عام ١٩٢٧، للوقوف على طاقاتها الانتاجية.

وفي المذكرة التي كتبها فيصل:[*] اكد اهمية تطمين الشيوخ والاغوات، وعدم جعلهم يتصورون ان الدولة تسعى لازالتهم، بل «يجب ان تطمأنهم على معيشتهم ورفاهيتهم».[٤١] واعتقد الملك ان فشل الزراعة يعود الى بعد العراق عن الاسواق وعجزه عن تصدير محصولاته رغم قلتها. واستفسر عن النتيجة فيما اذا تمكن العراق من انجاز مشاريع الري «وهل القصد تشكيل اهرامات من تلك المحاصيل الخام والتفرج عليها؟ ماذا تكون فائدتنا منها اذا لم نتمكن من اخراجها الى الاسواق الاجنبية واستهلاكها في الداخل على الاقل؟ ماالفائدة من صرف تلك الملايين قبل ان نهيء لها اسواقاً ونحن مضطرون الى جلب الكثير من حاجاتنا من الخارج؟».[٤٢] وقد تباحث الملك مع الاقتصاديين الغربيين، ورجال الاعمال حول اهمية ايجاد اسواق لمحاصيل العراق الزراعية.[٤٣]

---

* المذكرة التي أشرنا اليها سابقا عند الحديث عن موقفه من الجيش.

٣٩- العراق، ١٢/٤/١٩٢٧.

٤٠- هنري فوستر، المصدر السابق، ص٤٦٧.

٤١- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص٣٢١.

٤٢- المصدر نفسه، ص٣٢٢.

٤٣- صحيفة الشعب الدمشقية، ١٥/٦/١٩٣٣، نقلاً عن العراق، ١٥/٦/١٩٣٣.

٢- الصناعة والمعادن

كثيراً ما كان الملك يؤكد ضرورة بناء صناعة وطنية والاستغناء عن المنتوجات الاجنبية، لما لذلك من مردود اقتصادي كبير، وفي هذا المجال دعا الى الاهتمام بارسال بعثات الى الخارج، واعداد كادر صناعي؛ [٤٤] «بدلاً من ان تذهب المواد الاولية وتصدر باسعار عالية». وقد ركز الملك بشكل واضح على الاهتمام بالصناعات التي تدخل فيها المنتوجات الزراعية كمواد اولية، [٤٥] وفي مقدمة ذلك صناعة النسيج والدباغة والصابون والورق، ثم بعد ذلك الاسمنت، ودعا الحكومة الى حماية المنتوجات الوطنية، بزيادة الضرائب على المصنوعات المستوردة.

وقد خطى الملك في هذا الجانب خطوات عديدة، اذ وافق على منح سلف للمصانع والشركات الاهلية كشركة حلج الاقطان وشركة فتاح باشا للغزل والنسيج وبعض المصانع الاهلية الصغيرة. [٤٦]

وكان يبدي رأيه في الضوابط التي يجب وضعها في منح السلف؛ [٤٧] وفي خصوص حماية الصناعات الوطنية جاء في مذكرة الملك المشار اليها سابقاً «اعتقد ان من الضروري اعادة النظر من جديد في موقفنا الاقتصادي، نرى جيراننا الاتراك والايرانيين باذلين اقصى جهودهم للاستغناء عن المنتوجات الاجنبية، وكم هي العقبات التي وضعوها لمنع دخول الاموال الاجنبية بلادهم، وكيف لايبالون بصرف الاموال الطائلة لانشاء المعامل لسد حاجتهم». [٤٨]

وكان الملك كثيراً مايزور المصانع اثناء جولاته وزياراته الرسمية للدول، كما حدث اثناء زيارته لبريطانيا وايران وتركيا. وكان يلتقي باستمرار برجال الاعمال

٤٤- م.و.و.، م/١٣، ١٤٠٣وع، الحالة الاقتصادية، كتاب الديوان الملكي الى سكرتير مجلس الوزراء في ١/١/١٩٢٤ ورقة ٥-١٢ .

٤٥- المصدر نفسه .

٤٦- م.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ١٤١٩و/ع، تشجيع الصناعات الوطنية ورقة ١٤٥ .

٤٧- المصدر نفسه، ورقة ١٣٦ .

٤٨- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص٣٢٢

الاجانب ويتناقش معهم حول المواضيع الاقتضادية، حتى انه كان يستغل دعوات الطعام والحفلات لعرض اوضاع العراق الاقتصادية.(٤٩)

وفي المجالات الاقتصادية الاخرى، اكد الملك اهمية العمل على استخراج المعادن والبحث عما في الارض من كنوز معدنية كالذهب والفضة والحديد، وعدم الاعتماد على النفط، واكد اهمية وجود خبراء في هذا المجال.(٥٠) كما اشار الى اهمية المواصلات، بصفتها شريان الحياة الاقتصادية، ودعا الى اعطاء اولوية لشق الطرق وخطوط السكة الحديد في المنطقة الشمالية، وحدد اولوية الطرق التي يجب انشائها. فذكر ان خط سكة حديد حيفا ـ بغداد ـ خانقين ثم الى طهران على المدى البعيد، يجب ان يعطي الاولوية، ويأتي بعده خط سكة حديد.. الموصل ـ حلب ـ اسطنبول. واكد ان العراق لايمكنه ان يعيش في رخاء، اذا لم يتخلص من الاجور الباهضة للنقل البحري، ويربط العراق بسوريا ومصر والحجاز باسطنبول واوربا عن طريق دمشق حلب، عندها ستقل قيمة البضائع الى النصف.(٥١)

واكد الملك ان انجاز خط سكة حديد بغداد سيجعل العراق على مسافة بضع ساعات من البحر الابيض المتوسط، وستفتح امام العراق «باباً في الخارج هو في اشد الحاجة اليه.»(٥٢) كما دعا الى الاهتمام بالمصارف وتقديم الخدمات السياحية وخصص لميزانية عام ١٩٣٢، ٥٠ ألف دينار لهذا الغرض.

وقد ظهرت اهتمامات الملك الاقتصادية واضحة من خلال التقرير الذي كتبه اثر حدوث الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩، وماتركته من اثر على العراق وقد اشرنا الى بعض مقترحات الملك التي تضمنها تقريره هذا، عند عرضنا لموقفه من القضايا الاقتصادية اعلاه، وذكر الملك في مستهل تقريره انه فكر اثناء زيارته لاوربا ومحادثاته مع رجال المال، في وضع حد للازمة المالية، واثرها على «الكارثة التي حلت

٤٩ـ صحيفة الشعب الدمشقية، نقلاً عن العراق ١٥/٦/١٩٣٣.

٥٠ـ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، ٢/١١، ١٤١ـوع، التقارير المالية، تقرير الملك عن الازمة المالية، ورقة ١٣٣ـ١٥٩.

٥١ـ المصدر نفسه.

٥٢ـ الاستقلال ١٧/٧/١٩٣٣.

ببلادي العزيزة» واعتقد ان خير وسيلة لذلك هوالعمل على :ـ

١ـ الاكتفـاء الذاتـي

٢ـ وقـف استـيراد المنتـوجات والمحـاصيل الاجنـبية

٣ـ غـزو الاسـواق الاجـنبيـة

واشـار الى ان سيـاسـة الـدول الغـربيـة أبعـد ماتكـون عن التعـاون مع البلدان الاخرى، كما تدعي، بل ان غايتها الهيمنة على الدول الضعيفة «وليس لدينا برهان على هذه الحقيقـة اسطـع من غارة الامـريكين على سوق السيارات الاوربية وانتشار معـامـل فورد في القـارتين الاوربيـة والاسيوية، لصنع السيارات فيهما وهذه المعامل الصناعية هي اشبه في غزوها اسواق التجارة بالقواعد الحربية في غزو البلدان، اذ انه في النتيجة لافرق بين قواعد الغزو الصناعية، وبين القواعد العسكرية، التي تتخذها الامم عادة للاستيـلاء على ممـالـك غيـرهـا». واكد ان زيادة الانتاج في اوربا بفعل التقـدم التقني ـ عدا فرنسـا وانكلترا ـ ادى الى المطالبة بزيادة المستعمرات وبالذات المـانيـا وايطـاليـا، وان الـدول التي ستصبـح تحت الهيمنـة الاقتصـادية هي الدول الـزراعيـة التي تستـورد احتيـاجـاتهـا «ومن المؤلم ان تكون بلادي العزيزة من ضمن الممـالـك الـزراعيـة التي اشـرت اليها. الا ان املي لكبير في مجابهة الاخطار باقل ضرر» واكـد ان امكانية العراق الطبيعية ومنها النفط ستمكنه من مواجهة الازمة، واشار الى ان الخبـراء اتفقـوا على ان السبب الـرئيسي للكـارثـة هو ازدحـام المصنـوعـات والمنتـوجـات بسبب اقـدام المنتجين على استثمار الاموال والاراضي الى اقصى حد ممكن دون حساب للعرض والطلب، وان غايتهم الاساسية كانت الربح.

ومن الاسبــاب الاخـرى حسب اعتقـاده «عـزلـة روسيـا والصين وغيـرهمـا من الممالك بداعي الثورات الداخلية فيهما، واحوالها الخاصة التي جعلت مايقرب من ربـع البشـر لمـدة غيـر قصيـرة خارج الاسـواق العـالمية»،ثم سرعان مااغرقت روسيا والاسـواق بالمنتجـات. واكـد ان امـريكـا تفـرض ضرائب عالية على ماتستورده من الخـارج، في الـوقت الـذي تغـزو بضـائعهـا الدول الاخرى، واكد ضرورة ان يهتم العـراق بالصنـاعـة الـوطنية ودعا الجميع الى العمل على هذا النهوض، وان الشعب يتحمـل جزء من هذه المسؤوليـة وليس الحكـومة وحدها «والمعـالجة الصحيحة لاتتم

الا بالتـآزر مابين الحكـومـة والشعب لانعـاش الحـالـة» وان دور الحكومة هو تحديد النفقات مع مراعاة تسيير شؤون المملكة على اساس متين، لان اي خلل في اجهزة الـدولـة سيحـول دون سيرهـا بشكـل منظم وتأمين الـرفاهية للشعب، وان الحكومة الـوطنيـة عندما تشكلت «وجدت نفسها امام تشكيلات ضخمة من جهة لكنها ناقصة من جهـة اخـرى،فكـانت الميـزانية بمبالغها العظيمة تنفق على الدوائر الضخمة دون الالتفـات الى العجـز المـالي» رغم عدم وجـود الجيش وضعف الشـرطـة والمعارف والقضـاء. وبـدأ الوضع بالتحسن تدريجياً الى ان حلت كارثة ١٩٢٩. وقد بوشر بعد ذلـك بخفض ميـزانيـة الـدولـة تلافيـاً للعجز. واشار الملك الى انه تم استدعاء خبير اقتصـادي، واستقـر الرأي على ترشيق دوائر الدولة والحد من ملاكاتها، مع الاحتفاظ بالامن لانـه اسـاس سيـر البـلاد. وبـدأ بالري والاكتفاء بقسم من هيئة المهندسين وتشكيلات سدة الهندية. اما الاشغال العامة، فقد تقرر اغلاق دائرة الاشغال العامة بكاملها وعدم القيام باي عمل جديد سواء في الطرق او الابنية ـ عدا طريق راوندوز ـ وتخفيض الـرواتب وعـدد المـوظفين مع الاحتفـاظ بالجيش والشرطة، والعمل على زيـادتهـا، ثم انعـاش المـوارد الزراعية والصناعية، وتثبيت العملة العراقية، واكد ان لاقيمـة للامـة التي تنفق اكثـر من وارداتهـا، لانهـا ستكـون محكومة بالافلاس، وان العراق غني بموارده، وبامكانه ان يستوعب اكثر من ٤٠ مليون نسمة يعيشون بشكل طبيعي من حيث تأمين الغذاء لهم، اذا ما استغلت موارده بشكل جيد «ان الاقتصاد الـوطني هو كجسم الانسـان مركب من اعضـاء مختلفـة لكـل عضـو منها عمل معين يجب ان يقوم به، فاذا حصل لاحدهما شلل تأثرت بقية الاعضاء»[٥٣].

ودعـا الملك عام ١٩٢٤ ابتـداء من السنـة المـاليـة الجـديـدة تقليص نفقـاتـه الشخصيـة الى النصف. ودعـا الوزارات الى الاقتداء بذلك.[٥٤] وقد شبهت جريدة

٥٣ـ م.و.و. ، ملفـات البـلاط الملكي، م/١١، ١٤١ـوع، التقـاريـر المـالية، تقرير الملك عن الازمة المالية، ورقة ١٢٣ـ١٥٩.

٥٤ـ م.و.و. ، ملفـات البـلاط الملكي، م/١٥، ١٤٢٤ـوع، الحالة المالية والديون الحكومية، كتاب الديوان الملكي ر/١٠/٦٩٤ في ١٤/١/١٩٢٤ الى سكرتير مجلس الوزراء، ورقة ٢٠.

العراق فيصل بمحمد علي من حيث اهتمامه بالاقتصاد.[٥٥]

كما دعا الملك الى مساهمة المرأة في العمل فحين سألته الصحفية بيتي روز فيما اذا كان الشعب يحتاج الى معونة النساء اجابها «هل يستطيع من قطعت احدى يديه ان يعمل كما يعمل بالاثنين»[٥٦]

٣- التعـليم

كان الملك يرى في التعليم اساس كل تقدم ينشده بلد من البلدان، وتصبوا اليه الشعوب التي لاتزال في بداية النهوض، وكان يعتقد ان نجاح العرب لايمكن ان يتحقق بدون العلم.[٥٧] وقد ظهر اهتمام الملك بالتعليم من خلال حديثه وممارساته العملية، في هذا الجانب، ففي لقائه مع اعضاء مؤتمر التربية الاول الذي عقد في بغداد في نيسان ١٩٣٢، خاطب الملك المؤتمرين بقوله «تأكدوا ان العمل الذي تقومون به هو اعظم من عمل الملك واعظم من عمل الوزير - تصفيق حاد - وان اي عمل نقوم به من اجل شعبنا لايرتقي الى مستوى العمل الذي يقوم به التربيون»[٥٨].
وقال في مناسبة اخرى، ان على المعلمين ان يثقوا بأني والدهم، واني قائدهم، واني احدهم، ولولم تكن على مسؤوليات في الدولة لما ترددت ان اكون معلماً في اقصى قرية عراقية.[٥٩]

وقد اولى الملك عناية خاصة بانشاء «جامعة آل البيت» عام ١٩٢٢، فوضع حجر الاساس بيده، وكانت احدى الغايات من انشاء هذه الجامعة العمل على تقارب وجهات النظر بين المذاهب الاسلامية، ووضع حد للخلافات المذهبية، التي كانت قائمة آنذاك الى حد كان يهدد الوحدة الوطنية، وقال الملك بمناسبة وضع

٥٥- العراق، ١٩٢٩/٣/٦.

٥٦- العراق، ١٩٣١/٨/٤.

٥٧- امين محمد سعيد، ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ص٧٥.

٥٨- العراق، ١٩٣٢/٤/١٦.

٥٩- العراق، ١٩٣٢/٤/٢٩.

الحجر الاساس «كل عمل لايشيد على اساس متين مثل هذا الاساس لاتقوم له قائمة وها اني اضع الحجر الاساس في اول جامعة تشاد في هذا البلد، واومل ان تقدرها الامة العزيزة حق قدرها، وتغنى بتأسيس الجامعات الكثيرة امثال هذه، وارقى منها، لتستعيد مجدها التاريخي القديم وتتسنم غابر عزها الخالي في العلم والادب والفن»(٦٠)

وكان يتابع باهتمام انجاز المشروع، وطلب ان يكون باعظم مايمكن من السرعة. وبعد الانتهاء منها طلب الى وزارة الاوقاف تأليف لجنة من المختصين لوضع نظام للجامعة على طريقة حديثة.(٦١)

وفي احدى زياراته للمدرسة المأمونية سجل الملك اسمه ضمن اعضاء الهيئة التدريسية،(٦٢) وتبرع بـ١٥٠ روبية من راتبه الشهري الى مدرسة التفيض لسد احتياجاتها،(٦٣) كما تبرع بـ٣٥٠ روبية الى مدرسة الغرى.(٦٤) وحين زار المعهد العلمي اوصى بتزويد المعهد بجهاز سينما وتبرع بالجائزة الاولى «الف روبية» للفائز الاول بالمسابقة العلمية التي اجراها المعهد، وقد تنكر ذات مرة وزار «مدرسة الامين» في الفضل وبناية المعهد العلمي في الكرخ،(٦٥) واوصى بزيادة مخصصات وزارة المعارف حسب ماتسمح به الميزانية، واكد ان الاهتمام بالمعارف لايقل عن الاهتمام ببقية شؤون البلاد.(٦٦)

كما دعا الى تحرير المرأة وتعليمها وتثقيفها. ففي حديثه للصحفية «بيتي روز» الذي نشرته جريدة «بيبل» اللندنية قال الملك «قد يجوز انك سمعتي اورأيتي في متاحف القارة الاوربية بعض ادوات صنعت من الفضة، وكانت توضع في افواه

٦٠ـ ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ج١، ص٩٢ـ٩٣.

٦١ـ المصدر نفسه، ص٤٢٠.

٦٢ـ العراق، ١٣/٥/١٩٣٢.

٦٣ـ العراق، ٥/٧/١٩٢٦.

٦٤ـ العراق، ٨/١/١٩٢٣.

٦٥ـ الاستقلال، ٣/٢/١٩٢٤.

٦٦ـ الاستقلال، ١٢/٧/١٩٢٦.

النساء لمنعهن من الكلام، وربما لاحظتي ان هذه الادوات تمتد الى الرأس بقطعة من الحديد في اعلاه قفل ومفتاح لكي تقفل فلا تنزع : ان هذه الادوات كانت مستعملة في العصور الوسطى، ولكنها اصبحت الان نسياً منسيا . . . . . ». واكد ان المرأة كلما ازدادت علماً وثقافة ازدادت مقدرة على اسعاد الرجل، لهذا اهتم العراق بتعليم الفتيات وارسل بعضهن الى الخارج لاكمال دراستهن الجامعية.[٦٧]

ويذكر امين الريحاني ان فيصل كان من اكبر ملوك العرب «غيرة على الثقافة وله في بث روح العلم والمعرفة، وفي تشجيع الادب والمشاريع التهذيبية في الامة، الفضل الذي سيجعل عهده ولاشك ذهبياً مجيداً».[٦٨]

٤- مشكلة الموصل

كانت مسألة مطالبة الاتراك بلواء الموصل، واحدة من اخطر المشاكل التي واجهت الدولة العراقية الحديثة، وقد ابدى الملك اهتماماً كبيراً جداً بهذه المسألة، لانها اساس وحدة البلاد الوطنية، التي حرص فيصل على صيانتها، كما ان مكانة نظام الحكم الملكي يشكل عام من الناحية الاعتبارية، في الاقل كانت تعتمد على حسم هذه المسألة، وقد اكد فيصل في زيارته الموصل في تشرين الاول ١٩٢٥ ان فصل الموصل عن العراق، ضربة هائلة من شأنها ان تؤخر البلاد، وتشل حركة التقدم فيها، وانها ستكون سبباً في ان يبذل العراق مصاريف حربية جديد[٦٩]. وكان يعني ان العراق لن يتردد في استرجاع اللواء بالقوة، وذكر لمراسل الاهرام انه «من الصعب دخول البيت من باب يرابط فيه الجنود ».[٧٠] لكنه استبعد ان يهاجم الاتراك الموصل وذلك بسبب مشاكلهم الداخلية.[٧١] واكد ان الموصل غير تركية من جميع النواحي

٦٧- العراق، ١٩٣٣/٨/٤ .

٦٨- امين الريحاني، المصدر السابق، ص٩٢٠ .

٦٩- الاوقات البغدادية، ١٩٢٥/١٠/١٤ .

٧٠- العالم العربي، ١٩٢٥/١١/٦ .

٧١- العالم العربي، ١٩٢٥/٤/٢١ .

القـومية واللغـويـة والعـادات. [٧٢] واشـار في مناسبة اخرى ان الاتراك حاولوا خداع العـالم بادعـائهم ان اكثـريـة سكان الموصل من الاتراك رغم انهم يعرفون جيداً «ان العـراق قطر لايتجـزأ، وان الموصل واطرافها لاتختلف عن بغداد والبصرة في الدين والوطنية».كما دعا تركيا الى نسيان «الحزازات» القديمة، [٧٣] باعتباره كان احد الذين ثاروا على دولـة الاتـراك. وكـان الملك يعتقـد ان ضيـاع المـوصـل خطـر كبير على فلسطين، لأن ذلك سيشجع الاتراك على التعاون مع ابن سعود الذي سيضم بدوره الاردن، الامـر الـذي سيؤدي الى ضيـاع فلسطين وبالتالي تهديد قناة السويس الامر الذي يسبب خسارة لبريطانيا. [٧٤] ويبدو ان الملك ذهب بعيداً جداً في تحليلاته.ولم يكن من الناحية العملية بيد فيصل، مايمتلكه ليبقى الموصل جزءً من العراق، اذ ان القضية كانت تعتمـد على جهـود بريطـانيـا التي وجـدت ان مصلحتهـا تقضي ضم الموصل الى العراق، كي تبقى منابع النفط تحت سيطرتها. وقد سبقت الاشارة الى محـاولات الاتـراك، اغـراء بريطـانيـا بمنحهـا امتيازات نفطية سخية، اذا ماعطتهم المـوصـل. وكـان الملك مطمئناً الى حدما من ان المسألة ستحسم لصالح العراق، واكـد ذلـك في كلمـة القـاها في حشد من الناس في الكاظمية، اذ ذكر انه من خلال زيـارتـه لاوربـا وجد ان المحافل السياسية الى جانب العراق في نزاعة مع تركيا حول الموصل، واكد ثقته بالشعب وبريطانية [٧٥]

ان كل مااستطـاع ان يعمله الملك من النـاحيـة العمليـة لضمـان بقاء الموصل ضمن العراق، هو انتدابه جعفر العسكري ـ احد ابرز المخلصين له لتمثيل العراق في مؤتمـر لوزان [٧٦]، عام ١٩٢٢، الـذي عقـد بين تركيـا ودول الحلفـاء، لمنـاقشـة المشـاكـل التي ترتبت عليهـا الحـرب العالمية الاولى، ومنها مشكلة الموصل. كما

٧٢ـ فاضل حسين، مشكلة الموصل، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٧، ص٢٨٧.

٧٣ـ العراق، ١٩٣٠/٥/٣٠.

٧٤ الاوقاف البغدادية ١٩٢٥/١٠/٢.

٧٥ـ العالم العربي، ١٩٢٥/١١/٢٢.

76- British Report, 1922- 1923, P.27.

رفض الملك السفر الى خارج العراق لتسوية المسألة،[٧٧] وسعى لمقابلة لجنة الحدود، [٧٨]وسلمها مذكرة اكد فيها ان الموصل هي مسألة حياة اوموت بالنسبة للعراق الذي ستشيع فيه الفوضى اذا اقتطع منه اللواء، الامر الذي سيحول دون استثمار رؤوس الاموال الاجنبية فيه. واشار في نهاية المذكرة الى ان «الموصل للعراق كالرأس للبدن وان مشكلة الموصل هي مشكلة العراق باجمعه»[٧٩]، كما ابرق الى رئيس اللجنة «دي فيرسن» مؤكداً ثقته بنوايا اللجنة، الظاهرة التي تملأ العراق امالاً بتحقيق مطاليبه، التي تتوقف عليها سلامته وسعادة شعبه.[٨٠]

٥- القضية الكردية

يتلخص موقف الملك فيصل من القضية الكردية في تأكيد ضرورة بقاء المنطقة الكردية جزء لا يتجزء من العراق في اطار «الحكم الذاتي» وكانت له قناعة تامة في ان يتمتع الاكراد بكامل حقوقهم الوطنية والقومية، واكد الملك للشيخ محمود في آب عام ١٩٢٣ انه مع سياسة منح الاكراد حكماً ذاتياً في اطار الدولة العراقية[٨١]. وتذكر بيل ان فيصل تلقى العديد من الرسائل التي بعثها اليه شيوخ العشائر الكردية مطالبين باستقلال كردستان تحت رئاسة فيصل وحماية بريطانيا.[٨٢] لهذا نرى وقوف فيصل الى جانب اجراءات الحكومة في تصديها للحركات الانفصالية في الشمال. وفي الوقت نفسه كان يؤكد مراعاة المشاعر القومية للاكراد، وقد ذكر علي جودت الايوبي في مذكراته ان الملك «اكد اكثر من مرة ضرورة تمتع الاكراد بكامل حقوقهم في الحرية والثقافة والاجتماع والتربية وفي ممارسة لغتهم وتقاليدهم الوطنية، اذ بذلك

77- Burgoyne, op- cit, p.371 .

٧٨- العالم العربي، ١٩٢٥/١/٢٢ .

٧٩- فاضل حسين، المصدر السابق، ص٦٠-٦١ .

٨٠- العالم العربي، ١٩٢٥/٣/٢٥ .

81- Burgoyne, op. cit., p.306

82- Ibid, p.245 .

يكـونـون مواطنين مخلصين للدولـة العراقية التي هم ركن من اهم اركانها »[٨٣]. وفي خطـاب القـاه في مدينة السليمانية في حزيران ١٩٣٣، ذكر عبارته المشهورة «الدين لله والـوطن للجميـع» وانـه لايميـز بين ابنـاء الشعب العـراقي على مختلف قومياتهم «والوطن لنا جميعاً، فهذه الجبال والوديان هي ملك لباقي سكان الوية البلاد العراقية الاخرى. كما ان كل شبر من تلك الالوية لسكان هذا اللواء».

واكـد سيـاستـه القـائمة على اساس احترام الديانات والعادات والتقاليد، وحرية اختيار لغة التعليم. وشبه اولئك الذين يشذون عن هذا النهج، بابن النبي نوح.[٨٤] وقـد اصـدرت الجكـومـة العـراقية قوانين سمحت للاكراد باختيار اللغة التي يريدون التعلم بهـا، واكـد الملك في الكلمـة التي القـاها اثناء اقامة مأدبة للمندوب السامي «انني اعتقـد ان من اعظم واجبـات العـربي العـراقي تشجيـع اخاه الكردي العراقي للتمسك بقوميته، والانضمام تحت الراية العراقية»[٨٥].

ان موقف الملك الصائب من القضية الكردية يعود الى ذكائه وحنكته السياسية. فان تجـربتـه مع الاتـراك وسيـاستهم العنصـرية دفعت ابناء القوميات غير التركية الى الثـورة ضدهم. وقـد اشـار الملك الى هذه الحقيقـة بقـولـه «تمـزقت الامبـراطورية العثمـانيـة لان سيـاستها قومية تعصبية، وعليه فان العراق لن ينتهج مثل هذه السياسة تجاه الاكراد»[٨٦].

٨٣ـ علي جودت الايوبي، المصدر السابق، ص١٧٧

٨٤ـ العراق، ١٩٣١/٩/١٥

٨٥ـ م.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ج/٩، ٢٨٠ـوع، المفاوضات والمعاهدات، ورقة ١١٢-١١٣.

٨٦ـ المصدر نفسه.

سياسة الملك الخارجية

١ـ العلاقة مع الاقطار العربية

أـ السعودية : ـ شهدت العلاقات العراقية ـ السعودية في فترة حكم الملك فيصل شيئاً من التوتر بسبب المشاكل الحدودية، التي تزامن بعضها مع المواقف المحرجة التي مر بها العراق، اثناء المفاوضات مع بريطانيا، كما حدث عامي ١٩٢٢، ١٩٢٧، ومما زاد من توتر العلاقات، الخلاف بين عبد العزيز بن سعود والشريف حسين والد الملك فيصل، ذلك الخلاف الذي انتهى بازالة مملكة الحجاز الهاشمية،وخروج الشريف حسين ومن بعده ابنه علي، لكن هذا لم يمنع الملك من العمل على بناء علاقات جيدة مع آل سعود.

اولى المشاكل الحدودية مع العراق وقعت في كانون الاول ١٩٢٠، واستمرت خلال عام ١٩٢١ . مما دفع فيصل الى حث برسي كوكس على وضع حد لهذه المشاكل، وذلك قبل تولية العرش بعشرين يوماً، اعتقاداً منه بان ابن سعود يروم ضم العراق وشرق الاردن والحجاز الى مملكته .[٨٧] وقد اشتدت المشاكل بعد اعتلاء فيصل عرش العراق .[٨٨] ورغم تعهد الملك لابن سعود باعادة ماأخذته العشائر العراقية من عشائر نجد، من اموال واغنام، فان الحال استمرت على ماكانت عليه .[٨٩]

كانت سياسة فيصل تجاه تلك المشاكل تقوم على اساسين، الاول الاستعداد الدائم لمواجهة الغارات، واتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك ببناء المخافر الحدودية،[٩٠] فضلا عن اعداد جيش يأخذ على عاتقه التصدي للغارات، والثاني تحديد الحدود بين الطرفين، ومعرفة رغبة عشائر المنطقة فيما اذا ارادت الانضمام

٨٧ـ صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص٦٩ .

٨٨ـ المصدر نفسه . ص٧٢ .

٨٩ـ المصدر نفسه . ص٦٩ .

٩٠ـ م . و . و . ، ملفات البلاط الملكي، ة/ ١/٥ ، ٨٨١ـوع، غزوات الاخوان، كتاب هنري دوبس الى رئيس الوزراء، بي/او، ٩٦ في ١٩٢٨/٣/٢٨ ، ورقة ٨١ـ٨٢ .

الى العراق او السعودية.[91] وقد احاط الملك فيصل، السير برسي كوكس علماً بموقفه هذا، وقد اثمرت مساعي فيصل، وبدعم من بريطانيا، توقيع معاهدة المحمرة بين الجانبين في مايس ١٩٢٢، كخطوة لانهاء الخلاف، اذ تضمنت اتخاذ تدابير مشتركة ضد العناصر التي كانت تثير المشاكل على الحدود، فضلا عن تحديد خط الحدود.[92] وقد بعث الملك برسالة تهنئة الى ابن سعود بهذه المناسبة وتمنى ان تكون بداية لعلاقات اخوية جديدة. واكد الملك لابن سعود سعيه، لازالة سوء التفاهم، رغم الخلاف القائم بين العائلتين الهاشمية والسعودية، والذي يحاول «المفسدون والمنافقون» استغلاله لاطماعهم.[93] لكن ابن سعود سرعان مارفض توقيع المعاهدة، باعتبار ان مندوبه تجاوز الصلاحيات المخولة له.

في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٢، التقى كوكس بابن سعود في العقير وقد رافق السيد صبيح نشأت، برسي كوكس، ممثلاً للملك فيصل وكان يحمل معه رسالتين الى ابن سعود من الملك، الاولى تعرفه بحاملها والثانية اوضح فيها رغبته في بناء علاقة طيبة مع نجد. وكان صبيح نشأت يحمل توكيلاً من الملك لعقد اتفاق مع نجد.[94] وقد توصل الطرفان الى اتفاق اقتضى بموجبه توقيع ابن سعود على معاهدة المحمرة، وملحق بروتوكول العقير. حدد الاول خط الحدود بين الدولتين، والثاني نص على عدم تعرض الحكومة العراقية بعشائر نجد القاطنة في المنطقة الحدودية.[95] وقد اعقب ذلك صفاء العلاقات بين الجانبين، اذ تبادل الملك وابن سعود العديد من برقيات المجاملة.[96] لكن الموقف سرعان ماتوتر بين الطرفين، اذ ان ضبط حركة

٩١- صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص٨٩.
٩٢- المصدر نفسه، ص٩٩-١٠٠.
٩٣- م.و.و.، ملفات البلاط الملكي، ة/٤/٥أ، ٨٦١-وع، الحدود العراقية - السعودية، رسالة من الملك فيصل الى ابن سعود في ١٩٢٢/٧/٢٧، ورقة ٩١-٩٢.
٩٤- صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص١١٣.
٩٥- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ص١٥١-١٥٣
٩٦- صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص١٣٤.

العشائر، ليس بالمسألة الهينة. وقد اتهم ابن سعود الحكومة العراقية، بعدم تنفيذ ماااتفق عليه بخصوص قبيلة شمر، وترغيبها بالبقاء في الاراضي العراقية، فطالب باخراج القبيلة، وصرح بانه وقع معاهدة المحمرة مكرهاً.

حاول برسي كوكس تهدئة ابن سعود، فاشار على الملك فيصل بأن يتعهد لابن سعود باعادة ماأخذته شمر من قبائل نجد، اما فيمايتعلق باعادتها الى نجد فانها مسألة صعبة كون القبيلة منتشرة في منطقة صحراوية، لكن الملك رفض ذلك واكد ان ابن سعود ليس له اي حقوق «اللهم الا اذا كان يدعي بارث خلافة الامويين والعباسيين. . . . والذي لفت نظري هو مارأيته من الصراحة في كتابه، بأنه يعتبر نفسه في حل من المعاهدة مالم تجبه حكومة العراق الى كل مطاليبه بشأن شمر، زاعماً ان العراق اخل بالمعاهدة لانه لم يسلم شمر اليه. وهذا يدل على انه لم يقرأ المعاهدة جيداً»[٩٧]. واكد الملك ايضاً ان ابن سعود توسع كثيراً على حساب المناطق العربية المجاورة، فبعد الحرب العالمية الاولى بفترة قصيرة كان يحكم نجد، فقط واصبح الان يحكم اراضي تبلغ مساحتها ثلاثة اضعاف مساحة نجد.[٩٨] كما كتب اليه مطالباً عدم التجاوز على حدود شرق الاردن «إذ موقفي حرج للغاية» وطلب منه تحديد موعد لاجتماعهما للنظر في المسألة، واعرب عن امله في وضع حد للمشاكل القائمة وعدم فسح المجال «لايقاد نار لانعلم ماذا تكون نتائج تخريباتها»[٩٩].

وجد هنري دوبس ان خير وسيلة لحل الخلاف، هو التقاء العاهلين، لكن وزارة المستعمرات البريطانية عارضت ذلك خوفاً من توصلهما الى اتفاق نهائي، يتعذر بعده تدخل بريطانيا في شؤون المنطقة، وهذا مالايريده المسؤولون البريطانيون. ثم جاءت فكرة عقد مؤتمر جديد. لكن ابن سعود بدأ يماطل في ذلك، وقد فسر فيصل هذا التصرف برغبة ابن سعود باحتلال المدينة المنورة ليفاوض من موقع القوة. ورجا

٩٧ـ م. و. و، ملفات البلاط الملكي، ة/٤/٥ ج، ٨٦٣ـوع، الحدود العراقية ـ السعودية، رسالة من الملك فيصل الى هنري دوبس، في ١٩٢٣/٩/٢٨، ورقة ٨٣ـ٨٤ .

٩٨ـ صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص١٤٣ .

٩٩ـ م. و. و. ، ملفات البلاط الملكي، ة/٤/٥ ج، ٨٦٣ـوع، الحدود العراقية ـ السعودية، برقية من الملك فيصل الى ابن سعود برقم ١٧٠ في ١٩٢٣/٨/٢٥، ورقة ٣٤ .

دوبس ان يبلغ ابن سعود عدم مسؤولية الحكومة العراقية عن رعاياه الموجودين داخل الاراضي العراقية، اذا لم يقدموا ولاء الطاعة للحكومة واكد الملك لدوبس ان سياسة اللين التي اتبعتها الحكومتان البريطانية والعراقية تجاه نجد، هي التي دفعت بالاستمرار في اثارة المشاكل،[100] ورأى ضرورة تسليح العشائر واعدادها لرد التجاوزات.[101] وقد عارضت بريطانيا ذلك اول الامر، لكن دوبس سرعان مااستوصب الرأي.[102] كما اكد الملك كثيراً على مسألة انشاء مخافر حدودية، حتى انه استفسر من مجلس الوزراء، عن سبب اخلاء المخافر دون علمه وطلب اجراء تحقيق في الموضوع، ومعاقبة المقصر،[103] وحذر من وقوع تجاوزات وهابية محتملة،[104] وطالب بارسال نسخ من خطط الدفاع عن البصرة، كي يكون على علم بدرجة الاستعداد للدفاع عن المدينة.[105]

لكن هذا لم يمنع فيصل من الاستمرار في سعيه لحل المشاكل بالطرق السلمية، ورغم الموقف المتصلب لابن سعود ازاء مملكة الحجاز واصرارها على ازالتها وهو ماحدث بالفعل، فقد كان فيصل ينطلق من الشعور بالمسؤولية تجاه بلاده، وفي هذا الخصوص يذكر توفيق السويدي، بانه كان من الصعب على فيصل وغيره من ابناء العائلة الهاشمية التوفيق بين احساسه كعضو من عائلة حرمت من حكمها في الحجاز، وبين احساسه كملك يدير سياسة تختلف اختلافاً واضحاً عن سياسة والده او شقيقه علي الذي اجبر على التنازل عن عرشه في الحجاز «والظاهر ان

١٠٠ـ صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص١٥١.

١٠١ـ المصدر نفسه، ص١٨٨

١٠٢ـ م. و. و. ، ملفات البلاط الملكي، ة/٥/١، ٨٨١ـ وع غزوات الاخوان، كتاب من هنري دوبس برقم بي/او ٣٤٤ في ١٩٢٨/٩/٢٨ الى رئيس الوزراء، ورقة ٢٣٦.

١٠٣ـ المصدر نفسه، كتاب من الديوان الملكي، ء/٢٤٧، في ١٩٢٨/٧/١٦ الى سكرتير مجلس الوزراء، ورقة ١٠٤.

١٠٤ـ المصدر نفسه، كتاب البلاط الملكي، ء/٢٦٤ في ١٩٢٨/٧/٢٢، الى سكرتير مجلس الوزراء، ورقة ١١٩.

١٠٥ـ المصدر نفسه، كتاب الديوان الملكي ف/٤ في ١٩٢٨/٧/٢٣، الى وزير الدفاع، ورقة ١٢١

حكمة جلالة فيصل الاول وقوة اعصابه تغلبت على ماكان يسمعه بصورة مستمرة من شكوى اخيه الملك علي، او من كان يلوذ به من البطانة»[١٠٦]

هكذا رفض فيصل محاولات فيصل الدويش - احد اتباع ابن سعود - الذي اختلف معه، للتعاون معه ضد ابن سعود، بل انه اعرب عن رغبته الملحة بالالتقاء بابن سعود.[١٠٧] وكانت رغبة فيصل ان يجتمع به في منطقة الحياد بين البلدين، لكن ابن سعود اراد الاجتماع بفيصل في «وفرة»، ويبدو ان كلا العاهلين وجد ان تجشم عناء السفر الى منطقة بعيدة عن مقر حكمه ليلتقي بالاخر قد يؤثر على سمعته، واخيراً استقر الرأي على التقاء العاهلين على ظهر الباخرة البريطانية «لوبون».

في العشرين من شباط ١٩٣٠، غادر الملك الى البصرة، ومنها الى عرض الخليج العربي، حيث التقى بابن سعود على ظهر «لوبون» وقد عانق كل منهما الاخر، وكانا يتناديان بكلمة اخي. وذكر فيصل لابن سعود «لست الان فيصل بن الحسين يحدث عبد العزيز بن سعود. انما انا ملك العراق وانت ملك الحجاز ونجد، فاذا كنت تنظر لي في اجتماعنا هذا بصفتي الشريف فيصل بن الحسين الذي كان بينك وبينه ماكان فانك تحتقرني»، وذكر له فيصل ان خلافهما لوكان شخصياً، فالامر هين، اما ان يجر خلافهما العرب لقتل بعضهم البعض، فالمسألة في غاية الخطورة.[١٠٨] وذكر له ايضاً ان بريطانيا كانت في السابق تعمل على ازالة سوء التفاهم بينهما «اذا وقع الان سوء تفاهم فالذنب يقع علينا»[١٠٩]

كان رد ابن سعود ان اقسم بالله بانه لايحمل ذرة بغض لفيصل، وسأل الله ان - فق الجميع لخدمة العرب.[١١٠] واكد فيصل للعاهل السعودي ان المخافر التي

١٠٦- توفيق السويدي، مذكراتي، ص٢٢٤.

١٠٧- صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص٣١٥.

١٠٨- المصدر نفسه، ص٣٢٦-٣٢٧.

١٠٩- العالم العربي، ٢٦/٢/١٩٣٠.

١١٠- صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص٣٣٦.

بناهـا العراق ستساعد على استتباب الامن في المنطقة الحدودية، مما سيعود بالنفع على البلدين، كمـا اتفقـا مبـدئيـا على بحث مسألة تسليم المجرمين، وعقد معاهدة لحسن الجـوار وتبـادل الممثلين الـدبلومـاسيين. وقد اخذ ماتم الاتفاق عليه، طريقه الى التنفيذ، الامر الذي جعل الملك في غاية الاطمئنان.

ب - ســوريــة

سعى فيصـل منـذ توليـه عرش العـراق الى تجنب اي صدام مع الفـرنسين في سوريـة، رغم موقفهم غيـر الـودي من مسألة توليه عرش العراق، وكانت سياسته تجاه سورية تقوم على اساس حث الوطنيين السوريين، للاقتداء بالعراقيين، وايجاد شيء من التفاهم مع الفرنسيين. وعبر اكثر من مرة عن اسفه لما حدث في سورية، وموقف «المتطـرفين» الـذي ادى الى انهيـار المملكـة السـورية، بعد معركة ميسلون. ووقوع البلاد تحت السيطـرة الفـرنسية المبـاشرة. وتشير تطورات الاحداث الى ان الملك فيصـل كان يسعى الى توحيـد سوريـة والعـراق تحت عرشه او تنصيب شقيقه «علي» ملكـاً على سوريـة، واذا ماتحقق ذلـك فانـه سيـرد اعتبـاره الشخصي واعتبار العائلة الهاشمية. وكان فيصل يكذب مثل هذه «الادعاءات»[١١١]؛ لكن واقع الحال كان يؤكد رغبـة فيصـل هذه،فقـد سبقت الاشـارة الى محـاولات الفرنسيين اغراء فيصل بعرش سوريـة مقـابـل تسـاهله في مسألة منح الامتيازات النفطية. كما رجح مراسل جريدة المقطم في باريس، احتمــال تولي فيصـل عرش سوريـة الى جانب عرش العـراق، وذكـر ان المشكلة التي تواجـه فيصـل، هي ان الـدستـور اقـر ان يكون نظام الحكم جمهورياً. واشار الى ان تغيير الدستور ليس بالمسألة الصعبة، كما اوضح انه كان من المتـوقـع ان يرشـح الاميـر علي شقيق الملك للعـرش، واشـارت جريدة فتى العرب الـدمشقيـة الى ان رئيس وزراء عراقي سابق صرح بان ترشيـح فيصـل لعرش سورية جاء بسبب حب السوريين له.[١١٢]

١١١ـ جريدة المقطم، نقلاً عن العالم العربي، ١٩٢٥/١١/٢٤.
١١٢ـ العراق، ١٩٣١/١٠/١١.

وهنـاك الكثيـر من الاشـارات التي توضـح شعبية فيصل في سوريا. فقد عطلت السلطات الفرنسية جريدة المفيد الدمشقية لانها احتجت على تجاوز احد المحامين على فيصـل. كمـا احتـج وجهاء المدينة على ذلك، وطالبوا معاقبة المحامي. [113] وكتب الصحفي السـوري ابـراهيم حسن الخطيب، ان الشعب السوري بايع فيصل ولاتـزال البيعـة في اعنـاقهـا ولن نقبـل بغيـره لعـرش سوريـا. [114] وذكر محمد امين الحسيني «ان الملكيـة تقـررت في سوريـة وسيعـود الملك فيصل عاهلها اليها». [115] وفي آب ١٩٢٥ منعت السلطـات الفـرنسيـة فيصـل من الالتقـاء بالصحفيين، ثم سمحت له بذلـك على ان لايتحـدث بالسيـاسـة. [116] كمـا منعتـه من النـزول في بيـروت، والمـرور بدمشق خوفـاً من التظـاهرات التي قد تحدث نظراً لنشاط العناصر المؤيـدة له. وذكـر فيصـل ان الفرنسيين طلبوا منه ان يسافر عن طريق تدمر - حمص، بحجة ان ظروفاً غير اعتيادية اقتضت ذلك. [117] وكتبت جريدة فتى العرب الدمشقية «ان وطنيـة فيصـل لم تكن موضـع شك في يوم من الايـام، والسـوريين الـذين عرفوا جلالته جندياً كبيراً من جنود الثورة الكبرى في سنة ١٩١٦ يقرون له ولاسرته القريشية المقدسة بصدق العاطفة ونقاء الضمير وشرف السعي وصدق العمل». [118]

أما فيما يتعلق بجهود فيصل من اجل استقلال سورية، ففي تموز ١٩٢٦، واثناء زيـارة الملك للاردن التقى ببعض الـزعمـاء الوطنيين السـوريين واكـد لهم اهميـة السـلام، واشـار الى مـا وصـل اليـه العراق، وتمنى ذلك لسورية، ووعدهم باستغلال علاقته الطيبة مع رئيس الجمهورية الفرنسية ورئيس وزرائها للتوصل الى حل للقضية السورية. [119]

١١٣- العالم العربي، ١٩٢٤/٨/١٩.

١١٤- العراق، ١٩٣٢/٣/٢٦.

١١٥- العراق، ١٩٣١/١٠/٢٣.

١١٦- العالم العربي، ١٩٣١/٨/٢١.

١١٧- العالم العربي، ١٩٢٥/٨/٢٥.

١١٨- العراق، ١٩٣١/٦/١٨.

١١٩- العالم العربي، ١٩٢٦/٧/٢٥.

وفي آب ١٩٢٦ خولت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري ـ الفلسطيني، الملك فيصل بالتحدث باسمها لدى الحكومة الفرنسية.[١٢٠] وقد اشارت جريدة المقطم الى ان الغاية من زيارة الملك لفرنسا في صيف ١٩٢٦، هي عرض القضية السورية،[١٢١] وان زيارته للندن بعد باريس هي لاتمام مباحثاته في العاصمة البريطانية.[١٢٢] وكذبت المقطم ان تكون غاية الملك المفاوضات حول عرش سوريا.[١٢٣] وقد زار عدد من الطلبة السوريين، فيصل في جنيف وشكروه على الجهود التي بذلها لحل القضية السورية.[١٢٤] واعرب فيصل لمراسل المقطم، بعد ذلك عن امله بانتهاء الثورة واستقرار الحال.[١٢٥] وقد فسرت «الديلي ميل» موقف فيصل هذا بانه محاولة لايقاف الثورة السورية التي اضرت بالعراق، اذ انها منعت الأجانب من السفر الى العراق عبر سورية.[١٢٦] وليس من المستبعد ان تكون الحكومة الفرنسية قد وسطت فيصل لايقاف الثورة.[١٢٧]

وقد استمرت سياسة فيصل في السعي لدى السلطات الفرنسية، للتفاهم مع الوطنيين السوريين. لكن هذه السياسة لم ترق لبعض الاوساط السياسية الفرنسية، اذ هاجمت جريدة «الاوريان»، فيصل لانه حرض السوريين على المطالبة بحقوقهم وهذا مناف للاخلاق السياسية على حد تعبير الجريدة. وقد ردت صحيفة القبس السورية على ذلك بقولها «ان حفيدتيي العرب وسلالة ملوك العرب ومثال الشهامة العربية والمجد العربي التليد، فيه من المروءة والوفاء والحنكة والدهاء والشمم

١٢٠ـ العالم العربي، ١٠/٨/١٩٢٦.
١٢١ـ العالم العربي، ٢٩/٨/١٩٢٦.
١٢٢ـ المقطم، نقلاً عن الاستقلال ٢٩/٨/١٩٢٦.
١٢٣ـ المقطم، نقلاً عن العالم العربي ٢٩/٨/١٩٢٦.
١٢٤ـ الأوقات البغدادية ١٣/١٠/١٩٢٦.
١٢٥ـ الاستقلال، ١٧/١٠/١٩٢٦.
١٢٦ـ العالم العربي، ١٩/٩/١٩٢٦.
١٢٧ـ الاستقلال، ١/٥/١٩٢٧

الاباء ماتطأطيء له الهام خشوعاً واحتراماً». [128]

وفي ايار ١٩٣٣ قررت مجموعة من الشباب الوطني السوري توقيع مضبطة لتوكيل فيصل عن القضية السورية. وجاءت الى دمشق وفود شبابية من شتى انحاء سورية لهذا الغرض. [129] وهذا يؤكد تعلق السوريين بالملك وقناعتهم بتوسطه لدى السلطات الفرنسية.

وكان فيصل يؤكد اهمية وحدة القطرين «وان من الخير للعالم ان تتحقق هذه الوحدة، كي يفهم العرب روح الحضارة العربية، كما فهم العالم عقلية الالمان بعد وحدتهم». [130] وكانت قد ظهرت دعوات كثيرة لتوحيد القطرين، وطرحت فكرة اجراء تعديل في الدستور السوري لاقرار النظام الملكي كي تتاح الفرصة لفيصل لتولي عرش البلدين. وقد نشرت جريدة فتى العرب مقالاً تحت عنوان «فيصل الاول ملك سورية والعراق». [131] ورجح عوني عبد الهادي سكرتير الملك السابق ان تقوم الوحدة بين البلدين. [132] وذكر رستم حيدر ان الاتحاد ممكن اذا اراد العراقيون والسوريون ذلك. ورغم ان الدستور العراقي نص على عدم السماح للملك بقبول تاج اخر غير تاج العراق، الا بموافقة المجلس النيابي، فان المجلس النيابي العراقي لن يتردد بالموافقة اذ ما اراد فيصل عرش سورية. واعرب عن اعتقاده بترحيب السوريين بفيصل ملكاً عليهم. [133] وهذا هو الذي جعل الاشاعات تسري في البلاد من ان هدف زيارة فيصل لفرنسا في تشرين الاول ١٩٣١ هو لبحث مسألة الوحدة بين البلدين، فقد ذكر ناجي السراج ان فيصل سيسافر الى اوربا ليدافع عن قضية سورية ويستعيد عرشها. واضاف سامي السراج «وكان الصقر الهاشمي يعقد آمال كثيرة على العاملين للقضية العربية. وجلالته بلاشك المثل البارز للصبر والثبات حتى في اشد

١٢٨ـ الاستقلال، ١٩٣٠/١٠/٢٠.

١٢٩ـ العراق، ١٩٣٣/٥/١٤.

١٣٠ـ العراق، ١٩٣٢/٥/١٣.

١٣١ـ العراق، ١٩٣١/١٠/١٠.

١٣٢ـ العراق، ١٩٣١/١٠/١٢.

١٣٣ـ المصدر نفسه.

الخطوب»[134] كما اكد فارس الخوري اهمية وحدة البلدين.[135] وذكرت جريدة فتى العرب نقلاً عن مراسل المقطم، في باريس ان الملك فيصل قد يتولى عرش سورية الى جانب عرش العراق.[136] ويذكر الاستاذ محمد صديق شنشل ان كل من شكري القوتلي وهاشم الاتاسي عارضا فكرة الوحدة املاً في ان تصبح سورية «جمهورية» كي تتاح لهم فرصة الوصول الى منصب رئيس الجمهورية، وهو ماحدث بالفعل.[137]

من خلال ما اوردته الصحف السورية وصرح به بعض السياسيين، بامكاننا القول ان فيصل كان بالفعل يسعى الى جعل سورية تحت الحكم الهاشمي. وان رجال الحركة الوطنية السورية كانوا مع هذه الفكرة. ومن المؤسف اني لم اتمكن من الحصول على مصادر تسلط مزيد من الضوء حول الموضوع.

جـ ـ فلسـطين

اشرنا في الفصل الثاني الى اهتمام فيصل بالقضية الفلسطينية ورفضه المفهوم الصهيوني لفكرة الوطن القومي لليهود. وحين نصب على عرش العراق، وجد امامه حشد من المشاكل الداخلية والخارجية الامر الذي جعله لايولي القضية الفلسطينية اهتماماً كبيراً.[138] فرغم العديد من الرسائل التي كتبتها اليه بعض الشخصيات الوطنية الفلسطينية، مطالبة اياه بالتوسط لدى الحكومة البريطانية، لاتخاذ موقف حكيم وعادل تجاه القضية الفلسطينية، فقد حاول التملص من هذا التكليف. وكان كل من امين الحسيني وموسى كاظم الحسيني في مقدمة من كتب اليه.[139] كما

١٣٤ـ العالم العربي، ١/١٠/١٩٣١.

١٣٥ـ العراق، ١٥/١٠/١٩٣١.

١٣٦ـ العالم العربي، ٧/٨/١٩٣١.

١٣٧ـ مقابلة مع الاستاذ محمد صديق شنشل في ١/٥/١٩٨٧

١٣٨ـ عباس عطية جبار، العراق والقضية الفلسطينية ١٩٣٢ـ١٩٤١، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٣، ص٣٣ـ٥١.

١٣٩ـ المصدر نفسه، ص٤٠.

اهمل الملك اقتراح امين سر المؤتمر الاسلامي في القدس، الداعي الى انشاء جامعة القدس، ولم يساند المشروع باية اعانة مالية، [١٤٠] بل انه عارض مؤتمر القدس بشدة حتى انه لم يرسل وفداً رسمياً لحضور المؤتمر. [١٤١] ويعتقد الدكتور عباس عطية جبار، ان سبب ذلك هو ان المؤتمر كان شعبياً وليس رسمياً. [١٤٢]

ودعا فيصل الى تشكيل حكومة وطنية بحدود فلسطين الحاضرة، ترتبط بمعاهدة مع بريطانيا وفق شروط سياسية اهمها تحديد هجرة اليهود، وتخليهم عن وعد بلفور، ووضع الاماكن المقدسة تحت مراقبة ممثل للحكومة البريطانية. وقد جاءت اقتراحات فيصل هذه رداً على دعوة من وزير المستعمرات البريطانية، طالبه فيها ابداء ملاحظاته حول القضية الفلسطينية. [١٤٣] واكد فيصل لهمفريز ان تحديد الهجرة اليهودية ومنع بيع الاراضي لليهود، وتخفيض العجز الاقتصادي، مسائل اساسية لحل القضية الفلسطينية. [١٤٤] واوضح فيصل للوفد الفلسطيني الذي التقى به في الاردن «ان فلسطين قلعة محاصرة مقطوع عنها المدد، والجيش لايصلها ولكنها قلعة لاتستسلم». [١٤٥] واشار الى ان اعطاء فلسطين لليهود سيكون خسارة لبريطانية ومصالحها في قناة السويس. [١٤٦]

ولم يتردد الملك بالتبرع بالاموال للفلسطينيين. كما توسط عام ١٩٣٠ لدى المندوب السامي البريطاني للحيلولة دون اعدام بعض الفلسطينيين. [١٤٧]

١٤٠ـ المصدر نفسه، ص٤٢ .

١٤١ـ انيس صايغ، الهاشميون وقضية فلسطين، بيروت، ١٩٦٦، ص١٧٤ .

١٤٢ـ عباس عطية جبار، المصدر السابق، ص٤٢ .

١٤٣ـ المصدر نفسه، ص٤٣ـ٤٧ .

١٤٤ـ المصدر نفسه، ص٥٠ـ٥١ .

١٤٥ـ العراق، ١٩٣٣/٦/١٣ .

١٤٦ـ الاوقات البغدادية، ١٩٢٥/١٠/٢١ .

١٤٧ـ العراق، ١٩٢٩/٩/١١؛ ١٩٣٠/٦/٤ .

د ـ الحلف العربي

كانت مراسلات الشريف حسين مع مكماهون، تقوم على اساس الاعتراف بملكية الحسين على العراق وبلاد الشام والحجاز ضمن الحدود التي اشرنا اليها في الفصل الاول. ورغم نكوث بريطانية بوعودها، وما انتهى اليه الحال من تقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا، فان فكرة الوحدة العربية بقيت تراود العائلة الهاشمية، وبالذات الملك فيصل، الذي كان يرى ان المستقبل سيشهد انتهاء الانتداب الفرنسي على سوريا، وان بريطانية ستنهي ايضاً انتدابها على فلسطين وتعقد معها معاهدة على غرار معاهدة ١٩٣٠ مع العراق. وبذلك يصبح الطريق مفتوحاً امام دولة عربية كونفدرالية.[١٤٨]

بعد الانتهاء من توقيع المعاهدة العراقية ـ البريطانية عام ١٩٣٠ والتي تضمنت دخول العراق عصبة الامم، بدأ فيصل جهوده لوضع نواة حلف عربي يضم الاقطار المجاورة، فكتب في ١٩٣١/٢/٢٧ الى عبد العزيز آل سعود مقترحاً عقد معاهدة حسن جوار وتسليم المجرمين. وقد رحب ابن سعود بهذا المقترح. وكتب الى كل من امام اليمن، وشقيقه الامير عبد الله رسائل تحمل المضمون نفسه.[١٤٩] وفي السادس والعشرين من آذار ١٩٣١، تم التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق وشرق الاردن وفي ٧ نيسان وقعت معاهدة مماثلة مع مملكة نجد والحجاز، فضلا عن معاهدة تسليم المجرمين، وفي ٢٩ نيسان مع اليمن. كما عقدت معاهدة تسليم المجرمين بين مصر والعراق.[١٥٠] وقد هاجمت جريدة الاستقلال الحلف، واكدت ان بريطانية تريد الحلف مع شرق الاردن وسورية لمد انابيب النفط، وان وليم مارتن صاحب جريدة «جورنال دي جنيف» اقترح ذلك. ولم تستبعد الاستقلال ان تكون فكرة تنصيب الامير علي على عرش سورية جاءت لهذا الغرض، لان بريطانية نادمة على ضياع سوريا من يدها.[١٥١] واكدت الجريدة ان العراق دولة غير

١٤٨ـ عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص٢٦٣.

١٤٩ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص١١٠ـ١١١.

١٥٠ـ المصدر نفسه، ص١١٠ـ١٣٠.

١٥١ـ الاستقلال، ١٩٣٠/٤/٣.

مستقلة وليس من حقه المنادات بالحلف وان ذلك من حق السعودية او اليمن باعتبارهما دولتان مستقلتان.[١٥٢]

العلاقات مع الدول المجاورة

أ- العلاقات مع تركيا

كان من الصعوبة على العراق بناء علاقات جيدة مع تركيا في بداية العهد الملكي لسببين اولهما، مطالبة الاتراك بالموصل، والثاني طبيعة العلاقة بين الاتراك والعائلة الهاشمية التي قادت الثورة العربية ضد سيطرتهم. لكن فيصل بذل جهداً لبناء علاقة طيبة معها، وبالذات بعد ان حسمت مشكلة الموصل لصالح العراق، وقد اشار فيصل الى هذه الحقيقة بقوله «ان علينا ان نبني علاقات جيدة معها، لانها كانت بالامس عدوتنا واصبحت صديقتنا».[١٥٣] كما اكد لمراسل التايمز ان تركيا من الاقطار التي يحرص على بناء علاقة جيدة معها.[١٥٤] وان العراق وتركيا دولتان صديقتان ونواياهما حسنة ولايمكن لاحد ان يفرقهما.[١٥٥]

وانطلاقا من هذا الموقف قام فيصل بزيارة تركيا في الرابع من تموز ١٩٣١، وقد استقبل بحفاوة بالغة في العاصمة.[١٥٦] وتبادل مع اتاتورك الكلمات الودية، وصرح للصحف التركية، ان تركيا والعراق «يجب ان يعيشا كجارين يسكنان منزلاً واحداً ذا غرفتيين متجاورتين وهذا هو املنا جميعاً».[١٥٧]

وفي العام التالي «١٩٣٢» وقع العراق معاهدة تسليم المجرمين مع تركيا، فضلا عن معاهدة تجارية، واتفاقية للاقامة،[١٥٨] منحت تسهيلات لرعايا كل دولة في الدولة الاخرى

١٥٢- الاستقلال، ١٩٣١/٤/٧.

١٥٣- العالم العربي، ١٩٢٦/٦/٨.

١٥٤- العراق، ١٩٣١/٧/٣.

١٥٥- العالم العربي، ١٩٣١/١٠/٣.

١٥٦- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص١٤٣

١٥٧- العراق، ١٩٣١/٧/٢٧.

١٥٨- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص١٧٠

ب ـ العـلاقـات مـع ايـران

لم يكن من السهـل ايضـاً بناء علاقات جيدة مع ايران بسبب اطماعها الواضحة في الاراضي العراقية، بدليل انها رفضت الاعتراف بالدولة العراقية التي تأسست في ٢٣/آب/١٩٢١، بل ان بعض اعضـاء البـرلمـان الايـراني صرحـوا ان الانتـداب البـريطـاني على العراق اضطهاد للشعب العراقي، وان العراق يجب ان يكون تحت الانتداب الايراني، اذ سبق له وان خضع للسيطرة الفارسية.[١٥٩]

لم يكن من مصلحة فيصل ان يقف موقفاً معادياً لايران في بداية تأسيس الدولة العـراقيـة كون دولتـه لـم تكن تمتلك مستلزمات الدولة الحديثة كما ان علاقته مع بقية الدول المجاورة لم تكن مستقرة، لذا فان عليه ان يعرب بين الحين والاخر عن سعيه لتوطيد اواصر الصداقة مع الدول المجاورة ومن بينها ايران، ففي عام ١٩٢٤ اعطى الملك توجيهاً الى الصحف بالتخفيف من الحملة ضد ايران.[١٦٠]

وفي آذار وجـه شاه ايـران دعـوة الى الملك لزيارة بلاده، وقد قبل الملك الدعوة بارتيـاح بالـغ. وكـان لهذه الزيارة اثر في الحد من توتر العلاقات، وقد فسرت جريدة التـايمـز اللندنية سياسة فيصل في توطيد علاقات العراق مع تركيا وايران بانها محاولة لقيام اتحاد بين الاقطار الثلاثة فضلا عن افغانستان.[١٦١]

وفـاة الملـك فيصـل الاول

اشـرنـا في الفصل السابق الى اضطرار الملك فيصل الى العودة الى بغداد على اثر تفاقم أزمة الاثوريين، ومن ثم عودته الى اوربا في الاول من ايلول ١٩٣٣، بعد ان خفت حدة الازمـة. وبعـد اسبوع من وصوله مدينة برن عاصمة سويسرة، توفي في المستشفى نتيجـة لتصلب الشرايين، كمـا ذكـرت التقـاريـر الطبيـة، وايد ذلك

١٥٩ـ اسعد محمد زيدان الجواري، سياسة ايران الخارجية في احمد شاه «١٩٠٩ـ١٩٢٥» رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التاريخ، كلية الاداب ـ جامعة بغداد ١٩٨٧، ص٢٢١ـ٢٢٣

١٦٠ـ العراق، ١٩٢٤/٢/٢٦.

١٦١ـ العالم العربي، ١٩٣٢/٥/٦.

الدكتور الحسني المصري، طبيب الملك، اذ قال ان الشرايين كانت متصلبة حتى لاتكاد تقطع بالسكين.[١٦٢] وكانت اخر عبارة فاه بها الملك لحظة وفاته «انا مرتاح قمت بواجبي . . . خدمت الامة بكل قواي، ليسر الشعب بعدي بقوة واتحاد».

وكان الملك قد قام برحلة في السيارة في منطقة جبلية عالية، سببت له احتقان الدم، فضلا عن انه كان يرهق نفسه بالعمل من الساعة السادسة صباحاً حتى منتصف الليل «فقد كان موظفاً دائماً وملكاً في آن واحد» على حد تعبير جعفر العسكري.[١٦٣] وقد طلب من الملك ان لايرهق نفسه، لكنه كان يطمأن من ينصحه بأن صحته جيدة.[١٦٤] وذكر تحسين قدري ان الدكتور كوجَر kocher الذي هو بمثابة طبيب الملك الخاص قال انه ضعيف جداً ومنحل القوى بسبب كثرة اعماله والارهاق الفكري. ومن الغريب ان تحسين قدري نفى ان يكون الملك قد قام برحلة في المنطقة الجبلية.[١٦٥] وذكرت «الاستقلال» ان الشهادات الطبية اثبتت ان الوفاة طبيعية، وهي مطابقة لشهادة الدكتور كوجَر «وقد اطلع عليها مدير الشرطة فوافق على تحنيط الجثة وصرح كوجَر انه يعالج الملك منذ ١٧ سنة، وان وفاته طبيعية، واشار الى ان رحلته في المنطقة الجبلية اثرت على صحته، الامر الذي ادى الى وفاته.[١٦٦]

رغم ماقيل عن وفاة الملك الطبيعية، فان هناك العديد من المؤشرات التي تجعلنا نشك في ذلك، وليس من المستبعد ان يكون قتل. وقد سبق للدكتور محمد مظفر الادهمي ان عالج الموضوع بشيء من التفصيل، وذكر ان بعضهم اعتقد ان البريطانيين قتلوا فيصلاً نتيجة لقمع حركة الاثوريين.[١٦٧] واشار شكيب ارسلان الى

١٦٢ـ مديرية الدعاية العامة، المصدر السابق، ص١٤٦.

١٦٣ـ العالم العربي، ١٩٣٣/٩/١٧.

١٦٤ـ العالم العربي، ١٩٣٣/٩/١٧.

١٦٥ـ الاستقلال، ١٩٣٣/٩/١٧.

١٦٦ـ الاستقلال، ١٩٣٣/٩/٢٦.

١٦٧ـ محمد مظفر الادهمي، وفاة الملك فيصل الاول بين الاغتيال والموت الطبيعي، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٣، السنة الثالثة عشرة، ١٩٨٧ ص٢٩١ـ٣٠٤

ان البريطانيين يقفون وراء قتل الملك. كما اشارت جريدة الاحرار الى ذلك نقلا عن الصحف البريطانية، الامر الذي ادى الى اعتقال صاحبها ستة اشهر. وفي احدى التظاهرات الجماهيرية في دمشق، القى صلاح الدين الطرابلسي خطاباً ذكر فيه ان البريطانيين صافحوا فيصل بيد ودسوا له السم باليد الاخرى.[١٦٨]

وقد سلطت الوثائق البريطانية الضوء على بعض ملابسات الموضوع، فقد كتب المفوض البريطاني في برن الى جورج رندل،[١٦٩] بان هناك اشاعات تتردد حول موت الملك، غير الطبيعي، ويجب ان لانعير اهمية الى مثل هذا اللغو، الذي يروج في مدينة تتقبل الاشاعات بطبيعتها،[*] وذكر ان ممرضة الملك السيدة باجت «Paget» ذات الخبرة الطويلة في التمريض، شاهدته يوم وفاته بصحة جيدة، وكانت معه امرأة هندية جميلة، يبدو انه يرتبط معها بعلاقة حميمة، وسبق ان تشاجر معها قبل يوم من وفاته. وان السيدة باجت لم تتمكن من تحديد الشخص الذي كان مع الملك حين تناول الشاي، وفي حوالي الساعة السابعة توعكت صحته، فارسل بطلب طبيبة كوجر. وفي الوقت نفسه شعر بضمأ شديد، فاعطي شيئاً يشربه، لكنه سرعان ماتقيأ بعنف، وعادة مايحدث القيء في النوبات القلبية او حالات التسمم.

وقد انتقدت باجت، الدكتور كوجر، بقسوة لانه فقد صوابه، ولم يفحص محتويات القيء، ثم شعر الملك بتحسن صحته وطلب ان يترك وحده، ثم شكى من الآم حادة، ونتيجة للتشنجات المستمرة على معدة فارغة توفي. وشخص التقرير الطبي سبب الوفاة بتصلب الشرايين، وقد سبق ان ذكر الاطباء قبل يومين من وفاته بان ليس ثمة خطر على حياته، وبعد موته لم تفحص جثته. اما المرأة الهندية فقد اختفت، ثم حنطت الجثة بسرعة. وان السيدة باجت مقتنعة بأن وفاة الملك لم تكن طبيعية. هذه هي خلاصة ماجاء في رسالة المفوض البريطاني في برن الى جورج رندل. والتي يمكن ان نستنتج منها ان المرأة الهندية دست السم لفيصل بدافع

---

* شبه اشاعات موت الملك بروايات الكاتب البوليسي «ادجر والس».

١٦٨- المصدر نفسه.

169- P.R.o., F.o,. 371/16924/4205. British Leaation, Berne, No. 211/7/33, september 14, 1933, to G.W.Rendel.

شخصي ، اذ سبق ان تشاجرت معه ، وهناك نوع من النساء لايترددن في بعض الحالات عن قتل «صديقهن» حتى لاسباب غير منطقية . وربما تكون قد فعلت ذلك بتحريض من السلطات البريطانية . ورجح الدكتور الادهمي ان الملك مات مسموماً ، واعتمد في استنتاجه هذا على كتاب «علم السموم والطب العدلي» الذي يشير الى حالة تسمم تنطبق اعراضها تماماً على الاعراض التي ظهرت على الملك ، العطش الشديد ، والتقيؤ على معدة فارغة ، والدوار، وان عجز القلب يحدث في بعض الاحيان نتيجة للتسمم .

بعد خمسة ايام من وفاة الملك نشرت صحيفة «الديلي اكسبريس» البريطانية مقابلة مع المرأة الهنديةبابسيPapsy» التي ذكرت انها تناولت الطعام مع شقيقها بارفي«Parvy» والملك فيصل وشقيقه علي ، وكانوا جميعاً على مائدة واحدة . وان صحة الملك كانت جيدة ، وانه اصيب بنوبتين قلبيتين ، احدهما يوم الاثنين السابق لوفاته التي وافقت يوم الخميس ٨ أيلول . ويشير الدكتور الادهمي الى ان هناك تناقض بين ماذكرته بابسي ، وماجاء في الوثائق البريطانية التي اشارت الى ان الملك لم يصب بنوبة قلبية قبيل وفاته . كما انها ذكرت بانها اجلت سفرها الى يوم السبت ، التالي لوفاة الملك ، وكانت مع شقيقه علي يوم الجمعة ، وهويتلقى التعازي ، في حين اشارت التقارير البريطانية الى انها اختفت بعد وفاة الملك . كما انها ذكرت ان رئيس التشريفات اتصل بها في الساعات الاولى من يوم الجمعة ، واخبرها بان الملك «مات تواً» في حين انه توفي في الساعة ٤٥ر١١ مساء الخميس ، وذكرت ايضاً انها لم تتناول الطعام مع الملك ، بل شربت الشاي فقط .

ان الذي اراه ان التناقض بين ماورد في الوثائق البريطانية وبين ماذكرته بابسي ، لايشكل سبباً مقنعاً يجعل الباحث يشك في انها دست له السم ، اذ ليس هناك مايدعوننا الى اعتبار الوثائق البريطانية الاساس الذي نعتمد عليه في كشف الحقيقة دائماً .[١٧٠] فقد لايكون كاتب الوثيقة قد علم ان الملك تناول الطعام مع ضيوفه .

١٧٠ـ على سبيل المثال عثرت على وثيقة بريطانية تذكر ان جعفر العسكري هو اخو علي حيدر ومتزوج من اخت السلطان عبد الحميد . ويبدو ان كاتب الوثيقة خلط بين جعفر العسكري =

وربما يكون قد اصيب بنوبة قلبية بسيطة يوم الاثنين . وان الساعات الاول من يوم الجمعة قريبة جداً من الساعة ١١٫٤٥ مساء يوم الخميس . ومن الطبيعي ان يقول رئيس التشريفات للسيدة الهندية ان الملك مات على التو. وعلينا ان نأخذ بنظر الاعتبار ان المتهم البرىء من التهمة الموجهة اليه قد يضطر الى اخفاء بعض الحقائق التي تجعل الشبهات تحوم حوله، كأن ينكر وجوده في المكان الذي وقعت فيه الجريمة .

ويذكر الدكتور الادهمي ان هناك عدة جهات، كانت لها مصلحة في موت الملك اولها بريطانية، التي لمست ميله الى ايطاليا، وقبوله دعوة موسوليني لزيارة ايطاليا، الامر الذي سيضر بمصلحة بريطانية، وربما يدفع فيصل للتقليل من عدد المستشارين البريطانيين. كما ان فيصل كان يلح على المطالبة باستقلال العراق استقلالاً حقيقياً وتاماً، فضلا عن اصراره على تطبيق قانون التجنيد الاجباري في الوقت الذي كانت بريطانية تخطط للاستمرار في البقاء في البلاد. وقد ادى موقف الملك هذا، الى ان يقترح مستشار المندوب السامي نفيه، لكن هنري دوبس رفض لفكرة كما ان بريطانيا ارادت التخلص من فيصل باعتباره من دعاة الوحدة العربية، فضلا عن كونه احدى الشخصيات التي عاشت المراحل الاولى للعلاقات العربية ـ لبريطانية التي بدأها الشريف حسين، كما انه كان ممثلاً لوالده في مؤتمر الصلح . وعليه فان وجوده لاينسجم مع سياسة بريطانية الرامية الى التخلص من الشخصيات التي عاصرت بداية علاقاتها مع العرب، باعتبار ان بريطانيا نقضت تلك العهود .[١٧١]

= وشخصية أخرى، أنظر

P.R.o., F.o., 371/10838/4585/. E 6550, Note on Jaffar pasha Al- Askari, Iraq Diplomatic Agent in London 26 October 1925.

كذلك انظر علاء جاسم محمد، البحث التاريخي والتعامل العلمي مع المصادر جريدة العراق، ١٠/٣/١٩٨٨ .

١٧١ـ محمد مظفر الادهمي، وفاة الملك فيصل الاول .

لااعتقد ان هذه اسباب معقولة، تدفع بريطانية للتخلص من فيصل، فالشخصيات التي شهدت بداية العلاقات العربية ـ البريطانية كثيرة في مقدمتها الشريف حسين نفسه الذي كان يحتفظ بنسخ من رسائله الى مكماهون، وكذلك الامير عبد الله شقيق الملك فيصل، ورسول والده الى مكماهون، وهو على اطلاع بهذه المسألة اكثر من فيصل. واذا كان الامر كما ذكر الدكتور الادهمي، فقد كان على بريطانيا ان تتخلص من الكثير من السياسين العرب والعراقيين. كما ان بريطانيا كانت تعلم ان الشخص الوحيد الذي سيخلف الملك فيصل هو ابنه الامير غازي المعروف ببغضه للانكليز.(١٧٢) وان كل الدلائل تشير الى ان التعامل مع فيصل بالنسبة لبريطانية افضل بكثير من التعامل مع غازي وان احداث الاثوريين كانت ماتزال قريبة، وقد اثبتت الاحداث ذلك. فالتعامل مع كهل صقلته التجارب السياسية وعرف باتزانه وتعلقه افضل بكثير من التعامل مع شاب مغرور ومندفع.

ومن المحتمل ان يكون لنوري السعيد ـ كما يرى الادهمي ـ يد في مقتل الملك، وذلك بدافع شخصي، او ان البريطانيين استعملوه اداة في القتل. واشار الى الخلافات التي وقعت بينه وبين الملك، واعتبرها الدافع الذي ادى بنوري الى التخلص من الملك. وقد اصر نوري على تحنيط الجثة بسرعة وارسالها على باخرة تجارية، في حالة عدم توفر باخرة حربية «وهو امر لايليق بنقل جثمان ملك»

ولم يستبعد الدكتور الادهمي ان يكون جعفر العسكري على علم بمسألة «مقتل» الملك اذ انه ذهب الى السفارة البريطانية، وانتقد ضعف فيصل ورعايته لاعدائه الذين لسعوه كالعقرب. ثم اشار الى محاولة العسكري لاقناع البريطانيين باسناد العرش الى الامير زيد وعدم اسناده الى الوريث الشرعي «الامير غازي». كما اشار الى محاولة العسكري والسعيد لافشال فكرة زواج الملك غازي من كريمة ياسين الهاشمي، وهي جزء من سياسة نوري السعيد للسيطرة المطلقة على البلاد، بابعاد ياسين الهاشمي وحرمانه من ان يكون «عم الملك» (١٧٣).

١٧٢ـ لطفي جعفر فرج، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي، ١٩٣٣-١٩٣٩، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص٣٣.

١٧٣ـ محمد مظفر الادهمي، وفاة الملك فيصل.

لااعتقد ان لنوري السعيد مصلحة حقيقية في قتل الملك، لان نقاط الخلاف مع الملك الجديد «غازي» ستكون اكثر، وهو ماحدث بالفعل بدليل ان الرأي الذي يميل الى اشتراك السعيد في قتل الملك غازي اكثر قوة من الرأي القائل بأن السعيد ساهم في قتل فيصل. اما مسألة الاستعجال في تحنيط الجثة ونقلها، فانها مسألة طبيعية في حالات الوفاة، ولنا ان نتساءل ايضاً كيف قتل نوري الملك؟ هل هو الذي دس له السم، اذن ماهو دور المرأة الهندية؟ ولماذا يستخدمها البريطانيون في قتل الملك اذا كان السعيد موجود؟ كما ان السفير البريطاني اكد ان جعفر العسكري كان متأثراً للغاية لوفاة الملك، [174] فكيف يساهم العسكري في قتل الملك ويتأثر لوفاته. اننا لانستبعد ان يكون الملك قد قتل. وقد اكد عادل ارسلان للاستاذ صديق شنشل ان وفاة الملك لم تكن طبيعية، [175] كما ان الدكتور البير مخيبر[*] الذي كان انذاك طالباً في كلية الطب يطبق في المستشفى التي مات فيها الملك، اكد للسيدة سلوى ساطع الحصري، .ان الوفاة لايمكن ان تكون طبيعية. [176]

لكن المنطق يقول ان مقتل الملك وارتقاء غازي العرش لم يكن من مصلحة البريطانيين اونوري السعيد، اذ ان الملك فيصل كان اكثر استعداداً من غازي، للتفاهم معهم، وبالذات بعد تجربته في سورية، التي كان يضعها نصب عينه دائماً.

ردود الفعل لوفاة الملك فيصل

أ- على المستوى الداخلي :-

تركت وفاة الملك فيصل الاول اثراً كبيراً على ابناء الشعب العراقي والشخصيات الوطنية العراقية، فقد نزل خبر وفاته كالصاعقة على الشعب. وخرجت

174- P.R.o., F.O, 371/16924/4205, Death of king feisal, 6th september, 1933.

١٧٥- مقابلة مع الاستاذ محمد صديق شنشل في ١٩٨٧/٥/١

١٧٦- مقابلة مع السيدة سلوى ساطع المصري في ١٩٨٨/٣/١٥

* حاليا نائب في مجلس النواب اللبناني.

العاصمة على بكرة ابيها تشيع الملك، وكانت جنازة لم تشهد مثلها بغداد.[١٧٧] وقرع المسيحيون اجراس الكنائس. وبكى البطريرك يوسف عمانوئيل حين افتتح حفل تأبين فيصل الذي اقامه المسيحيون وقال في الكلمة التي القاها «لقد حضرنا اليوم في ساحة هذه الكنيسة المباركة والدموع الحارة في العيون والحسرات العميقة في القلوب، باكين على فقدان اب رحوم شفوق، نائحين على ملكنا العزيز الغيور الذي طالما جد وكد وتعب طول حياته لكي يخلف لرعيته مملكة عظيمة واسعة شهيرة».[١٧٨]

وقال انستانس الكرملي في خطبة تأبين فيصل «ماذا كان العراق قبل ان يتولى - فيصل - شؤونه؟ الم يكن كالموات ليس فيه نفع للمجتمع ولا الحضارة... اما اليوم فقد سار العراق في اثنى عشرة سنة سيراً لم تضارعه فيه اعظم دولة على البسيطة... وماذاك كله الا ثمرة مساعي ذلك القائد البطل». وذكر ان مآثر فيصل وخصاله الجيدة لايسع الحديث عنها. وانه سمع احد الوزراء الفرنسيين يقول «رأيت فيصلاً وفي فيصل عرفت منه العرب، فانهم اذا هذبوا التهذيب اللازم اظهروا من المقدرة في السياسة والدهاء والعلم والحلم ماينسي اعظم رجال الغرب. ففيصل هو هذا العربي الصميم بل فخر العرب». واكد الكرملي ان فيصل كان ابا الجميع ولم يفرق بين ابناء المذاهب المختلفة. وذكر انه زار فيصل مع مجموعة من الادباء فقدم اقدمهم، الادباء الى الملك وكان يقول هذا شيعي وهذا سني فقال الملك، حسبي ان تقول لي هذا عراقي ولا احب ان اعرف اكثر من هذا.[١٧٩]

وعلق القس عمانوئيل على عبارة فيصل الاخيرة التي تلفضها قبيل وفاته فقال انا مرتاح... يااللدهشة... ياللتناقض... مابين مضض الاوجاع واهوال الموت كان ملكنا مرتاحاً كأنه في بحبوحة النعم لايشكو من الم ولا يخشى من منية».[١٨٠]

١٧٧ـ مقابلة الاستاذ شنشل اعلاه، مقابلة مع السيدة صبيحة ياسين الهاشمي ١٩٨٧/٥/٢، الاستقلال ١٩٣١/٩/١٢.

١٧٨ـ العراق ١٩٣٣/٩/١٩، ١٩٣٣/٩/١٢.

١٧٩ـ العالم العربي، ١٩٣٣/٩/٢٠.

١٨ـ العالم العربي، ١٩٣٣/٩/٢٠.

واكد المطران دلال في خطبة تأبين الملك في الموصل انه كان بعيداً عن الروح الطائفية، واشاد بجهوده لخدمة العراق واعتبره باني مجده ومشيد استقلاله[١٨١].

وقال القس جرجيس، مؤبناً الملك في الموصل «فيصل سيد هذه البلاد وباني مجدها ومشيد اركانها. . . ابو الشعب وحامي ذماره وجامع كلمته وموحد اجزائه والمؤسس الاكبر لهذه الدولة الفتية». واكد ان بحنكة فيصل ودهائه، خطى العراق خطوات عظيمة الى الامام[١٨٢].

وكتب محمد مهدي البصير «مات ممثل القضية العربية الفذ، مات قائد العرب الاكبر. اكُتِب على العراق الايقطع المرحلة الاولى من جهاده حتى ينكب بمؤسس كيانه وباني صرح مجده ومكون استقلاله؟ ان فيصل كان اقوى شخصية لعبت الادوار الخطيرة في ميادين الحرب والسياسة بكل من الحجاز والشام والعراق. . . قد لايدرك الجيل الحاضر كل الادراك قيمة الاعمال الخطيرة التي قام بها البطل الراحل. ولكن الاجيال القادمة ستفهم كل الفهم، وتقدر كل التقدير اخلاص فيصل وجهاده وتضحيته[١٨٣].

وقال سليمان فيضي ان وفاته كانت كارثة عظمى[١٨٤]. وكتبت جريدة الاستقلال ان الامة ادركت بوفاة فيصل «جسامة الخطب الذي حل بساحتها وفداحة النكبة التي منيت بها، وهي في احرج ظروفها واوقاتها واشدها ضنكاً، وحاجة الى مثل حنكة الملك الراحل العظيم ودرايته وهمته واخلاصه». واكدت ان خسارة الملك ليس من السهولة تعويضها[١٨٥]. وكتبت في عدد آخر مات فيصل لكنه لم يمت. . . والعظيم لايمكن ان يموت والزعيم المخلص لايموت[١٨٦]. وكتب سليم حسون صاحب جريدة العالم العربي، «ان من حق العراق ان يذوب حزناً وأسأ لانه فقد أباً محباً افنى

١٨١ـ العالم العربي، ١٩٣٣/٩/٢١.

١٨٢ـ العالم العربي، ١٩٣٣/٩/٢٤.

١٨٣ـ محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص١٠٢ـ١٠٣.

١٨٤ـ العالم العربي، ١٩٣٣/٩/٢٢.

١٨٥ـ الاستقلال، ١٩٣٣/٩/١٠.

١٨٦ـ الاستقلال، ١٩٣٣/٩/١٤.

حياته وضحى بنفسه في سبيل أبناءه». وذكر ان الملك كان يواصل عمله رغم نصيحة الدكتور كوجر له بعدم ارهاق نفسه[187].

علـى المسـتوى العـربي

لم تكن ردود الفعل لوفاة الملك فيصل في بعض الاقطار العربية تقل عما كانت في العراق. فحين وصل الجثمان مدينة حيفا الفلسطينية احتشد الالاف من مختلف المدن الفلسطينية، لاستقبال النعش حتى اغمى على بعظهم[188].

وكان مشهد لم يسبق له مثيل[189]، وكان على رأس المستقبلين نوري السعيد وجعفر العسكري والاميران طلال بن عبد الله وشقيقه نايف[190]. وقد نكست الاعلام وظهرت الصحف بالسواد ونعي الملك في المآذن، واذاعت اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الاسلامي الاعلى ولجنة مؤتمر الشباب والمكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي عدة بيانات طالبت باعلان الحداد ورفع الاعلام السوداء. كما اغلقت المقاهي، وقرعت اجراس الكنائس، واغلقت الجمعيات ابوابها، كما نعته اللجنة التنفيذية، وقالت عنه، انه «قطب رحى الوحدة العربية» الذي شيد ملك العراق بقلبه الكبير وعقله المستنير، واسمته عميد النهضة الغربية. وقال عنه المجلس الاسلامي الاعلى «المجاهد الاعظم والقدوة الصالحة للزعامة المخلصة والجهاد المقدس والتضحية العظيمة، الملك العظيم فيصل الاول»[191]. كما قررت الجمعية الخيرية الاسلامية في القدس انشاء مستشفى باسم الملك فيصل الاول، واكدت الجمعية ان ذكرى فيصل منقوشة في كل قلب واطلقت عليه اسم المجاهد[192].

١٨٧ـ العالم العربي، ١٩/٩/١٩٣٣.

١٨٨ـ المحامي محمد عبد الحسين، المصدر السابق، ص١٢١ـ١٢٢.

١٨٩ـ محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص٥٦.

١٩٠ـ المصدر نفسه، ص٥٧.

١٩١ـ المصدر نفسه، ص٦٥ـ٦٧.

١٩٢ـ العالم العربي، ٢٨/٩/١٩٣٣.

وفي بيروت ازدحمت الشوارع بالمتجمهرين، ورفعت صورة لفيصل كتب عليها «اذا مات منا سيد قام سيد» واقيمت صلاة الغائب في المسجد العمري. ثم توجهت الجموع الى القنصلية العراقية لتقديم التعازي. كما اغلقت المحال في بعلبك وصيدا، واقيمت صلاة الغائب، ورفعت الاعلام السوداء فوق المآذن، كما اقيمت حفلات تأبينية شارك فيها ابناء مختلف الطوائف الدينية، وفي مقدمتهم الروم الكاثوليك[193]. واقترح اعضاء جمعية المقاصد البيروتية اطلاق اسم الملك فيصل على جمعيتهم[194].

وفي دمشق اغلقت المحال التجارية، وكبر في الجوامع، وارتفعت الاعلام السوداء، ولما حان موعد صلاة الظهر اكتضت الجوامع بالمصلين لاداء صلاة الغائب، وخطب بعض الشباب في المسجد الاموي، وسارت الجموع وفي مقدمتهم ابراهيم هنانو الى ساحة الشهداء حيث القيت خطب عديدة لتأبين الملك.[195] وكتب ابراهيم هنانو الى معظم المدن السورية برقية جاء فيها «غداً ـ السبت ـ تغلق دمشق حداداً على مصيبة العرب بمصرع جلالة الملك فيصل، نرجو اشتراك المدينة».[196]

وقال الوطني المعروف شكيب ارسلان في حفل تأبينه «كان صبر فيصل بحـ.. لاساحل له على الاجانب وعلى منكري الجميل والمكابرين من ابناءجلدته».واشار الى ان ضعف بنية فيصل سببها استمرار كظمة الغيظ «فالملك فيصل قد مضى اذاً شهيد انفعالاته وتأثراته، وقتيل عواطفه وتحسراته في ايصال القضية العربية الى الحـ.. الذي كان يريده لها».وشبهه بالفاتحين الكبار كصلاح الدين الايوبي وابن تاشفين وصقر قريش.[197] واكد عبد الرحمن الشابندر، وهو من العناصر الوطنية المعروفة

١٩٣ـ المحامي محمد عبد الحسين، المصدر السابق، ص١٣٥ـ١٣٩،محمد عابدين حماد. ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص٦٤.

١٩٤ـ العالم العربي، ٢٦/٩/١٩٣٣.

١٩٥ـ محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص٦٣.

١٩٦ـ المصدر نفسه، ص٦٤.

١٩٧ـ المصدر نفسه، ص١٤٥ـ١٤٦.

ايضاً، اكد الدور الكبير الذي قام به في العراق وان لولاه لما تقدم العراق ولاتمكن من بناء جيش، ولاكانت هناك مؤسسات دولة متينة.[١٩٨]

وقد اعلن الحداد في مدن سورية الكبرى،[١٩٩] واغلقت المقاهي.[٢٠٠] واقترح بعض اعيان دمشق اقامة تمثال للملك في المدينة،[٢٠١] كما اطلق اسم فيصل على احد اكبر شوارع حلب.[٢٠٢] وبقيت الصحف اسبوعاً كاملاً تصدر مجللة بالسواد.[٢٠٣]

وفي مصر قدم شيخ الازهر ومصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد. وممثل الملك وغيرهم، التعازي للقنصل العراقي.

وكتب عميد الادب العربي الدكتور طه حسين مقالاً جاء فيه «سعيد حقاً من ظفر بمثل ماظفر به فيصل من حب الشعوب وايثارها وكبارها» وان الجموع التي «احتشدت في حيفا تستقبل نعش فيصل بقلوب يحطمها الحزن ونفوس يغرقها الاسى لدليل اوضح دليل وحجة اسطع حجة على ان فيصلاً قد ظفر من شعبه العراقي ومن امته العربية بما لايظفر به الملوك الاقليلاً». وان فيصلاً «ايقظ نفوس العرب بعد نومها واحيا آمال العرب بعد موتها ووقف حياته وجهوده على ان يرد للعرب عزتهم الشامخة ويثير مجدهم القديم». وذكر الدكتور طه حسين انه تشرف بلقاء الملك، وتحدث معه «فاذا نفس وادعة مطمئنة، واذا قلب قوي، واذا عقل حصيف، واذا رجل لم يزدهه الغرور ولم يفسد عليه امره، واذا رجل لم يخفه ضعف الشرق، وتألب الاقوياء عليه، وانما هو الحازم العازم، المتفكر الفطن الذي تحدث اليك لايتحدث بطرف اللسان، وانما يتحدث بعقله وقلبه».[٢٠٤]

١٩٨ـ المصدر نفسه، ص٨١ـ٨٤.

١٩٩ـ العالم العربي، ١٥/٩/١٩٣٣.

٢٠٠ـ محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص٦٤.

٢٠١ـ العالم العربي، ٢٦/٩/١٩٣٣.

٢٠٢ـ الاستقلال، ١/١٠/١٩٣٣.

٢٠٣ـ المحامي محمد عبد الحسين، المصدر السابق، ص١٤٢.

٢٠٤ـ محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص٨٤ـ٨٨.

وكتب عبد الرحمن عزام مقالاً بعنوان «فيصل مؤسس دولة ورسول وحدة» جاء فيه «لاأظن ان المصريين سيصبحون على نبأ اثقل على الاسماع، واصرع للقلوب من ذلك النبأ المفاجيء بوفاة فيصل. ولااظن ان ملكاً خارج حدود مصر يلقي موته في نفوس المصريين مايلقي نبأ ملك العراق من اللوعة وطيبة الامل. ففيصل هو الرجل الذي ظل في ميدان السياسة والجهاد العربي ٢٠ سنة» واشار الى ان فيصلاً كان متواضعاً لايتكلف بالرسميات «ولاشك ان التاريخ سيضعه في المقام الذي ناله بالجد وصدق العزيمة وصالح الرأي». [٢٠٥]

وكتب الاديب العربي عباس محمود العقاد مقالاً بعنوان «الملك فيصل الاول والنهضة العربية» ذكر فيه، رغم ان فيصل لم يكن من ابناء العراق، لكنه تمكن بعد فترة وجيزة «ان يحكم الصلة بينه وبين الكثيرين من زعماء الامة العراقية ـ العراق» وانه ادار دفة الدولة بكفاءة فهو «خبير بتأليف القلوب». واكد ان وفاته كانت خسارة كبيرة للوحدة العربية. [٢٠٦]

وكتب احمد حسن الزيات مقالاً بعنوان «الملك الشهيد» اطلق فيه على الملك لقب صقر قريش، واشاد بجهوده من اجل النهضة العربية، وكفاءته في ادارة الدولة «وتحامل على دمه وعصبه وروحه حتى ذهب فيصل شهيد الواجب، كما ذهب الحسين شهيد الحق». [٢٠٧]

وكتب عبد القادر المازني مقالاً بعنوان «فيصل العربي الثائر» جاء فيه ان فيصل سعى الى استقلال الامة العربية وتحريرها، فضلا عن سعيه لبناء الدولة العراقية واستقرارها سياسياً وعسكرياً، الامر الذي جعله يصطدم بالبريطانيين. [٢٠٨]

وكتب فكري اباظة مقالاً بعنوان «العظيم الذي رحل» ذكر فيه ان شخصية فيصل جديرة بالدرس وان الملك «برهن على رجولة جبارة وذهن متقد وحنكة ترتفع عن

٢٠٥ـ المصدر نفسه، ص٨٩ـ٩١.

٢٠٦ـ المصدر نفسه، ص٩١ـ٩٤.

٢٠٧ـ المصدر نفسه، ص٩٤ـ٩٧.

٢٠٨ـ المصدر نفسه، ص٩٧ـ٩٩.

مستوى حنكة دُهاة الغرب وساسة العالم المتقدم»[٢٠٩].

ونشرت جريدة الامة العربية التي تصدر في جنيف باللغة الفرنسية مقالاً ذكرت فيه «ان الملك فيصل هو الذي كون تاريخ النهضة العربية، بل هو بطلها دون جدال. . . كان ذا ذكاء مقرون بنشاط غزير وكياسة مدهشة في السياسة. . . واخلاقه الملائكية ولطفه الواسع هما اللتان اجتذبتا اليه احترام خصومه وصداقتهم. . . ان الخسارة لاتعوض، وقد حل في المملكة باسرها حزن لايوصف لانها كانت بأمس الحاجة الى اعماله ومشورته الثمينة». وذكرت الجريدة ان الصحف الفرنسية ومنها «الطان» لم تكتم ارتياحها، وانها كتبت في عددها الصادر يوم ٩ أيلول «ان بعض الحركات التي لم تنظر الحكومة السورية الى تقدمها بنظر الارتياح ستتوقف بالوفات الغير منتظر - غير المنتظر - التي حلت بمحرضها الذي كان يسعى وراء الانتفاع منها فيما بعد»[٢١٠].

ورثاه الكثير من الشعراء العراقيين والعرب منهم جميل صدقي الزهاوي في قصيدة مطلعها:

خطبت توبنك الدموع ... واتت تشيعك الجموع

ومعروف الرصافي في قصيدة تذكر منها هذه الابيات:

قضى بدر المكارم والمعالي ... وحيدرة المعارك والمغازي
رزئنا ابن الحسين فنحن منه ... برزء للحسين اولو اجتياز
وماهم بالبكاء جزوك شيئاً ... ولكن الاله هو المجازي

ورثاه الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي:

ياسفينة التايه وطرها الفلك
مات فيصل ياغريب اذكر هلك
مات فيصل مات عزك يافقير
بعد عينه راح بيمن تستجير

٢٠٩- المصدر نفسه، ص١٠٧-١٠٩.

٢١٠- الاستقلال، ١٩٣٣/١٠/١٢.

ومن الشعراء العرب الذين سبق ان مدحوه، احمد شوقي في قصيدة جاء فيها:

ياشراعاً وراء دجلة يجري — في دموعي تجتنبك العوادي

امة تنشيء الحياة وتبني — كبناة الابوة الامجاد

ملك الشط والفراتين والبطحاء — اعظم بفيصل والبلاد

وقد اغضبت هذه القصيدة الملك المصري فـؤاد.[211]

كما رثاه الشاعر بشارة الخوري بقصيدة مطلعها

طلعت شمس فيصل للعرب — مصابيح من شقوق الغمائم

ورثـاه حلمي ابو شعبان من غزة بقصيدة من ابياتها:

كفكف دموعك لاتهن — حكم القضاء فلا مردا

الفيصل المسلول وارته — المنون اليوم غمدا

وكتب حسني كنعان في دمشق نشيداً اسماه نشيد الذكرى

يامليك الرافدين — كرم الله ثراك

ياحفيد الحسين — حقق الباري رجاك

انت في الخلد مقيم — ياسليل الانبياء

تلك جناة النعيم — للشقاة الاتقياء

مـــات فيصـــل خلـــدوه

بالمباديء قـــلدوه[212]

عـــلى المـــستوى العالـــمي

ظهر رد الفعل لوفاة فيصل في الصحف البريطانية التي ابنته وخشى السياسيون البـريطـانيـون ان تؤدي وفاته الى حدوث اظطرابات.[213] وقال الجنرال اللنبي «بوفاة فيصل تطوى شخصية من اجمل الشخصيات التي لها شأن في الحرب العامة والتى لعبت فيها دوراً مهماً».[214]

٢١١- خليل كنة، المصدر السابق، ص٣٨.

٢١٢- العالم العربي، ١٩٣٣/٩/٢٤.

٢١٣- محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص٧٠.

٢١٤- مديرية الدعاية العامة، المصدر السابق، ص١٦٥.

وذكـرت جريـدة «الديبـا» الفـرنسية «ان الفقيد كان يبث الفكرة الوطنية العربية وينميهـا بعنـايـة واهتمـام. وهـو لـم يكن صديقـاً لفرنسا، بل كان يحاول اخراجنا من سوريـا على رغم الاتفـاقـات المعقـودة. ولكنـه كان ذكي الفؤاد، بصيراً في الامور، فادرك على اثـر ذلـك ان مصلحتـه ان تكـون العـلاقات ودية صميمية، ولا يستبعد ان نكون واهمين في ذلك لان الفقيد كان سياسياً شديد التكتم».[٢١٥]

وقـالت جريـدة «الجـورنال» «بوفاة الملك فيصل يتوارى ليس فقط هليك كانت سيـاستـه موضـع جدل ونقـاش، بل اعظم شخصيـة بارزة وأنبـه رجـل عرفـه الشرق. . . وقد خلق فيصل لفرنسا مشاكل خطيرة اتعبتها»[٢١٦]

وقـال بونسـو المنـدوب السـامي السـابق لفـرنسا في سوريا لمراسل رويتر «انني احمل لفيصل في قلبي اعظم الاحترام والتقدير، واعترف بذكائه النادر وفطنته البالغة وليس يسعني الا ان اقول لك ان موت فيصل معناه اختفاء ابرز شخصية عرفها العالم العربي».[٢١٧]

كمـا اشـادت الصحف الايطالية بشخصيته ودوره.[٢١٨] وذكرت وسائل الاعلام التـركيـة ان وفـاة الملك فيصل خسارة فادحة للعراق، ونشرت الصحف عدة مقالات اشادت بدوره في الثورة العربية، وذكر المؤرخ التركي عمر رضا بك ان فيصل سعى «بكـل قوة في سبيـل تحقيق امـاني العـرب» وان اهم عوامل قلقه واضطرابه هو نكث الدول الكبرى لوعودها، التي قطعتها للعرب.[٢١٩]

× × × ×

وكـانت اربعينيـة الملك فيصـل بمثابة تظاهرة قومية، اذ حضرت وفود من سورية وفلسطين وكبار الشخصيات الفلسطينية، فقد ذكر اكرم زعيتر في كلمته «فيصل فكرة خالدة وعقيدة راسخة» لن تفنى الفكرة الصالحة، لن تزول العقيدة الصادقة، انه لم

٢١٥ـ محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص٧٣.
٢١٦ـ المصدر نفسه، ص٧٣.
٢١٧ـ المصدر نفسه، ص٧٤.
٢١٨ـ المصدر نفسه، ص٧٤ـ٧٥.
٢١٩ـ المصدر نفسه، ص٧٢.

يمت، انــه في الخــالـدين، في موكب الابطـال الميـامين، الى جانب ابي جعفـر المنصـور والـرشيـد. ان لقـريش لصقـرين، عبـد الـرحمن بن معـاوية، وفيصل بن الحسين. . . فيصـل جاهـد حيـاً ومـازال مجاهداً. جئنا نطوي البيد ونجوب القفار، لتمجيده. . . فداحة الكارثة بفقده وحدت شعور العرب واججـت عاطفتهم وصرفت اذهانهم الى فكرته.[220]

وجاء في كلمة احمد رضا العاملي من جبل عامل،ان فيصل شهيد العرب، كما اشاد بسياسته وحنكته ودهائه، وقال في ختام كلمته «لاقرت عيون الشامتين ياغاية آمال العرب».[221] ثم قرأت بعد ذلك برقية قائد الكتلة الوطنية في سورية هاشم الاتاسي.[222]

فيــصل فــي المــيزان

اجمـع السيـاسيون العرب والاجانب، وكل من كتب في تاريخ العراق المعاصر ان وفـاة الملك فيصـل تركت فراغـاً سياسياً كبيراً، كان له اثره في اختلال التوازن بين السيـاسيين العـراقيين، الامـر الـذي فتـح باب الصـراع على مصـراعيـه بين الكتـل والشخصيات السياسية. والمعروف ان فيصل كان يمتلك قابلية كبيرة في التوفيق بين الاراء المختلفة وكسب الاخرين الى جانبه. وقد ظهرت هذه القابلية خلال تعامله مع شيـوخ العشـائـر اثنـاء الثـورة العـربيـة. ويـذكـر الاستـاذ ساطـع الحصـري ان مقدرة الملك هذه تجلت له (في ظل بيت شعر مكشوف الجوانب، اقيم بالقرب من محطـة السكـة الحـديـدية في درعا. لقد جلس الملك فيصل القرفصاء، بالرغم من ملابسـه العسكـريـة، واخـذ يحادث الشيوخ المجتمعين حوله بلهجة بدوية صرف باوضـاع بدويـة بحتـة، وكأنـه واحد منهم، لذلك لـم استغرب، عندما قرأت بعد مدة ماكتبـه عنـه بوانكـاريـه، في مجلة العالمين الفـرنسيـة، بعـد انفكـاكـه من رئـاسة الجمهـوريـة، احتجـاجـاً على فكـرة سفر الملك فيصل الى انكلترا «نحن نعرف انه

٢٢٠ـ الاستقلال، ٢٥ / ١٠ / ١٩٣٣.

٢٢١ـ الاستقلال، ٢٩ / ١٠ / ١٩٣٣.

٢٢٢ـ محمد مظفر الادهمي، وفاة الملك فيصل الاول

يؤدي الى تعكير صفو العلاقات القائمة بيننا وبينهم.[٢٢٣] وقد اشارت مجلة «جورنال دي جنيف» الى هذه الحقيقة بقولها «ان موقف فيصل هو دقيق لان جميع المنازعات تصل اليه، فهو اذي يحمل على عاتقه مهمة التوفيق بين رغائب شعبه، والحدود التي يفرضها الانتداب على البلاد. وبتعبير اخر انه يتحمل مسؤوليات المسامحات الضرورية، وان هذه المهمة شائقة لايجني منها صاحبها من ثمار الثناء الطيب، بقدر مايجني من نكران الجميل. الا ان الملك قد قام بهذه المهمة بصورة زادت - في خلال هذه السنتين» وزيادة عظيمة بارزة - سلطته في بلاد لم تكن في الاصل بلاده».[٢٢٤]

ويقول عنه فوستر «فانه كان ولاريب عربياً صميمياً يبحث في جميع الاعمال التي قام بها عن طريق يؤدي به للعيش بسلام وكان الفرنسيون يرمونه بصداقة لأنكليز، وكان هؤلاء يقولون عنه بانه محب للعرب، والصفة الاخيرة هي الصفة التي كان يختارها ويرتضيها لنفسه».[٢٢٥]

واكد نوري السعيد ان الملك كان الناظم للساسة العراقيين،[٢٢٦] وكان كثيراً يوفق بين وجهات النظر المختلفة بينهم، واستطاع بصبره وسماحته كبح جماع الساسة وان يرفعهم الى المستوى اللائق لخدمة البلاد.[٢٢٧]

وكان فيصل يمتاز بالعقل والحكمة، بعيداً عن التهور والاندفاع، قال عنه احد الساسة الفرنسيين انه حازم وديمقراطي، يحسن قيادة اكبر مملكة في العالم «وفي يقيني انه يفوق والده نباهة فهو جلاد الوقت عدو اليأس تكاد تقرأ على جبهته كلمة نابليون، ليس في قاموس كلمة مستحيل».[٢٢٨]

وكان كما يذكر الاستاذ ساطع الحصري ذكياً حاد الذكاء ومثابر في العمل من

٢٢٣- ساطع الحصري، صفحات من الماضي القريب، ص١٢-١٤.

٢٢٤- العالم العربي، ١١/١/١٩٢٩.

٢٢٥- هنري فوستر، المصدر السابق، ص١٥٠.

٢٢٦- خليل كنة، المصدر السابق، ص٣٨.

٢٢٧- المصدر نفسه، ص٣٨.

٢٢٨- العراق، ٣/١٠/١٩٣١.

اجل مصلحة البلاد ومستعد دائماً للتضحية بكل ماهو عزيز.[٢٢٩]

ويذكر موريسوس انه كان اكثر اخوته اجلالاً ورقةً وكياسة ودبلوماسية ولمع صيته بين العرب حتى سمي ، باسمه الاطفال(*) في اقاصي البلاد العربية وأدانيها.[٢٣٠]

وكان الملك يتحلى بالكثير من الصفات الجيدة التي اكسبته حب واحترام الشعب والساسة العراقيين والاجانب. وقد لمسنا ذلك من خلال ردود الفعل لوفاته. ولعل اصدق انطباع عن فيصل هو ماكتبه وزير خارجية امريكا «لانسنغ» صاحب كتاب العظماء الاربعة الذي كان يرافق ولسون في مؤتمر الصلح اذ قال «فانا لااذكر هذا العربي الكريم الا تجلى في خاطري محياه ولباسه ونهوضه كما يتجلى ذكاؤه وسجاياه. . . اذ انظرت اليه شعرت انك تنظر الى رجل اختارته الطبيعة اميراً على الرجال»[٢٣١].

وقال عنه لورنس «لم ارَ في حياتي رجلاً يضطر محدثه الى التعلق به والتفاني في خدمته مثل الامير فيصل. ولو كان القواد جميعهم يتمتعون لدى جنودهم بالحب الذي اراه متأصلاً في نفوس العرب لهذا الامير الشاب لاستطاع اولئك القواد ان يفتحوا العالم باسره»[٢٣٢].

وكان فيصل ديمقراطياً الى حد بعيد يحترم وجهات نظر الاخرين ونادراً مايستخدم سلطته القانونية او المعنوية في مسائل شخصية غير مشروعة. وقصته مع الشاعر الرصافي معروفة. فقد قال عنه الشاعر

وليس له من امرهم غير انه يعدد اياماً ويقبض راتبا

وهذا هجاء مابعده هجاء. وحين ارسل بطلب الشاعر، عاتبه على هذا البيت من الشعر وسأله «احقاً انا اعدُ اياماً واقبض راتباً» فكان رد الرصافي ، بان الناس يقولون عنه ذلك، وذكر بعضهم ان رده كان «اتمنى ان لاتكون كذلك». [٢٣٣] وقد رفض

* اطلق العقيد الشهيد فهمي سعيد أحد ضباط انتفاضة مايس ١٩٤١ ، اسم فيصل على ابنه الصغير.

٢٢٩- ساطع الحصري ، صفحات من الماضي القريب، ص١١.

230- Morris, OP.cit.,p.67,

٢٣١- لسان العرب، ١٩٢١/١٢/٢٧ .

٢٣٢- العراق ١٩٣١/١٠/٧ .

٢٣٣- مقابلة مع الاستاذ حسين جميل، ١٩٨٨/١/١٠

الـزهـاوي ان يكـون شاعـر الملك مقـابل راتب معين، وكان رده انه لايمدح بالاجرة «واني اقبل الوظيفة بشرطين ان لااقول الا عندما ارى المدح واجباً وان لايكون الراتب لوظيفــة المـدح»[٢٣٤] وحين التقى بسليمـان فيض الـذي شارك في اضـراب رسـوم البلديـات طلب منـه عدم الاستمـرار في مسـاندة الاضراب واكد له انه عفى عنه. فرد عليـه سليمـان فيضي «اني اتقبـل هذا اللطف بكـل شرف ولكني لااعتبـر كلمة العفو الالطفـاً لاني لست مجرماً... فقال له فيصل، لاتجادلني ياسليمان، فرد عليه ليس هذا جدال، بل هو بيان حقيقة».[٢٣٥]

وروى لي السيد فؤاد عارف مرافق الملك غازي وزميله في المدرسة العسكرية، ان الملك فيصل ارسل مرافقة الى آمر المدرسة العسكرية يطالبه بالاهتمام بآمراحضيرة الاميـر غازي «عبـد القـادر الخطيب» الـذي تمكن من بنـاء علاقـة صداقة مع الامير غازي وزاره في القصـر اكثـر من مرة. وكـانت النتيجـة ان قررت المـدرسة العسكرية فصـل هذا الطـالب ثم تخفيف العقـوبـة باعتبـاره راسباً في صفه لانه تصرف بشكل لايليق بمهنته، ولم يتدخل بعدها الملك لرفع العقوبة عن الطالب.[٢٣٦]

وفي عام ١٩٣٢ رفضت وزارة المـاليـة دفـع مخصصـات اكثـر من الحد المقرر رسميـاً، للطيـارين الـذين رافقوا الملك اثناء عودته من عمان في ايلول ١٩٣١، كما رفـضـت دفــع مخـصـصــات الجنـدي الـذي رافق الملك، لانـه لايستحق هذه المخصصات. وقد كتب وزير الدفاع الى رئاسة الديوان الملكي ملتمساً دفع المبلغ وقدره ٢٥٠ر٢ دينار فقط من الخزينة الخاصة.[٢٣٧]

وقد امتعض الملك ذات مرة لانه سمع قاضي البصرة الحاج علي الشواف بعيد عن النزاهة لانه اشترى اراضي زراعية لاتتناسب مع راتبه.[٢٣٨]

٢٣٤ـ امين الريحاني، المصدر السابق، ص٨٨٩.

٢٣٥ـ سليمان فيضي، في غمرة النضال، ص١٨٤

٢٣٦ـ مقابلة مع الاستاذ فؤاد عارف في ٢٢/٦/١٩٨٧.

٢٣٧ـ انظر الملحق رقم ٢.

٢٣٨ـ توفيق السويدي، مذكراتي، ص١٦٦

والمعروف ان فيصل حين غادر بورسعيد الى اوربا بعد اخراجه من دمشق طلب من والده ان يرسل له بعض النقود لانه لم يكن يملك شيئا منها.

ويشير الاستاذ ساطع الحصري الى ان الملك سأله فيما اذا كان نجله غازي لايصلح لولاية العهد، بعد ان ظهرت عليه بوادر عدم الذكاء، وعدم استيعاب الدروس بشكل جيد وقال له «تعرف ياساطع باني احب اسرتي، واحب ابني غازي، واحب ان اؤسس اسرة مالكة . . . ولكني احب امتي اكثر من اسرتي واكثر من غازي . . اذا كان غازي لايخلو من غباوة، فانا سوف لااتردد في العمل بما يحتمه علي الواجب الوطني، ساجمع مجلس الامة، وسأقول اني اجعل الامة في حل من ولاية عهد ابني . . . »[٢٣٩]

وقد كان موريوس محقاً حين قال ان حكم فيصل في العراق مثلاً رائعاً وفريداً للملكية الدستورية في دولة متأخرة.[٢٤٠]

لايخفي ان الملك كان يتجاوز على صلاحياته الدستورية بتدخله في شؤون الدولة حين كان يرى ان المصلحة تقتضي ذلك، ولم ينكر الملك انه كان يتجاوز صلاحياته، وبالذات قبل اقرار الدستور، كما ان طبيعة الموقف تستوجب ذلك، وهذا هو الذي جعل ايرلاند يؤكد ان الملك لعب دور المستبد العادل، ولولا ذلك لترنح النظام السياسي في العراق او لانهار باجمعه.[٢٤١]

كما عرف الملك بنشاطه الجم وحيويته في العمل حتى الايام الاخيرة من حياته، فقد كان ينهض في الصباح، ويقرأ الصحف ثم يبدأ بمطالعة الكتب الرسمية، ولم يتردد في اجهاد نفسه فوق طاقتها.[٢٤٢] وكان هذا الاجهاد احد الاسباب التي ادت الى الاسراع في وفاته. وقد نصحه الكثير من السياسيين بعدم اجهاد نفسه، لكن دون جدوى، حتى انه كان يبدو اكثر بعشر سنوات من عمره.[٢٤٣]

٢٣٩ـ ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ج١، ص٣٩٦

240- Morris, op. cit., p.78

241- Ireland, op. cit., p.424

٢٤٢ـ محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان، المصدر السابق، ص٤٤

٢٤٣ـ المصدر نفسه، ص٤٥

ان هذه الصفات التي تحلى بها الملك مكنته من ان يسير قدماً في السياسة التي انتهجها والقائمة على شعار «خذ وطالب» والتي مفادها ان نيل الاستقلال يكون بشكل تدريجي، بأخذ جزء من الحقوق من بريطانيا ثم المطالبة بالجزء الاخر. وفي هذا الخصوص يقول الاستاذ ساطع الحصري «ان سياسة خذ وطالب التي وضعها لنفسه ولدولته، والتي اوصلت العراق الى اوج رفعته كان يمكن ان تصبح سياسة مضرة، لولم تحمل نفس فيصل الكبيرة طاقة لاتنضب من روح النشاط والمثابرة، ولو لم تؤجج في اعماق صدره سعيراً من الوطنية الخالصة». [٢٤٤]

وقد حققت سياسته القائمة على اساس تحريض المعارضة لممارسة الضغط على بريطانية، نجاحاً كبيراً، اثار غضب البريطانيين، وقد اكدت المس بيل هذه الحقيقة كمامر، و اكد هذا ايضاً خليل كنة. [٢٤٥]

ويقول عنه علي جودت الايوبي انه كان «الربان الحكيم، يدير الامور بصبر ورحابة صدر ويصلح بين رجاله ويوحد قلوبهم». [٢٤٦]

كل هذا يجعلنا لانشك في وطنية فيصل واخلاصه للعراق، فقد كان كما قال عنه احد الالمان «انه وطني صميم اكثر منه ملكاً متوجاً». [٢٤٧] واكد الاستاذ الحصري ان لديه الكثير من الادلة على عمق وطنية فيصل وقوتها. [٢٤٨] فقد كان يكن في قرارة نفسه احتراماً كبيراً للعناصر المعادية لبريطانية، وقد اشارت بيل الى تقريبة العناصر الوطنية كما اشرنا سابقاً. وقد خفف حكم الاعدام الصادر بحق ابن عبدكة، الى السجن ١٥ سنة. وكان ابن عبدكة قد قتل جاسوساً بريطانياً، وكانت له مواقف مشرفة في ثورة العشرين. [٢٤٩] ولم يكن يرغب ببقاء عبد الحميد السدخان متصرفاً لكربلاء

٢٤٤ـ ساطع الحصري، صفحات، ص١٦.
٢٤٥ـ خليل كنة، المصدر السابق، ص١٣.
٢٤٦ـ علي جودت الايوبي، المصدر السابق، ص١٩٠
٢٤٧ـ العراق، ١/١٠/١٩٣٠.
٢٤٨ـ ساطع الحصري، صفحات، ص١٧.
٢٤٩ـ سليمان فيضي المصدر السابق، ص٢٨٥-٢٨٦.

لتأثره بالبريطانيين وعلاقاته مع دار الاعتماد.(٢٥٠) كما رفض مقابلة باي تونس محمد الحبيب لعدم اخلاصه لبلاده.(٢٥١)

لقد تمكن فيصل بفضل شخصيته وسياسته من ان يسهم في تكوين دولة العراق الحديث، حتى اعتبره بعضهم باني كيان العراق ومجدد نهضته،(٢٥٢) اذا ماأخذنا بنظر الاعتبار ان دولة العراق قامت على انقاض دولة متهدمة، ولم تكن تمتلك من مؤسسات الدولة لحديثة شيئاً. وان العراق كان يعج بالمشاكل الداخلية والخارجية يوم تولى فيصل عرشه. ومع هذا فانه خطى في السنوات الاثنى عشر خطوات مهمة الى الامام، اذ وضعت قواعد المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وقد استقر الرأي بالاجماع على ان الفضل في تكوين بناء العراق يعود الى درجة كبيرة الى حنكة فيصل الاول ونشاطه الذي لم يعرف الكلل واهتمامه الزائد بالشؤون العامة.(٢٥٣) واكد جميل المدفعي ان وفاة الملك المبكرة حالت دون تقدم العراق، ولو بقي على قيد الحياة لقطع العراق خطوات اوسع.(٢٥٤)

وبامكاننا القول ان فيصل أراد ان يجعل من العراق دولة نموذج تقتدي بها بقية الاقطار العربية.

لكن هذا لايمنعنا من القول ان فيصل اسرف في مجارات الفرنسيين والبريطانيين في بعض المواقف، وكان عليه ان يكون اكثر صلابة، واشد حزماً لان مواقفه تلك يصعب تبريرها.

(انتهى بعون الله)

٢٥٠ـ عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، ط١، مطبعة فضول، بيروت ١٩٦٢، ص٢١٧

٢٥١ـ العالم العربي، ١٩٢٦/١٠/٢٣

٢٥٢ـ علي جودت الايوبي، المصدر السابق، ص٢١٦

٢٥٣ـ هنري فوستر، المصدر السابق، ص٥٧٠ـ٥٧١.

٢٥٤ـ عبد الحميد العنبزي، المصدر السابق، ص٣٥

الملاحق

الملحق الاول :ـ كتاب من مسؤول بريطاني في دمشق لى وزارة الخارجية البريطانية، يشير الى تدبير محاولة، يقوم بها المسؤولون في اجهزة الامن السوري لاغتيال الملك فيصل الاول.

Damascus,
13/10/21.

TO
Foreign Office. 134.P.
S.O.S. 130.P.
Jerusalem 132.P.
Baghdad 102.P.
Cairo 98. P.
Beirut. 103.P.
G.H.Q. 56.
B.L.O. Beirut. 44.

My Lord,

E/6635/100/73

With reference to my despatches 140.P. and 166.P. concerning a plot, in which the secret police agent Adib el Asali is implicated, to murder King Feisal I have to-day received further information which makes it appear likely that the affair has made a forward step.

I hear, *from the* ~~information~~ head, that several persons will shortly be detailed to proceed to Irak in connection with this plot: and that the Chief of the Damascus Police, Hamdi El Jelad, is not only cognizant of the affair but is actively promoting it. Oseimi Pasha is also said to be implicated in it.

My informant states he could give me all the names of those going, but without giving him any money, I fear they will eventually not be supplied to me.

2. As regards the reliability of this informant I may point out that he supplied me with a list of names of persons who had proceeded to Amman to foment trouble there. This list included the name of Selim el Mufti, who was arrested at Jerash on Aug.7th, and brought to Amman as a prisoner on Aug.11th. I was actually able to despatch my report containing the list of Agents in question on Aug.10th., which implies that the actual information was supplied to my 3rd Dragoman not later than Aug.9th., and probably earlier than that.

It does not, therefore, appear likely that my informant could have already heard of this arrest when supplying the list, and I am consequently compelled to believe that he is really disposed to supply valuable information. He is, however, disgusted at not receiving any recompense for his trouble and excessive risk.

I fancy a matter of a pound or two for each item of the above nature would content him, and that for this sum the list referred to at the end of paragraph one would be obtainable.

It seems regrettable to allow this or similar opportunities to escape. I therefore venture to suggest that I should be authorized to expend a small sum- say not over £.40 a year- for cases of this nature. I may add that the authorization to expend a similar sum at the Dardanelles proved of the utmost help in controlling movements of certain vessels, Transports, & their contents etc.

I should of course account for any sums so expended in my Account-current.

I have the honour to be
Sir,
with the utmost respect,
Your Lordship's
Most obedient, humble servant, [signature]

His Majesty's Principal
Secretary of State,
For
Foreign Affairs.

الملحق الثـانـي :ـ كتـاب من وزارة الـدفـاع الى رئـاسة الـديـوان الملكي تطلب فيه صرف مخصصات للضباط الذين رافقوا الملك فيصل، بعد ان رفضت وزارة المالية صرف المبلغ

MINISTRY OF DEFENCE,
BAGHDAD.

Date ________ 19

No.

وزارة الدفاع

بغداد

التاريخ ... تموز ١٩٣٢

رقم

١٠٩٧

الى :
رياسة الديوان المجلس
بغداد .

الموضوع : مخصصات سفر لمنتسبي القوة الجوية العراقية .

ان الطيارين العراقيين الذين يسافرون الى سورية وعمان بوسائط رسمية كنقل صاحب الجلالة الملك المعظم وفخامة رئيس الوزراء وغيرهما من المهام يضطرون في بعض الاحايين الى قضاء ليلة في الرطبة اما للتمكن من الوصول الى المحل المقصود قبل الوقت المعين واما لحدوث خلل في طائراتهم . ولما كان الفندق الموجود في الرطبة هو الفندق الوحيد في الصحراء فالطيارون يتكبدون نفقات تزيد على المخصصات التي يستحقونها وفق نظام مخصصات السفر العسكري المرقم ١٣ لسنة ١٩٢١ .

ففي ٢٧ ايلول ١٩٣١ طار ثلاثة طيارين مع جندي من بغداد الى عمان بمناسبة عودة صاحب الجلالة . وعملا باوامر فخامة رئيس الوزراء اقاموا في الرطبة ليلة ١٩٣١/٩/٢٧ ليتسنى لهم الوصول الى عمان في الوقت المعين في ١٩٣١/٩/٢٨ ولاجراء بعض التصليحات الطفيفة استعدادا للعودة مع صاحب الجلالة في ١٩٣١/٩/٢٩ وقد بلغت نفقاتهم في الرطبة ٤٠/٨ ربية .

ولما كان لا يحق للضابط منهم ان يتناول مخصصات سفر اكثر من اربع ربيات ونصف ربية لكل ليلة وكان لا يحق للجندي تناول شيء من المخصصات المذكورة كنا فاتحنا حينئذ وزارة المالية في شأن دفع ١٣ ربية عن كل ليلة يقضيها الطيارون في الرطبة بدلا من المخصصات المنصوص عليها في نظام مخصصات السفر العسكري مع الموافقة على دفع النفقات التي تكبدها الطيارون في السفرة المذكورة وتخصيص مبلغ ثلاث ربيات للجندي عن كل ليلة . ونظرا الى عدم موافقة وزارة المالية على اقتراحنا هذا اضطررنا الى دفع مخصصات سفر الضباط الطيارين على

معدل اربع روبيات ونصف روبية عن كل نفقة ، غير انهم لا يزالون يقدمون طلباتهم بالمبالغ التي انفقوها في هذا السبيل ، ونرى انهم محقون في طلباتهم هذه لأن قرار وزارة المالية القاضي برفض هذا الطلب وعدم التعويض للضباط عما لحقهم من الخسائر المادية الثابتة مما يجحف بحقوقهم ، لذلك نرجو توسطكم في تعريفنا اذا كان صاحب الجلالة الملك المعظم يرغب في التفضل بالامر بدفع المبلغ المطالب به من الخزينة الخاصة وقدره ٢/٠٢٥ دينارا .

وكيل وزير الدفاع

صورة الى :

وزارة المالية - بغداد

اشارة الى كتابها المرقم ٨٩٢٤ والمؤرخ ١٦ حزيران ١٩٣٢ .

١٩٣٢/٧/١٣

الملحق الثالث :- رسالة من الملك فيصل الاول الى المندوب السامي البريطاني ، السير برسي كوكس ، يضع فيه مقترحاً للمادتين الاولى والثانية من المعاهدة العراقية - البريطانية

بغداد

١٩ - ايار - ٩٢٢

عزيزي السير برسي

وفقاً لرغبة فخامتكم ابعث اليكم طيه بقطعة من حيث الحالة الاولى من

صورة المقاولة العسكرية بدون ان ابدي عليها اية ملاحظة ثانية وانما

نوهت لفخامتكم ارجو ان اكرره انه اذا قبل الطرف الثاني تكوين تشكيل

قوة عسكرية قوامها عشرون او خمسة وعشرون الفاً منها ثمانية الى عشرة

الوف تحت السلاح لتأمين الامن والباقي احتياط ففي اعتقادي بعد ما

انقده يكون كافياً مع ما نستمده من قوة حكومة صاحب الجلالة وان تمت

الموافقة من هذا المبدأ تكون المذاكرة في بقية النقاط واعتقد الاتفاقية

لذلك والله يحفظكم

صديقكم الملك

فيصل

يتعهد جلالة ملك بريطانيا العظمى بصيانة حدود المملكة العراقية من كل تجاوز خارجي وحفظها من اضطراب داخلي طول مدة هذه المعاهدة

٧

يتعهد جلالة ملك العراق باعداد القوات المسلحة اللازمة لتأمين السكينة في الداخل ولصد كل تجاوز يقع من الخارج على العراق ولاجل قيام بهذه المهمة ووفقاً للمادة السابقة من المعاهدة يمده جلالة ملك بريطانيا بالمواد والمهمات الآتية :

الملحق الـرابع :ـ كتاب من المندوب السامي البريطاني هنري دوبس الى الملك فيصل الاول يشير فيه الى وجود فكرة لعرض عرش سورية على احد ابناء ابن سعود

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٩م.

يا صاحب الجلالة

ابرقت اليكم منذ يومين معربا عن ذعري واسفي لوفاة عبد المحسن ومن مشاركتي جلالتكم شعوري بالاسى الذي سببته تلك الحادثة. لا استطيع فهمها لأن الحكومة البريطانية قد اعربت عن استعدادها لأن تعمل كل ما في وسعها لتنفيذ رغبات العراق ولا يلحق هناك ما يدعوه الى اليأس من مستقبل بلاده. كثيرا ما سمعته لما كنت في بغداد انه كان لعبد المحسن متاعب جمة ولا استطيع تصور تفكيري في ان هذه المتاعب يجب ان تكون السبب الحقيقي لعمله. مهما كان هذا الامر فاني اشعر بأسى عميق ان رجلا ابدى لي من اللطف الكثير وكان صديقا مخلصا وغالبا قد انتهى بذلك الشكل. كان يوثق به ويحترم اكثر من كل رجال الامة العراقيين ولا ادري الى من تستطيعون جلالتكم ان تتجهوا الآن في طلب المشورة الصادقة النزيهة.

الآن اصبحت الحاجة الى ذلك اشد اذ لانه مهما يسمح للحكومة البريطانية بدخول العراق في عصبة الامم في ١٩٣٢ فقد تفشل اذا حصل اضطراب جدي او تردد ما بين الوقت الحاضر ووقت الاستدعاء بالدخول. ان ما اخشاه هو ان يفقد الوطنيون الاقل صبرا بعد ان ترك لهم العنان الذي كانت حكومة عبد المحسن تردعهم به ويقوضون السلطة والادارة الحسنة في الالوية ليضطرب الامر وتنقص الواردات مما يرجع البلاد الى القهقرى. والذي يجعلني اضطرب من اجله اكثر من كل شيء المناطق الكردية في كتابي الاخير الذي حررته الى عبد المحسن والذي اعتقد بانه قد وصل اليه قبيل وفاته رجوته فيه ان يتخذ بعض التدابير في الجهة التي كثيرا ما كنت الح بها في تكوين الصداقة والاتحاد ما بين العرب والاكراد. تعلمون جلالتكم شعوري جيدا حول هذا الموضوع ولا احد سوى ذاتكم متمكن من عمل الشيء المطلوب. اذا ضربتم جلالتكم مثلا وجملة الاكراد المؤمنين في بغداد تكسبون قلوبهم. شيء آخر يلوح لي مهما لضبط المناطق الكردية ولسلامة العراق عندما ينظر الى الاعتماد على مراقبه الخاصة هو تمديد خط الحديد من كركوك الى الموصل. ابتوحا العراق بسرعة فلما يتجر ذلك وانكر انه بالامكان تدبير امره قبل ١٩٣٢م. [illegible] سيين يجتمعون [illegible] الامم [illegible] بسلوك [illegible]

فانهم يقومون بخدمة العراق اكبر بكثير من اية خدمة قدمت له الى الآن وتجعل [illegible] كأمة مستقلة [illegible].

اخذت اخيراً اخبار عن جلالتكم من [illegible] لكنه لم يتمكن من اخباري بالشيء الكثير عن مزاجكم وصحتكم التي كانت لي [illegible] في غاية الاهتمام [illegible]. آمل ان يكون محصول [illegible] هذه السنة وان كثيراً [illegible] الامراء يستفيدون من [illegible] كثيراً [illegible] زراعتهم [illegible].

اني [illegible] ما [illegible] صديق [illegible] لقد [illegible] والخبر [illegible] طيب [illegible] غير اني يصعب علي التصديق بانهم يقومون بتجربة خطرة كهذه ومن الممكن ان يكون في الخبر هذا شيء. ليزعجني ان استخبر عن ذلك من وزارة المستعمرات غير اني افكر انه قد يكون من المهم [illegible] ان يسأل من وزارة المستعمرات عنها اذا كان هناك شيء من الصحة في الاشاعة حسبما اتصل بها. كان [illegible] به يعمل [illegible] اني لفي [illegible] ان [illegible] سعيد [illegible] ان يكون [illegible] موقفكم على الاستقلال طي آماله.

[illegible] مع السير فرنسيس همفريس [illegible] العراق. عرفته مدة سنين عديدة واني متأكد من ان جلالتكم [illegible].

وعلي ان اختم هذا الكتاب متمنياً لجلالتكم الرفاه والسعادة.

لصديق جلالتكم المخلص

هـ. دوبس

الملحق الخامس : ـ كتاب من الملك فيصل الاول الى المستر امري وزير المستعمرات البريطاني ، يوضح مدى اهتمام الدولة بشؤون البلاد الاقتصادية .

بغداد في ٥ آيار
سنة ١٩٢٨

عزيزي مستر امري

لا بد ان فخامة المندوب السامي اخبركم بما دار بيني وبينه من الحديث بمناسبة انقضاء مدة المستر ورنس وما افلق عليها من الأهمية . وفي الحقيقة ان هذه المسئلة كثيرا ما كانت تشغل فكري بالنظر لخطورتها وعلاقتها بعمران المملكة ولذلك احب ان انهي الى فخامتكم بما يدور في خلدي حولها لتتمكنوا من ملاحظة نظري بشكل واضح .

١ — اني اعتقد شخصيا ان اهم الاسباب التي تركت كثيرا من المسائل المالية معلقة الى اليوم ومعرضة للمخابرات الطويلة ما بين بغداد ولندن وجعلت في نفس الوقت تقدمنا الاقتصادي بطيئا واثرت تأثيرا غير مرضي على بعض المشاريع التي تهمنا جميعا يجب ان نعزي في الدرجة الاولى الى فقدان اليد المقتدرة التي تتمكن من ادارة دفة السياسة المالية في هذه البلاد .

٢ — ثم ان لدينا مسائل مالية مهمة تحت البحث وفي القريب العاجل ستجابه بمسائل مهمة غيرها نظرا الى ما نرى من الرغبة عند رجال المال في استثمار اموالهم هنا والى ما نشعر به من الاحتياج الشديد للقيام بمشاريع عمرانية تساعد على النهوض بالبلاد بالسرعة الممكنة . كل هذه الاعتبارات وضرورة تأسيس سياستنا المالية على دعائم ثابتة ومكينة تضطرني الى ان اوجه عنايتكم الى وجوب ايجاد مستشار مالي قدير من الطراز الاول ذي اختبارات واسعة يكون معتمدا عليه من جانب حكومة جلالة الملك والحكومة العراقية وله شهرة محترمة في الاسواق المالية العالمية .

ان هذا الاقتراح اذا صادف لديكم ارتياحا من حيث المبدأ، وافقتم فخامتكم على مساعدتنا في ايجاد المستشار المطلوب فانني مستعد لان ارجو حكومتي بشكل الحاح بان تخصص له ما يجعله مرتاحا وتمنحه الصلاحية الكافية للقيام بما تحتاج اليه البلاد من اصلاحات مالية وعمرانية على ان تطلق حكومة جلالة الملك يده وتمنحه من جانبها الحرية اللازمة لمعالجة الامور بالسرعة المنشودة .

فاذا تقرر ما سبق ارى ضرورة ماسة لوجود شخصية بارزة مماثلة للقيام بمهام وزارتي الري والزراعة والاشغال العمومية واني آمل بتعاون هذين الاختصاصيين ان تخطو البلاد خطوات سريعة نحو التقدم الذي هو رغبتنا المشتركة.

ان التدابير الوقتية وقبل الايام تجاريب بعض الرجال الذين هم من الدرجة الثالثة او الثانية لا يجدينا غير الضرر، فضلا عن ان يلحق بسمعة الرجال الفنيين البريطانيين اثرا لا يتفق مع ما هو مشهور عنهم من الخبرة الواسعة والمقدرة المتناهية .

اني لمعتقد انا اذا وجدنا هذين الاختصاصيين وتمكنا من عقد قرض ما يقارب الثلاثة ملايين من الجنيهات وتركنا هذا المبلغ تحت تصرفهما ليقوما بالمشاريع العمرانية من ري وزراعة وتحسين طرق المواصلات ... (عدا السكك الحديدية حيث نطالب على حدة) نكون قد اسدينا الى هذه البلاد اعظم اللوازم وقدمنا لها اجل الخدم واني على كل حال لمعتمد على مساعدتكم وارجو ان يقع اقتراحي هذا لدى فخامتكم موقع الاستحسان والاهتمام .

([illegible])

الملحق السادس :- كتاب من رئاسة الديوان الملكي الى سكرتير مجلس الوزراء يوضح مدى اهتمام الملك فيصل الاول بشؤون البلاد الاقتصادية

بغداد في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٨   رقم/ ٤ / ٢٨٤

سعادة سكرتير مجلس الوزراء المحترم ·

اطلع حضرة صاحب الجلالة على كتاب فخامة رئيس مجلس الوزراء المرقم ٢٧٧٠ والمؤرخ في ٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٨ الموجه الى فخامة المندوب السامي بخصوص ايجاد مستشار مالي قدير بشرط ان لا تزيد مخصصاته على ما هو مخصص في المقاولة المالية ·

ان صاحب الجلالة وان كان لا يحب ان يعارض مجلس الوزراء في قراره هذا الا انه يود بهذه المناسبة ان يبين للمجلس انه يكون مسرورا جدا اذا كان في الامكان ايجاد اخصائي للمالية من الطراز الاول مقابل مخصصات معقولة كما هو مسطور في المقاولة · ولكن ظهر لجلالته وبالاسف انه لم يكن في الامكان ايجاد ذلك الرجل لاسباب مختلفة ربما تتفاوت الآراء في تعليلها ولكن الامر الواقع لا جدال فيه ·

يعتقد صاحب الجلالة ان بقاء منصب مستشار المالية خاليا مدة طويلة من شخصية ممتازة وحائزة على ثقة الجميع لا ينتج من ورائه الا الضرر العظيم على المملكة · ان المبدأ الذي كانت الحكومة تدافع عنه وتلح به على حكومة صاحب الجلالة البريطانية هو مساعدتها على تجهيز البلاد باخصائيين ممتازين مهما كلفنا الامر والاقتصار على عدد محدود من صغار الموظفين · ولكن ظهر ان الامر الواقع قد تم على خلاف المطلوب · فالحكومة تتساهل في استخدام عدد كبير من الدرجة الثالثة والرابعة

وتقف محاسبة على استخدام رجل من الدرجة الأولى • وقد
كان من نتيجة هذه الحالة أن بقيت أسعار القمح نصفا أو على
الأقل غير متناسب مع المبالغ التي صرفت اذ لم نتمكن
من ان نخرج مشروعا ذا أهمية شاملة لمسائل الري التي كانت تشغل
منذ الاعمال لم نتمكن من التغلب عليها بسهولة بالنظر
الى عدم وجود شخصيات فنية قديرة يعتمد على
آرائها في تهيئة المشاريع الصحيحة واخراجها الى حيز العمل •
ولهذا السبب وحده مضت الأشهر بل السنين ونحن لا نزال
نستعمل مسكوكات عتيقة في معاملاتنا ولا تزال زراعتنا
مهملة وزراعنا مثقلون من ثقل الفوائد محرومين من مصرف
زراعي يحميهم من تسلط المرابين • وهكذا حالة السكك الحديدية
ومشاريع الري ولجنة تمليك الأراضي وتسجيلها وأزمة المساكن
وحماية المنتوجات الوطنية ولجنة تسهيل تصدير المحصولات وغيرها
لم نتمكن من معالجتها بصورة تتفق مع حاجيات البلاد
الحيوية ولم نستطع ان نبرر من حاجتنا الى قرض للقيام بأعمال
جسيمة • كل ذلك لأن البلاد محرومة من رجال يحسنون الحلقة
سوقهم غالبا ويعتمد على آرائهم في الأسواق العالمية في العالم •
ان التقدم المحدود الذي ظهرت طلائعه في السنتين الأخيرتين
في ميل الأفراد الى استخدام المضخات والآلات الزراعية انما
تم بجهود الأفراد أنفسهم ولكن هذه الجهود لا تزال مع الأسف
مبعثرة ومهددة بالخطر لأنها محرومة من الارشادات الفنية ومن
التنظيم الذي يساعد على التعاون والانتاج التام ولا نزال نسمع
الشكايات من جانب المنتجين ضد أرباب الشركات التجارية وتصرفاتهم
المستبدة هذا فضلا عما يلاقي صاحب المصلحة من المشاق
المطبوعة أثناء مراجعاته مختلف الدوائر التي كثيرا ما تقعده
مدة الأشهر بل السنين من أجل مسألة قد لا تكون ذا أهمية
عظمى •

ان صاحب الجلالة لا يحب ان يأتي على أمثلة أكثر
مما ذكر وقد أصبح يخشى من ان يتسرب الى نفسية
الشعب اليأس واليأس داء قتال يجب على الحكومة ان تحفظ الرعية منه
بكل ما أوتيت من قوة •

311/1400



ان آثار التقدم التي ظهرت في البلاد في البرهة الاخيرة الوجيزة لا يصح ان نتجاهلها وهي لا شك ثمرة جهود يجب ان تذكر ولكن يجب علينا في عين الزمن ان نعترف بانها لم تكن متناسبة مع الوقت الذي مر ولا مع الاموال التي بذلت في سبيلها ولا هي متناسبة لما كان يصبو اليه الشعب من تطور ويحب صاحب الجلالة ان يعتقد انه من الممكن مداراة هذه الحالة واقتصاد جهود الامة باستخدام شخصيات نافذة الكلمة صريحة على سمعتها ولها موقع محترم في نظر الجميع . ان استخدام امثال هؤلاء مهما كان باهظا فهو اقتصاد في الحقيقة كبير يساعد امتنا وهي اشد ما تكون حاجة على تزييد موارد عيشها مع توفير وفير في الوقت والمال معا .

واقبلوا فائق الاحترام ،

الملحق السابع :ـ كتاب من دار الاعتماد البريطاني الى الملك فيصل الاول يوضح مدى اهتمام الملك فيصل الاول بشؤون البلاد الاقتصادية

D.O. No. R.O./25

The Residency,

Bagndad, 17th January, 1924.

Your Majesty -

I have read with great interest Your Majesty's letter of 7th. January 1924 and the note enclosed therein on the economic situation in 'Iraq.

2. The note which deals in a most able manner with very important matters will receive my early and careful consideration and I shall do my best to help Your Majesty to secure Your ends. In the meanwhile I beg to congratulate Your Majesty on this fresh proof of the attention which Your Majesty is paying to the advancement and prosperity of Your country.

I remain
Your Majesty's sincere friend
H Dobbs

His Majesty King Faisal,
BAGHDAD.

شعبه رسمى رقم ار/١٠/و ٢٥

دار الاعتماد

بغداد في ١٧ كانون ثاني سنة ١٩٢٤

ياصاحب الجلالة .

قد طالعت باهتمام عظيم كتاب جلالتكم بتاريخ ٧ كانون ثاني سنة ١٩٢٤ و المذكرة التي في طيه عن الحالة الاقتصادية في العراق .

٢ ان هذه المذكرة التي تبحث باسلوب على غاية من المقدرة في امور شديدة الاهمية سأنظر فيها قريبا وبكل امعان ودقة وسأبذل اقصى جهدي لمساعدة جلالتكم في بلوغ مقاصدكم و في عين الوقت ارجو ان تسمحوا لي بان اهنئ جلالتكم على هذا البرهان الجديد على ماتبديه جلالتكم من الاهتمام بترقية بلادكم و رفاهيتها .

صديق جلالتكم المخلص

حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم
دام ملكه
بغداد

الملحق الثامن :ـ كتاب من رئاسة الديوان الملكي الى سكرتير مجلس الوزراء يشير الى ان الملك فيصل الاول، قرر تقليص نفقاته الخاصة الى النصف بسبب سوء الوضع المالي للدولة

311/1424



٦٢٩/١٠-٥

بغداد ـ ٤ ـ كانون اول ـ ١٩٢٤

سعادة سكرتير مجلس الوزراء المحترم ؛

ان حضرة صاحب الجلالة عالم باهتمام الوزارة بموقف المملكة المالي وواقف على الجهود التي تبذلها لاجل هذه الغاية ولكن يعتقد بان هذه الجهود مهما بلغت من القوة غايتها لا تكفي لدرء الخطر القريب وتأمين التعادل في الميزانية العمومية خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار عظم العجز وجسامة الحمل الذي القته على كاهلنا الديون العمومية . وقد ابدى صاحب الجلالة مرارا عديدة قلقه العظيم من المستقبل المالي واذا لم تتقدم الحكومة البريطانية الى مساعدتنا من هذه الوجهة بصورة عاجلة وفعالة فلا نعلم كيف تخرج البلاد من مأزقها الحاضر . ومع ذلك وبالرغم من هذه المسائل فان مالا يدرك كله لا يترك جله واذا كانت التضحية التي تقدم عليها الحكومة لا تفي بالمطلوب ولا تكفي لتلافي الامر فانها على الاقل تهون العسر الحالي وتخفف من حدة الخطر ولذلك فقد امرني صاحب الجلالة بان ابلغكم انه اعتبارا من ابتداء السنة المالية الجديدة سيصرف النظر عن نصف مخصصاته الذاتية الخاصة تهوينا على البلاد وان الوزارة يمكنها من الان ان تأخذ هذه التضحية الملوكية بنظر الاعتبار لتكون لديها اسوة حسنة تستند اليها في اجراآتها الاقتصادية .

وتقبلوا فائق الاحترام .

الملحق التاسع :ـ كتاب من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، الى الملك فيصل الاول، يطلب فيه التخفيف من عفـويـة عبـد الله السعدون احد رووساء آل السعـدون لقتله مديـر الـداخليـة العام عبد الله الصائغ، بسبب زواجه من ابنة عبد المحسن السعدون.

نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود
الى حضرة صاحب الجلالة الاخ الملك فيصل سلمه الله تعالى

اخي العزيز !

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فأني على الدوام افتقد اخبار الاخ واستفسر صحته التي اتمنى دوامها ! اني لله الحمد على خير حال من الصحة في الرياض واتمنى ان تكون المواصلة الكتابية متصلة بيننا.

لقد بلغني خبر في قضية احببت ان اشرح للاخ ما بخاطري بها وانا على ثقة ان جلالتكم احرص مني عليها لانها تتعلق بشرف العرب وشيمتهم وانتم اهل المحافظة على ذلك الشرف العالي وتلك الشيمة الرفيعة . ان الحادث الذي بلغنا هو قتل عبد الله السعدون لعبد الله الصالح بسبب تزوج الاخير بابنة المرحوم عبد المحسن السعدون . ان هذا الحادث بجميع ظروفه ومقتضياته لابد انه سيكون محل اهتمام الاخ ورعايته وان ما يهمنا ويهم الشيمة العربية في هذه القضية هو مثل ما يهمكم . اني ابرأ الله ان اطعن في الانساب ولكن كما يعلم الاخ ان من قواعد الشرع ان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ولا شك ان مراعاة الكفاءة في الزواج لم يكن الا درءا للمفاسد وانه لم يحمل القاتل على عمله الا النخوة العربية والمحافظة على المميزات العربية القديمة ومن هذه الوجهة احببت ان اذكر الاخ بما هو احرص عليه مني في مراعاة حفظ شرف العرب وشيمتهم في حل هذه القضية التي ينبغي للعرب ان يحرصوا جميعهم عليها اولا لحفظ مقوماتهم وثانيا ليكون لهم ولا نسابهم مقام محترم من قبل كافة الشعوب الاخرى.

هذا ورجائي من الاخ أن يجعل تذكرتي هذه لجلالته محمل الغيرة على الشرف العربي ليس غير واتمنى على الدوام لجلالة الاخ وشعبه العز والرفاء على الدوام.

حرر في ٢٠ رجب سنة ١٣٥٠ . عبد العزيز السعود (التوقيع)

المصـــادر والمراجـــع

SOURCES AND REFERENCES

الوثائـــق العراقية غير المنشورة

ملفات البلاط الملكي المحفوظة في المركز الوطني للوثائق

ة/٤/٥أ، ٨٦١ - وع، الحدود العراقية - السعورية
ة/٤/٥ج، ٨٦٣ - وع، الحدود العراقية - السعودية
ة/٥/١، ٨٨١ - وع غزوات الاخوان

ج/٩، ٢٨٠ - وع، المفاوضات والمعاهدات
د/١٤، ١٢٠٤ - وع الاحزاب السياسية
م/١١، ١٤١ - وع التقارير المالية
م/١٥، ١٤٢٤ - وع الحالة المالية والديون الحكومية
بلا - ١٥٤٧، وثائق المعاهدة العراقية - البريطانية
١٦ - ٢٩ ، المصاريف السرية «ملف وزارة الداخلية»

الوثائــق العراقــية المنشـــورة

١- مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي، ج١، مطبعة السلام، بغداد، ١٩٢٤
٢- محاضر جلسات مجلس النواب
٣- مقررات مجلس الوزراء

الوثـــائق البــريطانيــة

F.o., 371/6343/4872

F.o., 371/7770, E- 2621

F.o., 371/7771/ E- 3710

F.o., 371/10097/466

F.o., 371/2260/4022

F.o., 371/14508, E- 4971/41/93

F.o., 371/16903, E- 1724/105/93

F.o., 371/16649, E 5950/3910/93

F.o., 371/16903, E- 105

F.o., 371/1624/4205

F.o., 371/10836/ 4585, E- 6550

F.o., 371/16224/4205

C.o., 730/60/6277

Air, 23/382/ 2618

التقـاريـر المـرفـوعـة من قبل وزارة المستعمرات البريطانية الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق في سنوات الانتداب

1- Report by his Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period from April 1923- December 1924, London, 1925.

2- Report by his Britannic Majesty's Government to the council of the League of nations on the Administration of Iraq for the Year 1927, London, 1928.

المصادر والمراجع العربية والمترجمة

١ـ احمد، كمال مظهر، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨

٢ـ الادهمي، محمد مظفر، المجلس التأسيسي العراقي، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٦

٣ـ ارسكين، ستورث، فيصل ملك العراق، ترجمة عمر ابو النصر، مطبوعات المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٣٤

٤ـ الاعظمي، احمد عزة، القضية العربية، ج٤، ط١، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٢

٥ـ الدنجتون، ريتشارد، لورانس في البلاد العربية، ترجمة محمود عزة موسى، مراجعة الدكتور محمد انيس، سنة مكان الطبع

٦ـ آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ونتائجها مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٥٢

٧ـ انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠

٨ـ الايوبي، علي جودت، ذكريات علي جودت، مطابع الوفاء، بيروت، ١٩٦٧

٩ـ البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٥٤

١٠ـ البراك، فاضل، دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩

١١ـ البرج، محمد عبد الرحمن، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤

١٢ـ البرقاوي، احمد رفيق، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا (١٩٢٢-١٩٣٢) وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٨٠

١٣ـ البزاز، عبد الرحمن، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦

١٤ـ البصير، محمد مهدي، تاريخ القضية العراقية، ج١-٣ مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٢٣

١٥ـ بيل، المس، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧١

١٦ـ بيهم، محمد جميل، الانتدابات في سورية والعراق، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣١
١٧ـ جبار، عباس عطية، العراق والقضية الفلسطينية (١٩٣٢ـ١٩٤١). ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٣
١٨ـ الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية، ط٢، مركز الابجدية، بيروت، ١٩٨٣
١٩ـ الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج٢ـ٣، ط٤، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٠
٢٠ـ الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية، ج١ـ٥، ط٥، منشورات مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧٨
٢١ـ الحسني، عبد الرزاق، العراق في ظل المعاهدات، ط٥، مطبعة دار الكتب بيروت، ١٩٨٢
٢٢ـ حسين، فاضل، مشكلة الموصل، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٧.
٢٣ـ الحصري، ساطع، مذكراتي في العراق، ج٢ «١٩٢٧ـ١٩٤١»، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨.
٢٤ـ الحصري ساطع، صفحات من الماضي القريب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٨.
٢٥ـ الحصري، ساطع، يوم ميسلون، مطابع الكشاف، بيروت، ١٩٦٧.
٢٦ـ الحكيم، يوسف، ذكريات الحكيم (سورية والعهد الفيصلي)، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦
٢٧ـ الحيدري، رياض رشيد ناجي. الاشوريون في العراق (١٩١٨ـ١٩٣٦) مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٧٧
٢٨ـ حماد، محمد عابدين، ومحمد تيسير ظبيان، فيصل بن الحسين، من المهد الى اللحد، دار المطبعة الصورية، دمشق، سنة الطبع بلا.
٢٩ـ الحميد، شهاب احمد، الثورة الصامتة «اضراب بغداد»، ١٩٣١، مطبعة العمل المركزية، بغداد، ١٩٨٧
٣٠ـ الخطاب، رجاء حسين حسني، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١ـ١٩٤١، ط٢، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٢
٣١ـ الخطاب، رجاء حسين حسني، العراق بين ١٩٢١ـ١٩٢٧، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦

٣٢ـ خليل، نوري عبد الحميد، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق (١٩٢٥ـ١٩٥٢)، ط١، مركز الابجدية، بيروت، ١٩٨٠
٣٣ـ خيري، سعاد، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق (١٩٢٠ـ١٩٥٨)، ج١، سنة ومكان الطبع؟
٣٤ـ داغر، اسعد، مذكراتي على هامش القضية العربية، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، سنة الطبع؟
٣٥ـ دروزة، محمد عزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، ط٢، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧١
٣٦ـ الراوي، ابراهيم، من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٩.
٣٧ـ الريحاني، امين، الاعمال العربية الكاملة، المجلد الاول (ملوك العرب) ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
٣٨ـ سعيد، امين، اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، دار الكاتب العربي، بيروت، سنة الطبع؟
٣٩ـ سعيد، محمد امين، ملوك العرب والمسلمين المعاصرين ودولهم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر.
٤٠ـ السفاح، جمال باشا، مذكرات جمال باشا السفاح، ترجمة علي احمد شكري، تحقيق عبد المجيد محمود، دار البصري، بغداد ١٩٦٣
٤١ـ السويدي، توفيق مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية ـ ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩
٤٢ـ السوداني، صادق حسن، العلاقات العراقية ـ السعودية «١٩٢٠ـ١٩٣١» بغداد، ١٩٧٦
٤٣ـ الشرقي، علي، الاحلام، بغداد، ١٩٦٣
٤٤ـ شوكت، ناجي، اوراق ناجي شوكت، تحقيق الدكتور محمد انيس والدكتور محمد حسين الزبيدي مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٧.
٤٥ـ شوكت، ناجي، سيرة وذكريات ثمانين عام، ط٣، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧٧

٤٦ـ شير محمـد، سعاد رؤوف، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية ١٩٣٢ـ١٩٤٥، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٨
٤٧ـ صالح، زكي، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، مطبعة الرابطة، ١٩٥٣
٤٨ـ صايغ، انيس، الهاشميون وقضية فلسطين، بيروت، ١٩٦٦
٤٩ـ الصباغ، صلاح الدين، فرسان العروبة، الشباب العربي، مكان الطبع؟، ١٩٥٦
٥٠ـ عبد الحسين، محمد، ذكرى فيصل الاول، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٣
٥١ـ عبد الله، الملك، مذكرات الملك عبد الله، ط٢، منشورات مجلة الرائد عمان، ١٩٤٧
٥٢ـ العكام، عبد الامير هادي، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ ـ١٩٣٢، النجف الاشرف ١٩٧٥
٥٣ـ العمر، فاروق صالح، المعاهدات العراقية البريطانية واثرها في السياسة الداخلية (١٩٢٢ـ١٩٤٨) وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧
٥٤ـ العمر، فاروق صالح، حول السياسة البريطانية في العراق «١٩١٤ـ١٩٢١» منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة الارشاد، بغداد.
٥٥ـ العمري، خيري، حكايات سياسية من تاريخ العراق، منشورات مكتبة افاق عربية، بغداد.
٥٦ـ العمري، خيري امين، الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٩
٥٧ـ العمري، محمد طاهر، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج٢ـ٣، مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٢٤
٥٨ـ العنيزي، عبد الحميد، العراق في عهد الفيصلين، ج١، مكتبة دار الكتب التجارية، النجف، ١٩٥٥
٥٩ـ غروبا، فريتز، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق، ج٢، ترجمة فاروق الحريري، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩
٦٠ـ فرج، لطفي جعفر، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣ـ١٩٣٩، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧.
٦١ـ فرج، لطفي جعفر، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي

المعاصر، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٩
٦٢- فوزي، احمد، اشهر الاغتيالات السياسية، ط١، بغداد، ١٩٨٧
٦٣- فوستر، هنري أ، تكوين العراق الحديث، ترجمة عبد المسيح جويدة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٦.
٦٤- فيضي، سليمان، في غمرة النضال، بغداد، ١٩٥٢.
٦٥- فيلبي، جون، ايام فيلبي في العراق، ترجمة جعفر خياط، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٠
٦٦- قاسمية، خيرية الحكومة العربية في دمشق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١
٦٧- قاسمية، خيرية، عوني عبد الهادي، اوراق خاصة، بيروت، ١٩٧٤
٦٨- قدري، احمد، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مطابع ابن زيدون، دمشق ١٩٥٦
٦٩- القصاب، عبد العزيز، من ذكرياتي، ط١، مطبعة فضول، بيروت، ١٩٦٢
٧٠- النفيسي، سامي عبد الحافظ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦، ج٢، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٥
٧١- كبة، محمد مهدي، مذكراتي في صميم الاحداث (١٩١٨-١٩٥٨)، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥
٧٢- كنة، خليل، العراق امسه وغده، ط١، بيروت، ١٩٦٦.
٧٣- كوكس، برسي ودوبس، هنري، تكوين الحكم الوطني في العراق، ترجمة بشير فرجو، مطبعة الاتحاد الجديد، الموصل، ١٩٥١
٧٤- محمد، علاء جاسم، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق حتى عام ١٩٣٦ مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧
٧٥- مديرية الدعاية العامة فيصل بن الحسين في خطبه واقواله، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٥.
٧٦- مؤرخ الثورة العربية، الملك فيصل الاول، مطبعة الدبور، بيروت، سنة الطبع؟
٧٧- موسى، سليمان، الثورة العربية الكبرى - الحرب في الاردن - ١٩١٧-١٩١٨ (مذكرات الامير زيد)، ط١، عمان، ١٩٧٦.
٧٨- موسى، سليمان، الحركة العربية المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة، (١٩٠٨-١٩٢٤)، ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧

٧٩ـ موسى، سليمان، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، دار النشر والتوزيع، عمان، ١٩٥٧

٨٠ـ موسى، سليمان، المراسلات التاريخية (١٩١٤ـ١٩١٨)، ج١، ط١، عمان، ١٩٧٤، ج٣ (١٩٢٠ـ١٩٢٣) ط١، عمان، ١٩٧٨

٨١ـ النجار، ابراهيم سليم. الملك فيصل الاول، مطبعة الدبور، بيروت.

٨٢ـ النصيري، عبد الرزاق احمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧

٨٣ـ النفيسي، عبد الله فهمي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣.

٨٤ـ الهاشمي، طه، مذكرات طه الهاشمي، ج١ (١٩١٩ـ١٩٤٣) تحقيق خلدون ساطع الحصري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٦.

٨٥ـ الوردي، علي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ج٦ وملحقه مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٦

٨٦ـ ولسون، ارنولد، الثورة العراقية، ترجمة جعفر خياط، بيروت، ١٩٧١

٨٧ـ وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، القاهرة، ١٩٦٧

٨٨ـ وهيم، طالب محمد، مملكة الحجاز (١٩١٦ـ ١٩٢٥)، ط١، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة البصرة، ١٩٨٢.

الرسائل الجامعية

١ـ الجواري . اسعد محمد زيدان، سياسة ايران الخارجية في عهد احمد شاه ١٩٠٩ـ١٩٢٥ ـ رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التاريخ ـ كلية الاداب ـ جامعة بغداد، ١٩٨٧

الكتب المخطوطة وغير المنشورة

١ـ السويدي، توفيق، وجوه عراقية

٢ـ العمري، خير الدين، مقدمات ونتائج ج١، ج٢ «مطبوع على الالة الكاتبة».

الصحف والمجلات

الصحف العراقية :ـ

١ـ الاستقلال
٢ـ الاوقات البغدادية
٣ـ العاصمة
٤ـ العالم العربي
٥ـ العراق
٦ـ لسان العرب
٧ ـ المفيد
٨ـ الموصل

المجلات العراقية :ـ

١ ـ آفاق عربية
٢ ـ المؤرخ العربي

المجلات العربية :ـ

١ ـ المقتطف

المقابلات الشخصية :ـ

١ ـ حسين جميل
٢ ـ خالد عبدالله ربة
٣ ـ سلوى ساطع الحصري
٤ ـ عبدالرزاق الحسني
٥ ـ فؤاد عارف «مرافق الملك غازي»
٦ ـ محمد صديق شنشل

اتقدم بالشكر الجزيل الى الاخ حسن ضايع علي صاحب مكتبة اليقظة العربية لجهوده واهتمامه بهذا الكتاب، بالشكل الذي يتناسب واهمية موضوعه

علاء جاسم محمد

شجرة نسب العائلة الشريفية

هاشم

عبد المطلب

عبد الله زوجته آمنة

الرسول محمد (ص) زوجته خديجة
٥٧١ - ٦٣٢

فاطمة زوجها علي بن أبي طالب (رض)

الحسين — الحسن

حسين ملك الحجاز زوجته عبدية
١٨٥٢ - ١٩٣١ تنازل عن العرش في ١٩٢٤

زوجة الملك حسين الثانية عادلة التركية

فاطمة

سارة
زوجة
عطا أمين

زيد
١٨٩٨ - ١٩٧١
رعد

فيصل الأول
١٨٨٥ - ١٩٣٣
زوجته حزيمة
بنت الشريف ناصر

رفيعة
غير متزوجة
توفيت ١٩٢٩

غازي
١٩١٢ - ١٩٣٩
زوجته عالية بنت عمه علي

فيصل الثاني
١٩٣٩ - ١٩٥٨

راجحة
زوجة عبد الجبار محمود

عزة

صالحة
تزوجها عبد الله
المصري

عبد الله
١٨٨٠ - ١٩٥٢
زوجته مصباح
بنت ناصر

نايف

طلال
١٩٠٥ - ١٩٧٢
خلع عن العرش في ١٩٥٢
زوجته زرين

حسن — حسين

علي
١٨٧٩ - ١٩٣٥
زوجته نفيسة بنت
الشريف عبد الله

جليلة
زوجة الشريف حازم
توفيت ١٩٥٥

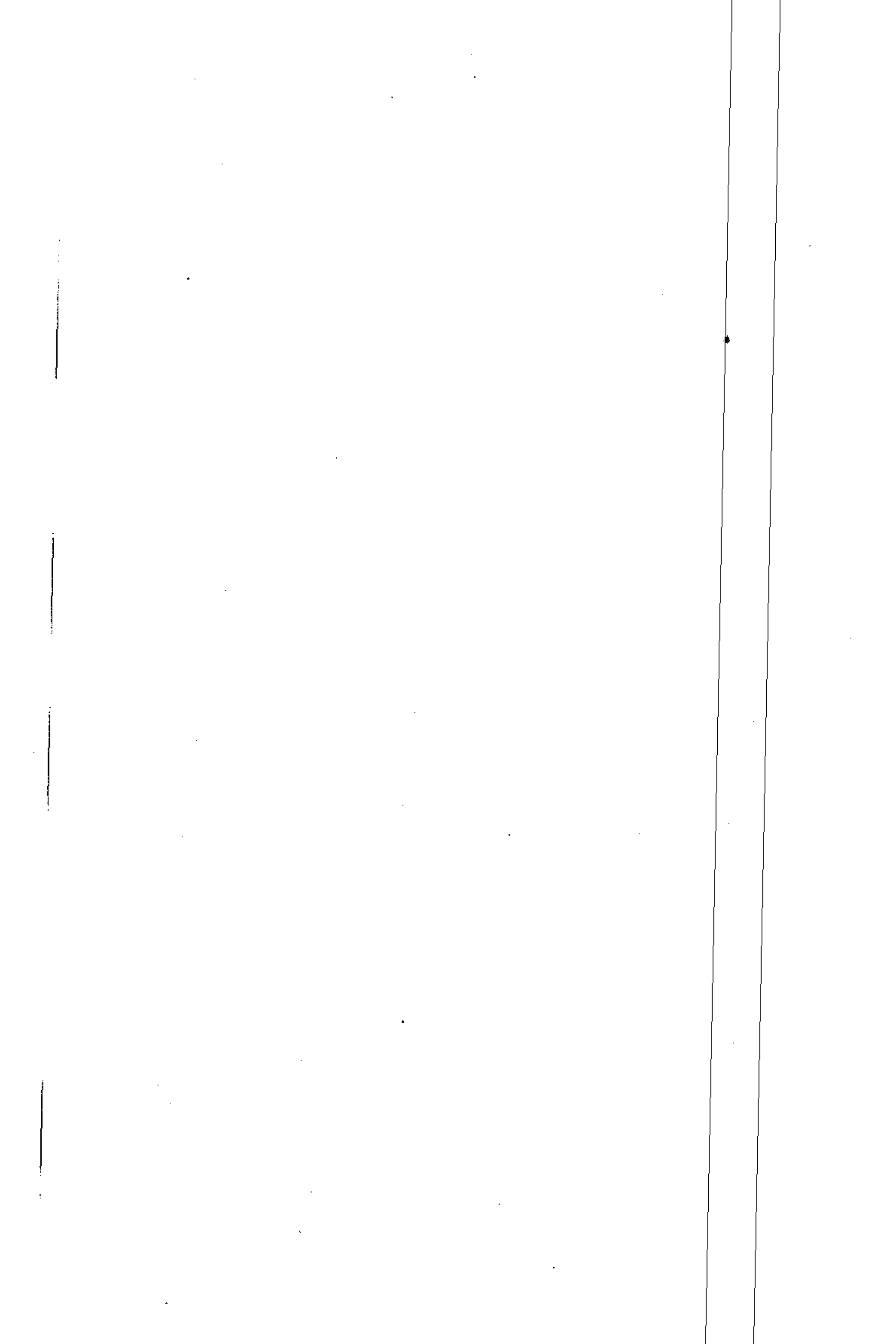
بديعة
زوجة الشريف حسين

محمد — عبد الله — علي

عبد الإله
١٩١٣ - ١٩٥٨

عالية
زوجة غازي
توفيت ١٩٥٠

عبدية
غير متزوجة
قتلت ١٩٥٨



«ملحق بالصور»

يتقـدم المؤلف بالشكـر الجـزيـل الى الأستـاذ المحـامي وليـد حسين علي رضا العسكـري، الـذي زوده بمجمـوعـة من الصـور النادرة التي نشرت في كتابه «جعفر العسكـري» وكـذلـك في هذا الكتاب. كما يتقدم بالشكر الوافر الى السيدة الفاضلة لميس محمـود صبحي الـدفتـري التي قدمت له هي الأخـرى مجمـوعـة من الصور النادرة منها صورة غلاف هذا الكتاب وهي مهداة من المغفور له جلالة الملك فيصل الأول الى والدها.



كان دائما معتزاً بنفسه



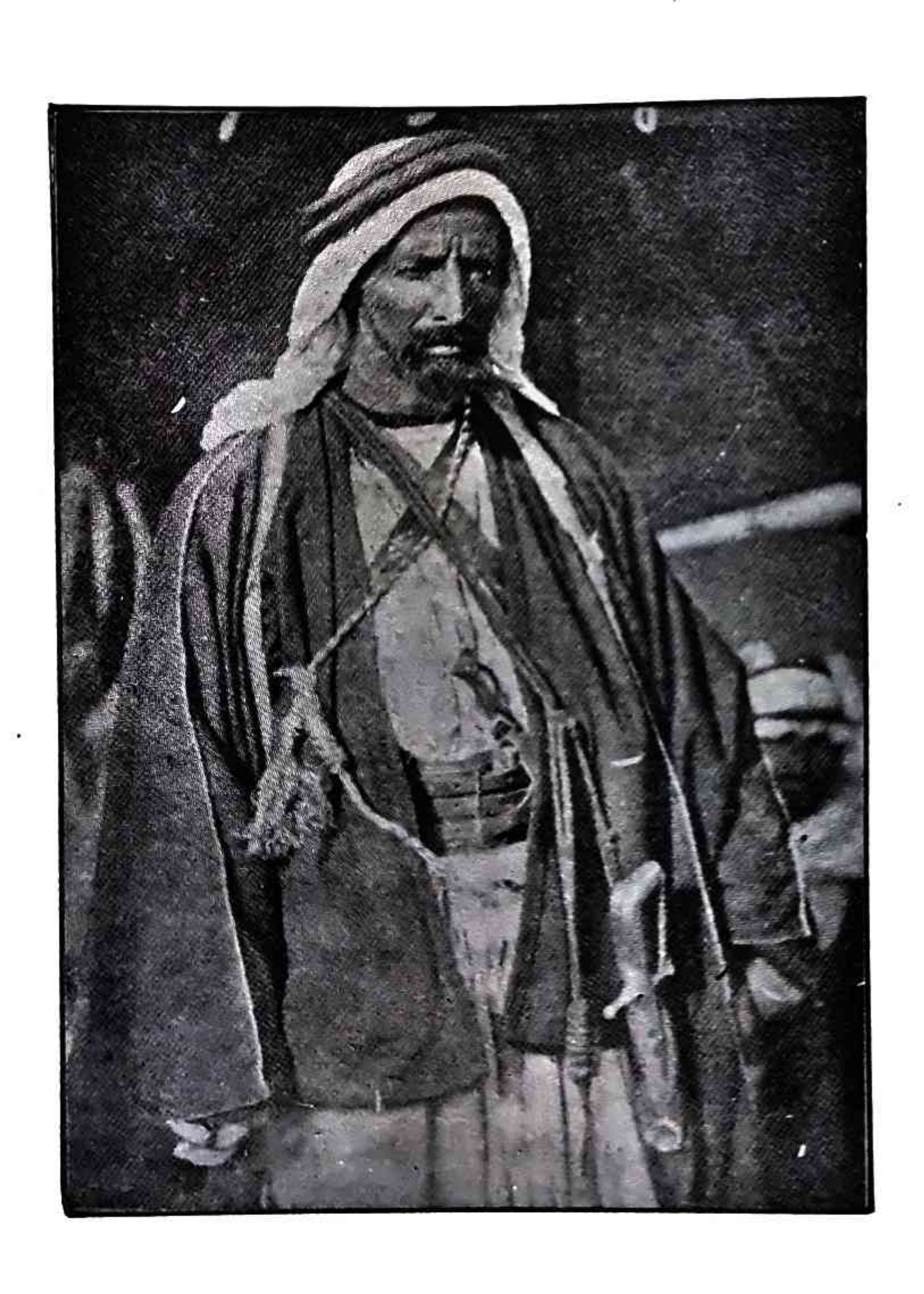
بالملابس العربية



تفاؤل وأمل



دائما ثاقب النظر



عودة ابو تايه. لماذا قبّل يد الملك فيصل الاول



عودة ابو تايه الى اليسار مع اثنين من زعماء القبائل العربية التي اشتركت في الثورة العربية



الملك عبدالعزيز آل سعود. كيف بدأت علاقته مع الملك فيصل الاول وكيف انتهت



طالب النقيب. فكر في أن يقتل فيصل كي ينال عرش العراق



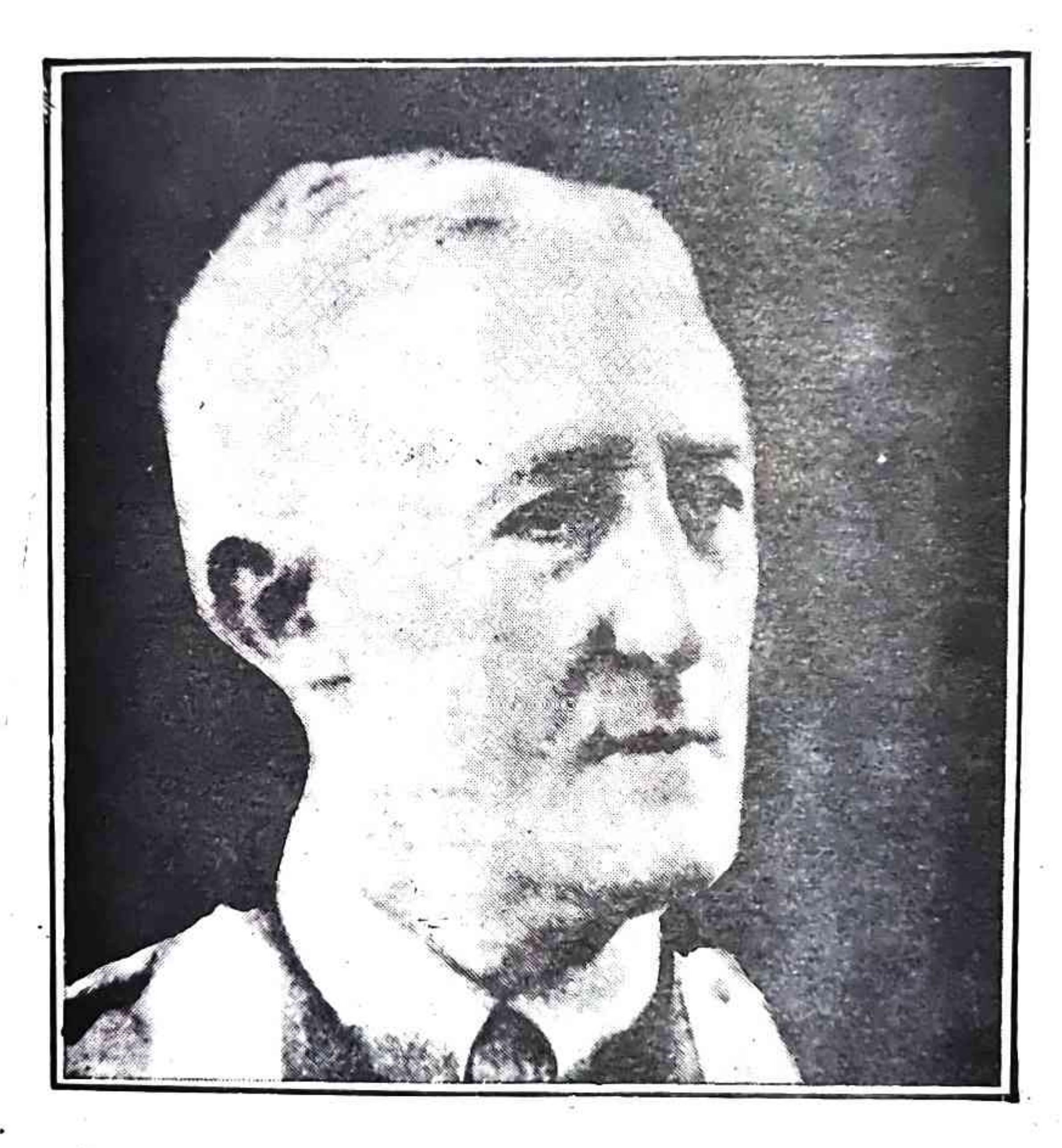
الشيخ خزعل شيخ المحمرة. لماذا سحب ترشيحه لعرش العراق



الشريف حسين بن علي والد الملك فيصل الاول



تمثال نصفي للملك فيصل الاول



برسي كوكس، المنـدوب السـامي البـريطـاني في العـراق. هل كان على وفـاق مع فيصل الاول



الجنرال مود قائد القوات البريطانية التي احتلت بغداد عام ١٩١٧



أعز مكان في الدنيا سرج سابح



لماذا جعل ابنه الوحيد «غازي» ينخرط في السلك العسكري؟



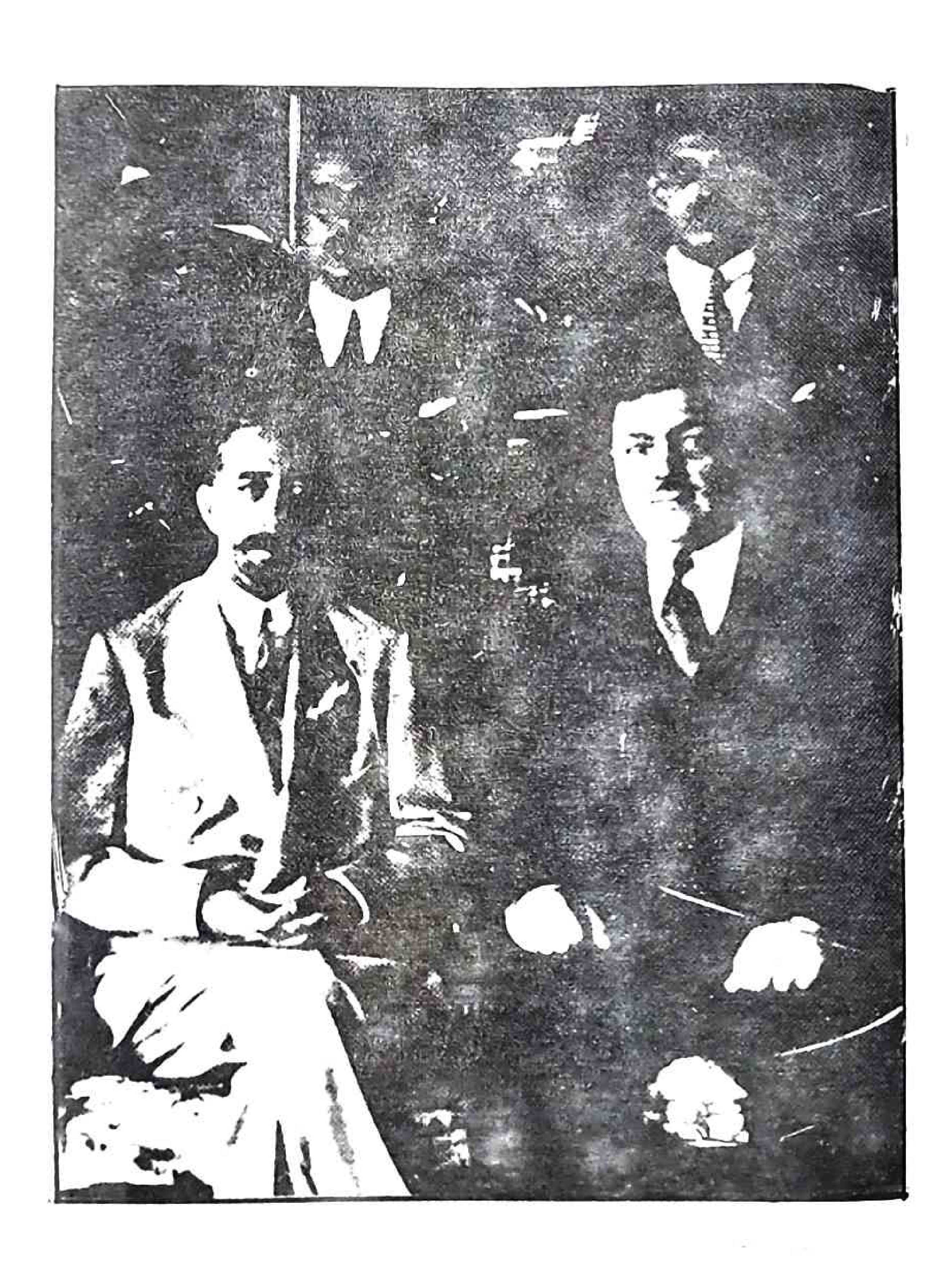
هل كان يحب عبدالاله أكثر من بناته



هل كان يحب الحياة العسكرية؟



نوري السعيد. هل شارك حقا في قتل الملك فيصل الاول



مع جعفر العسكري



بماذا يفكر الملك؟



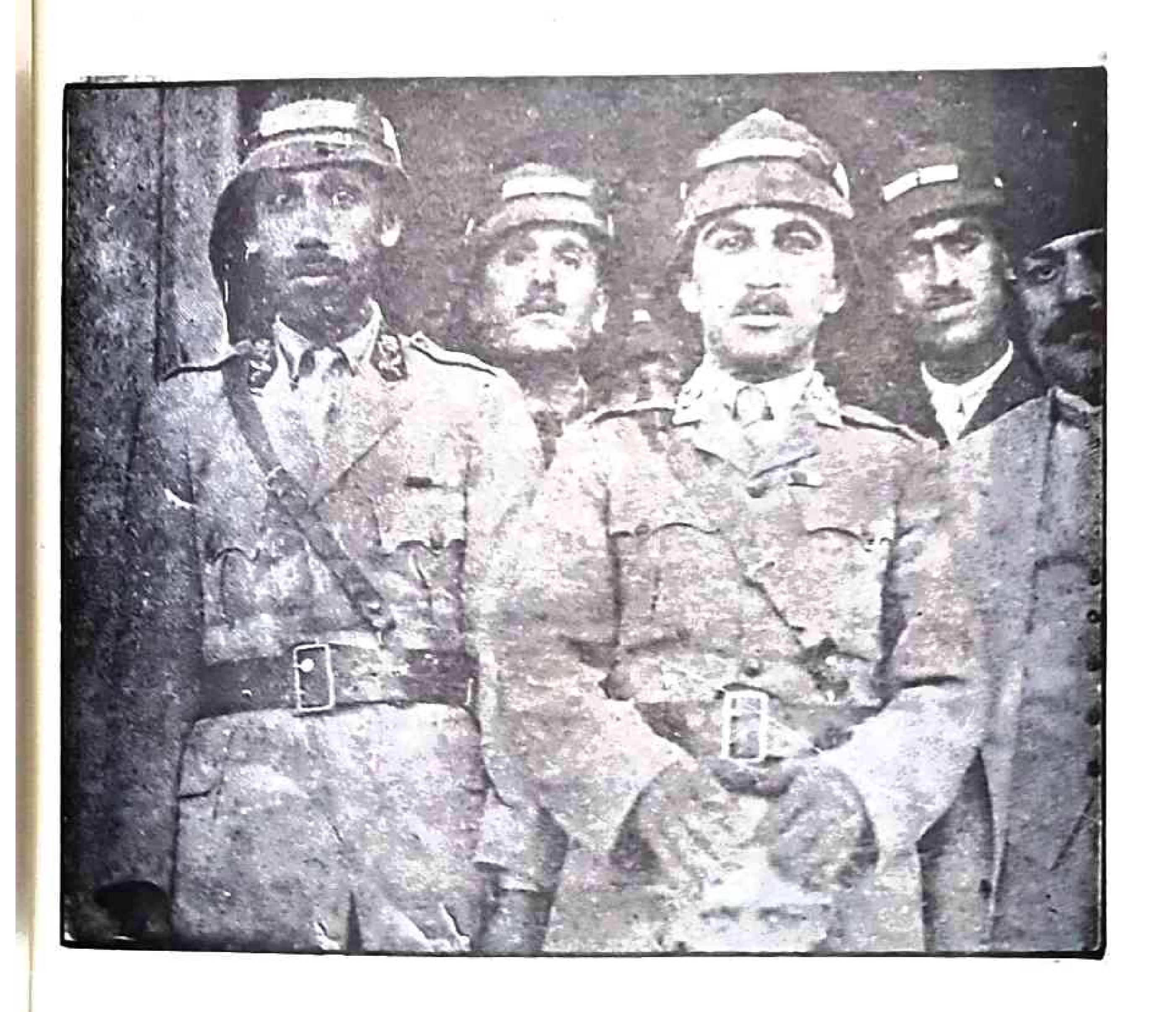
جعفر العسكري قائد الجيش النظامي في الجيش الشمالي الذي قاده فيصل



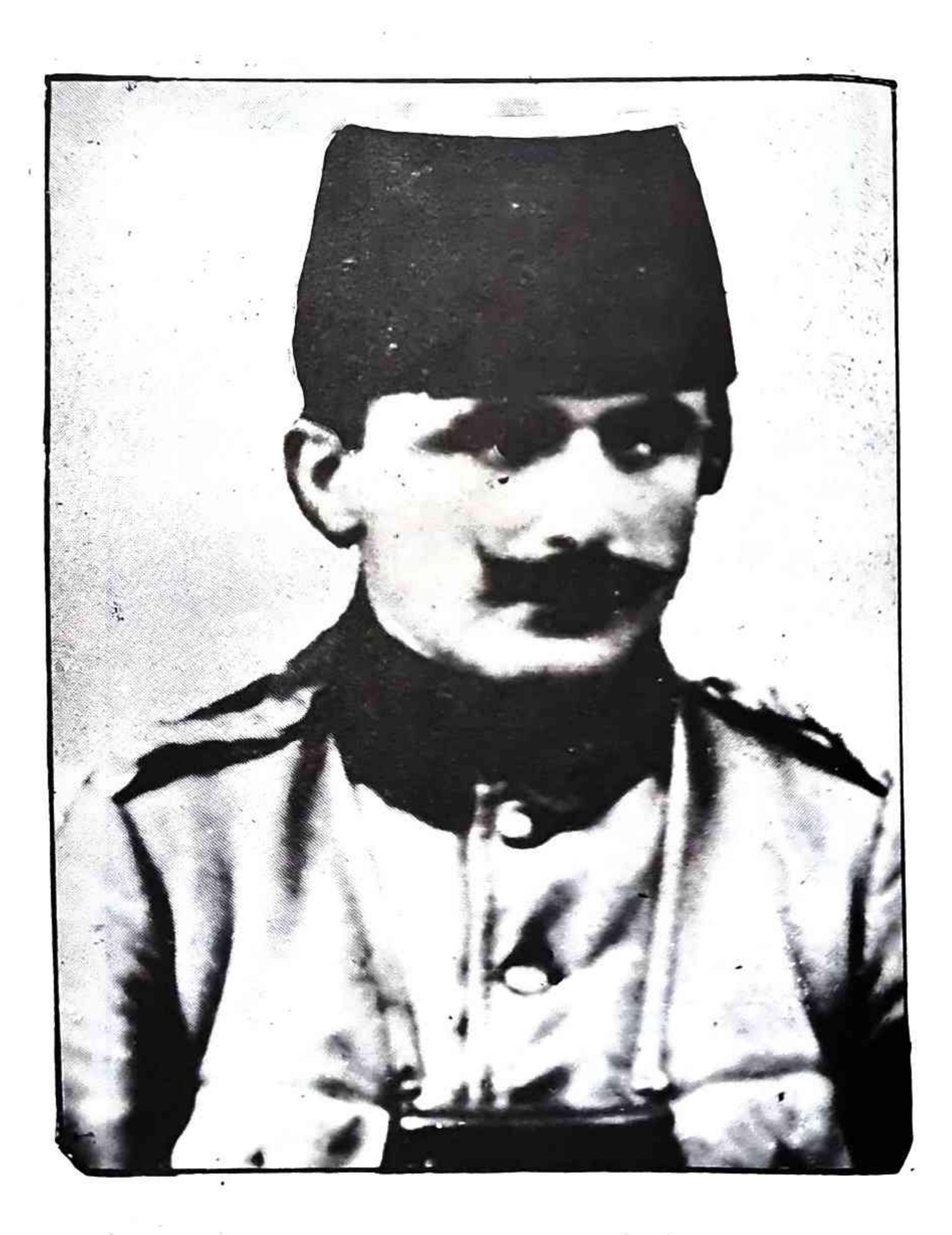
الملك غازي. هل كان من مصلحة بريطانيا أن يأتي الى الحكم بعد أبيه



الامير عبدالله شقيق الملك فيصل الاول محاطا برجاله



الامير زيد الى اليمين والى جانبه الشريف ناصر وظهر بينهما **ياسين الهاشمي**



وزير الحربية العثمانية أنور باشا. لماذا رفض الملك فيصل الاول ان يقتله

كان دائما يحب الصحراء ورجالها



أين فيصل؟



لورنس ايام الثورة العربية



ينظر دائما الى الامام



البريطانيون يلازمونه دائما.مع الجنرال اللنبي



كان يحب ملابس الصحراء



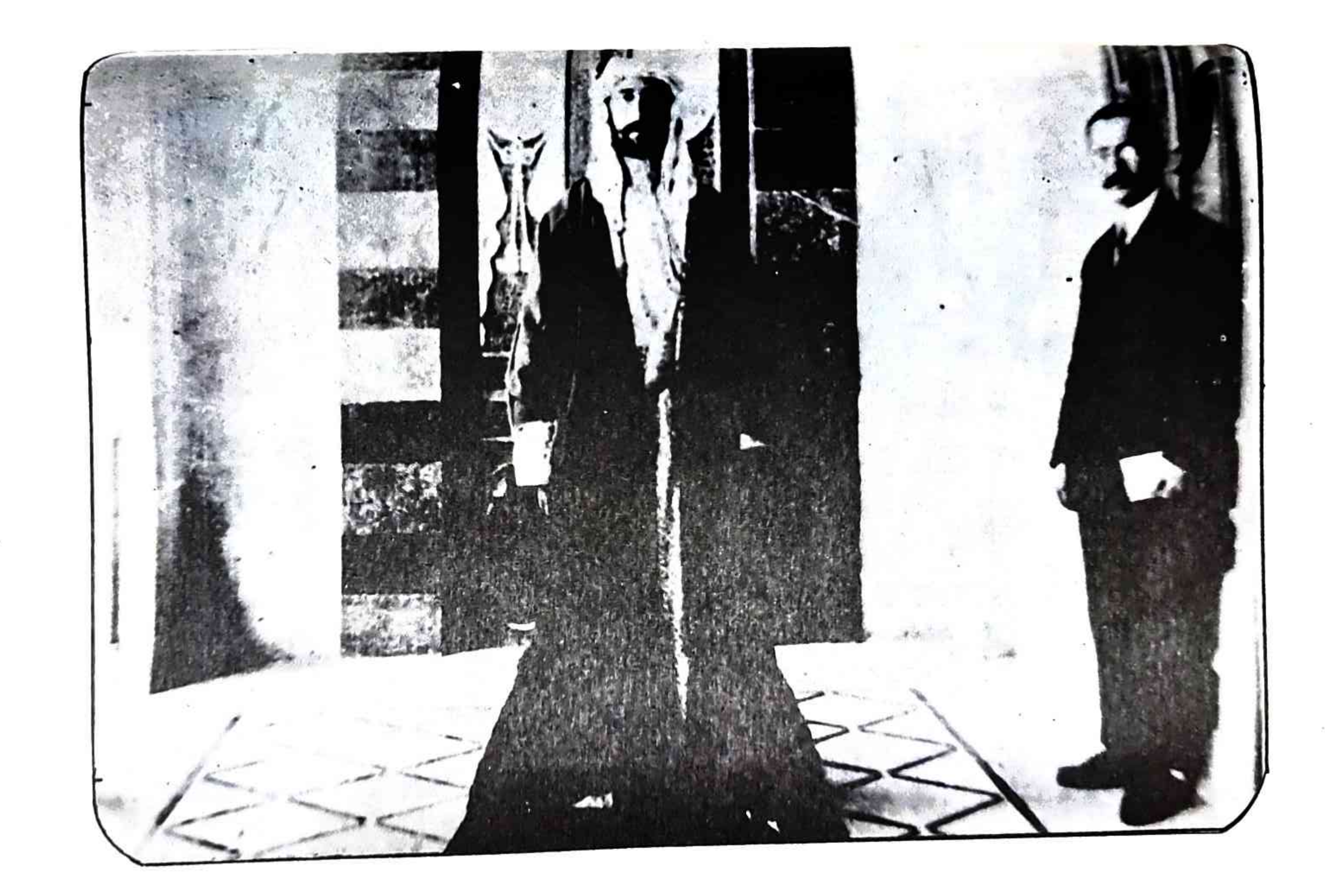
الامير زيد أخ الملك فيصل الاول مع بعض اقطاب الحكومة العربية في الشام



لماذا يقبض على خنجره



بالملابس العربية التي كان يعشقها كثيرا



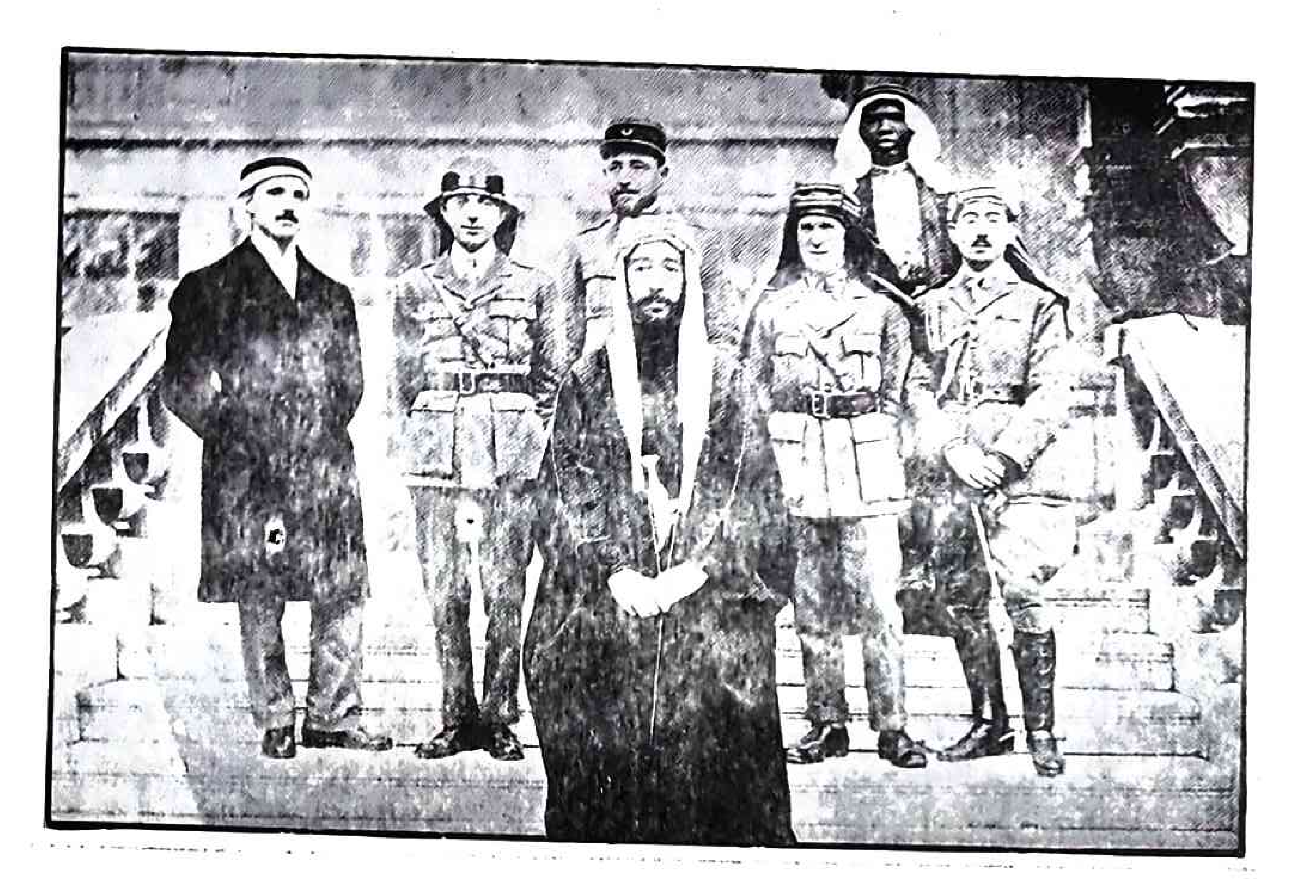
مع رستم حيدر



الشريف حسين بن علي لماذا اعتبر ابنه فيصل خارج عن القانون



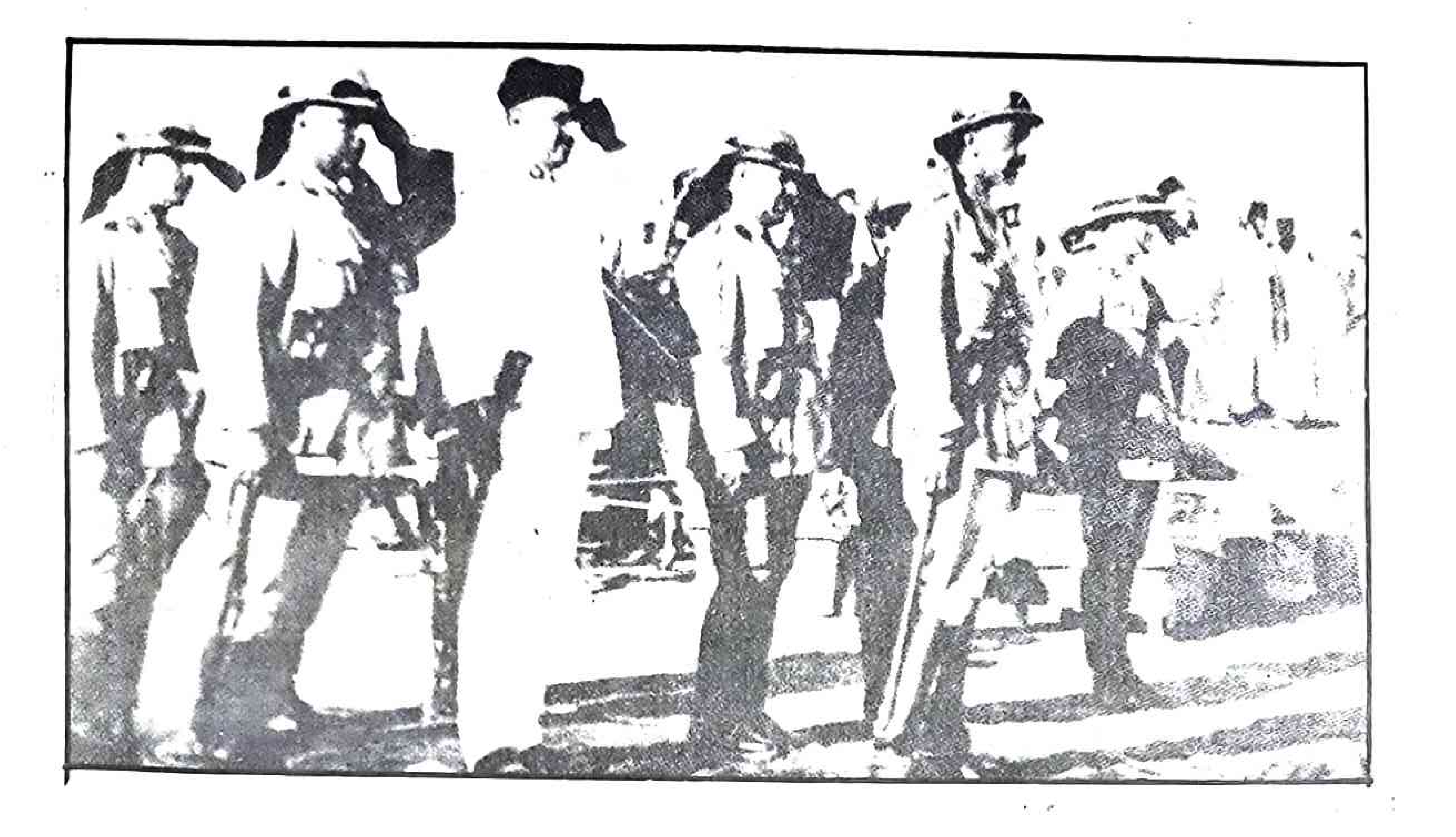
الكل يقف وهو جالس



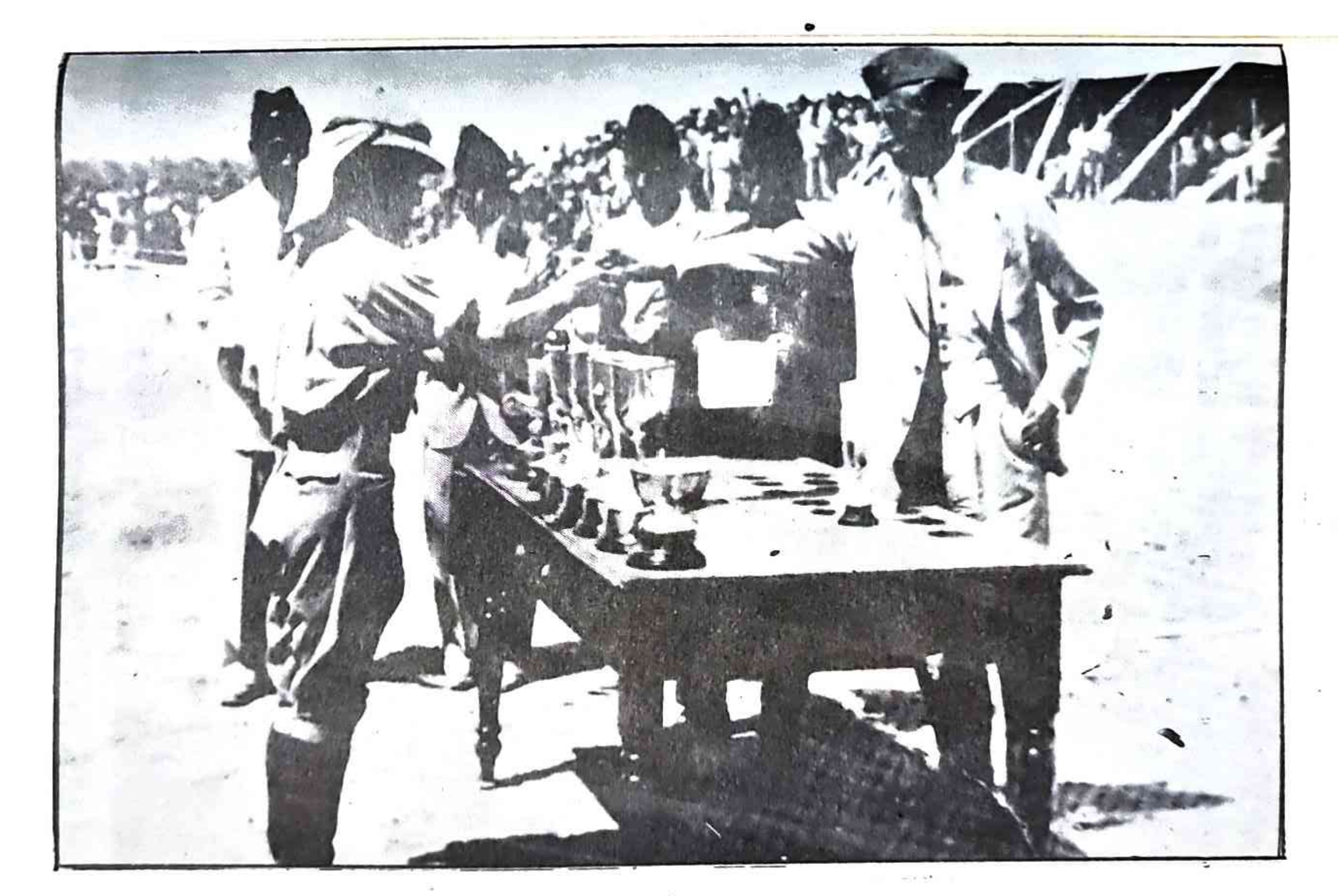
الجميع وراءه..



جعفر العسكري هل اسهم حقا في قتل الملك فيصل الاول



في احدى الاستعراضات العسكرية للجيش



يكرّم المتميزين



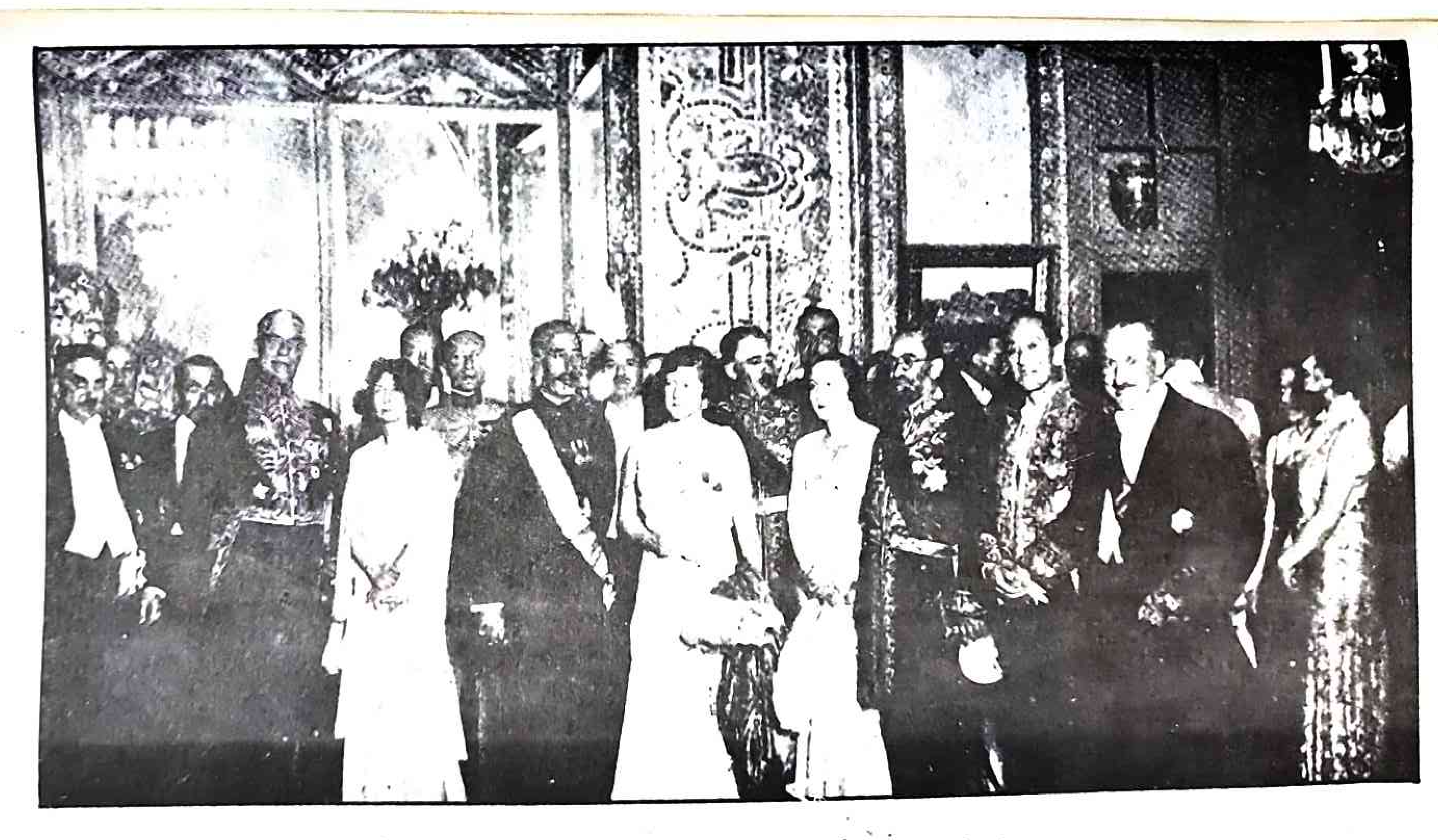
تری بماذا یفکر



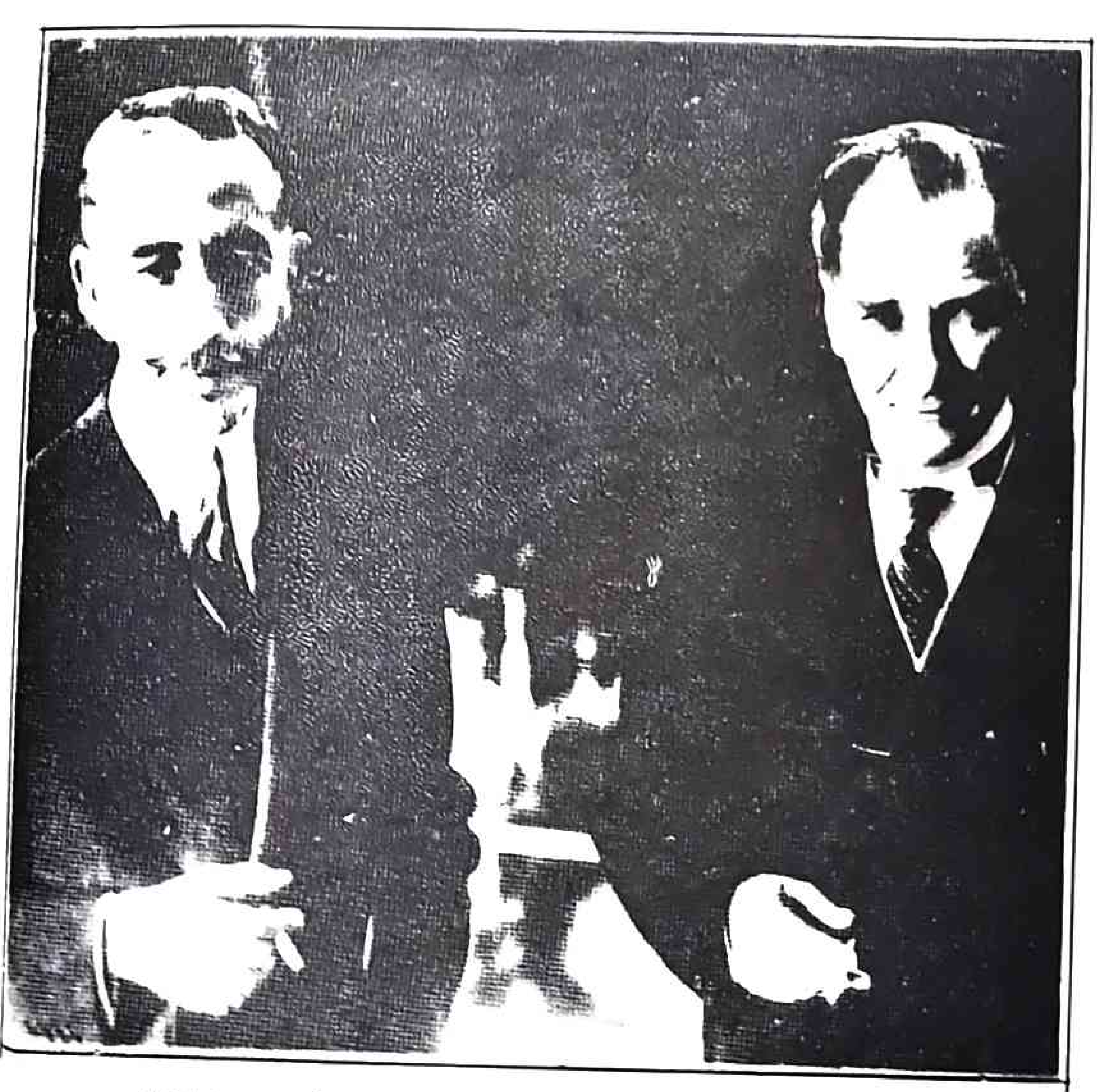
تبقى راية العراق مرفوعة دائما



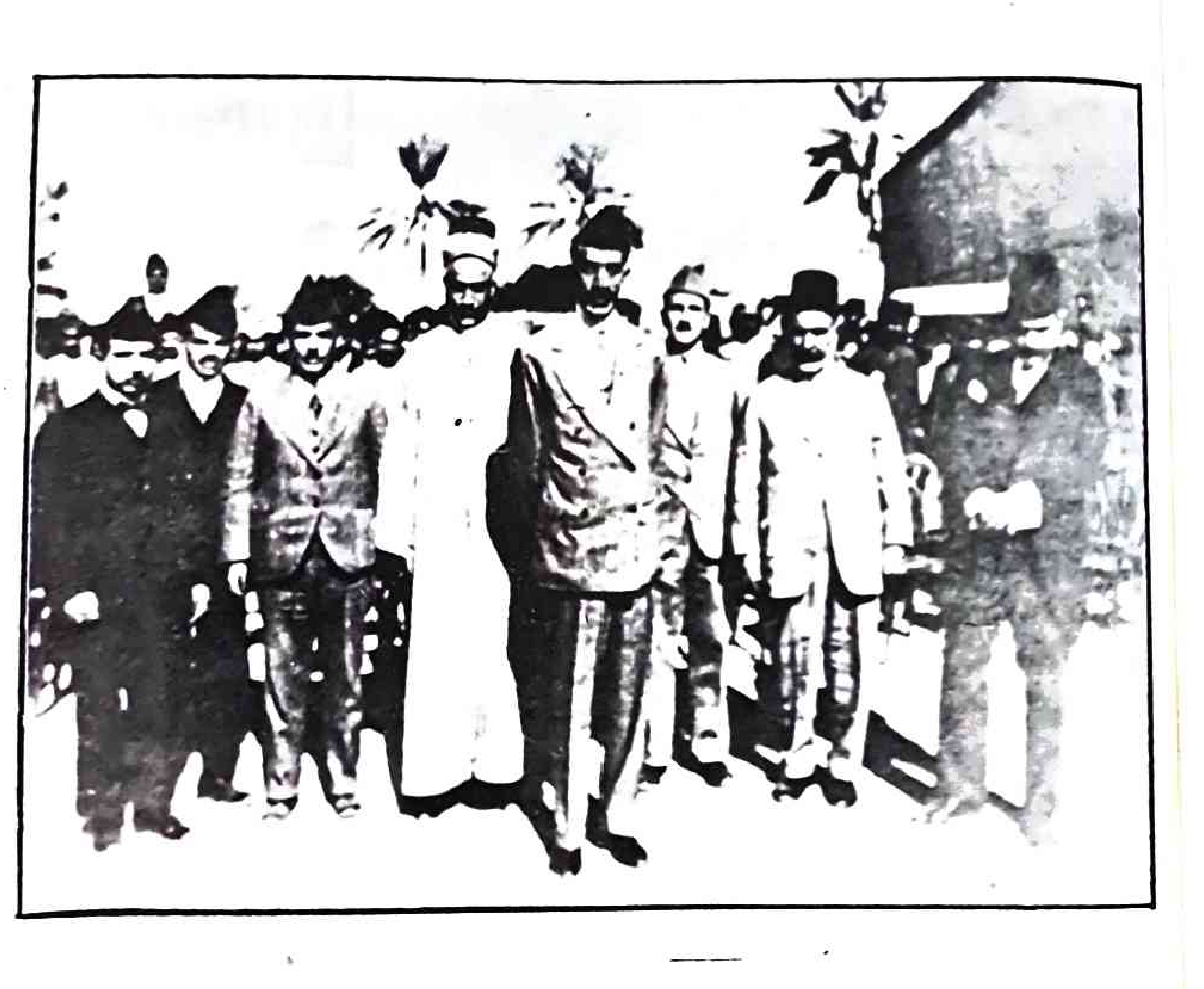
دائما يقبض على سيفه



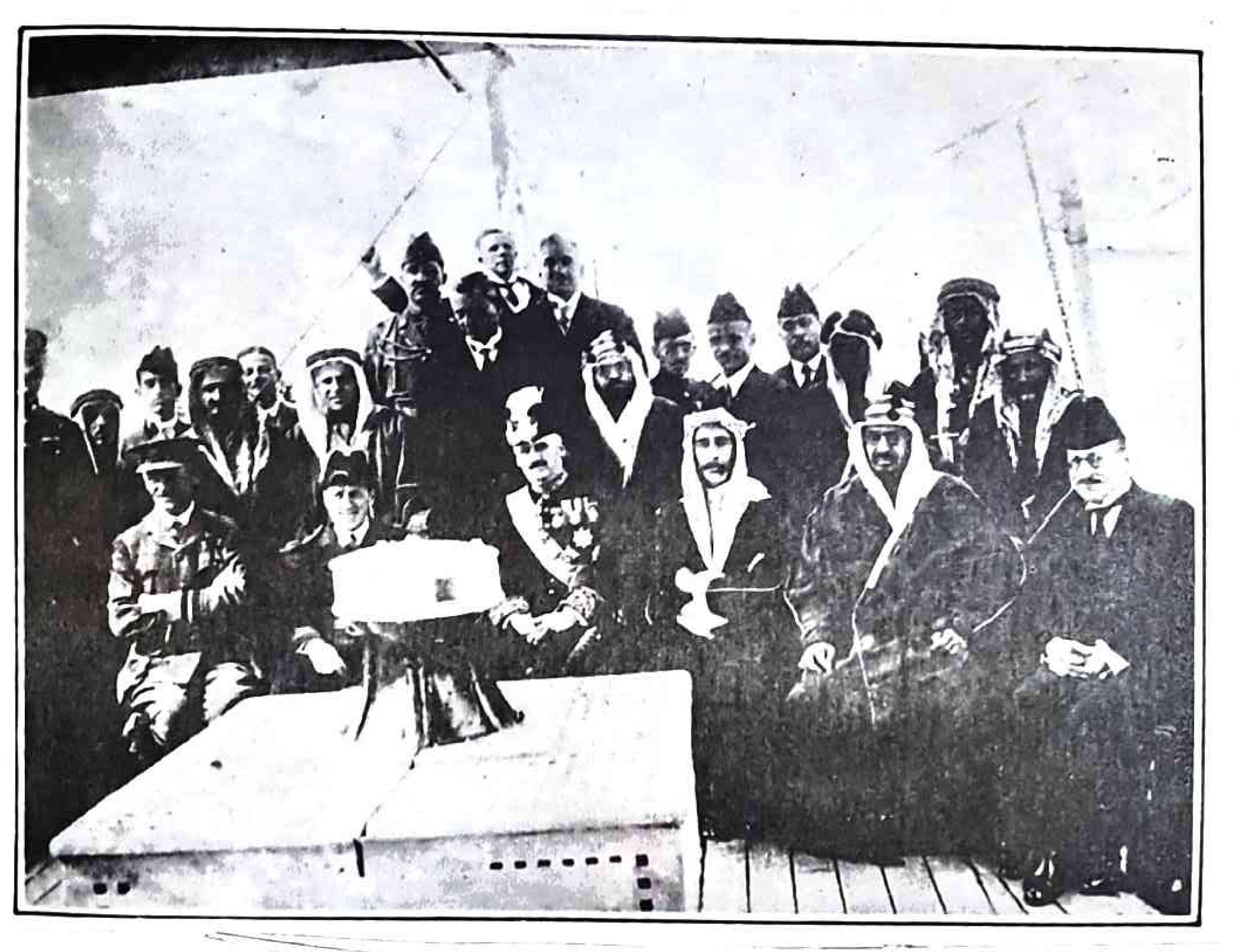
في الحفل الذي أقامه له رضا بهلوي في طهران عام ١٩٣٢



الملك فيصل الاول والرئيس التركي كمال اتاتورك تموز ١٩٣١م



هل كان جعفر ابو التمن دائما قريبا منه



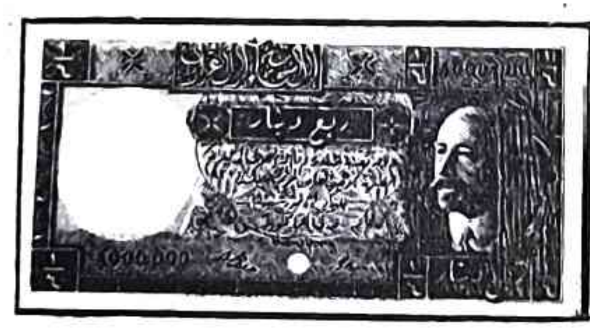
مع عبدالعزيز آل سعود على ظهر الباخرة لوبون عام ١٩٣٠م



من المكوار الى الطائرة



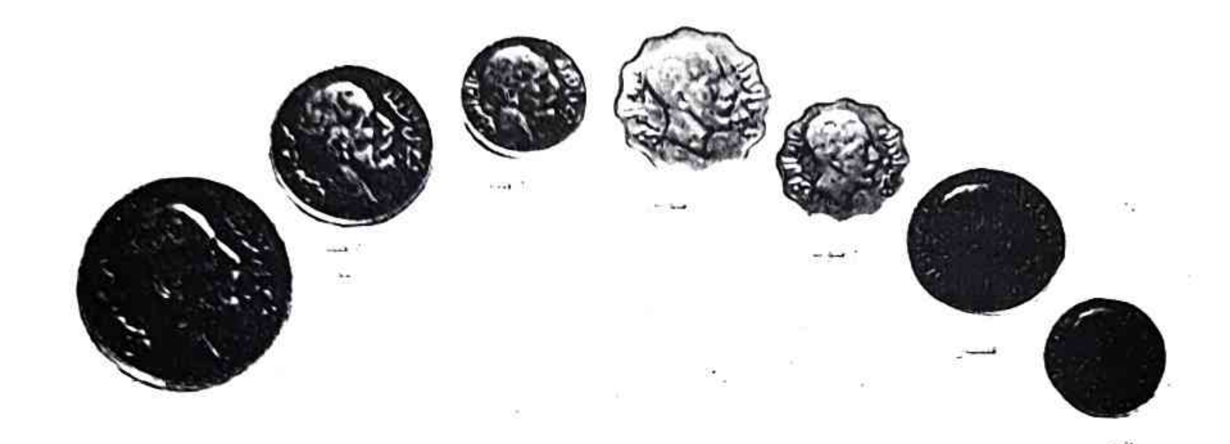








العملة العراقية التي تحمل صورة الملك فيصل الاول



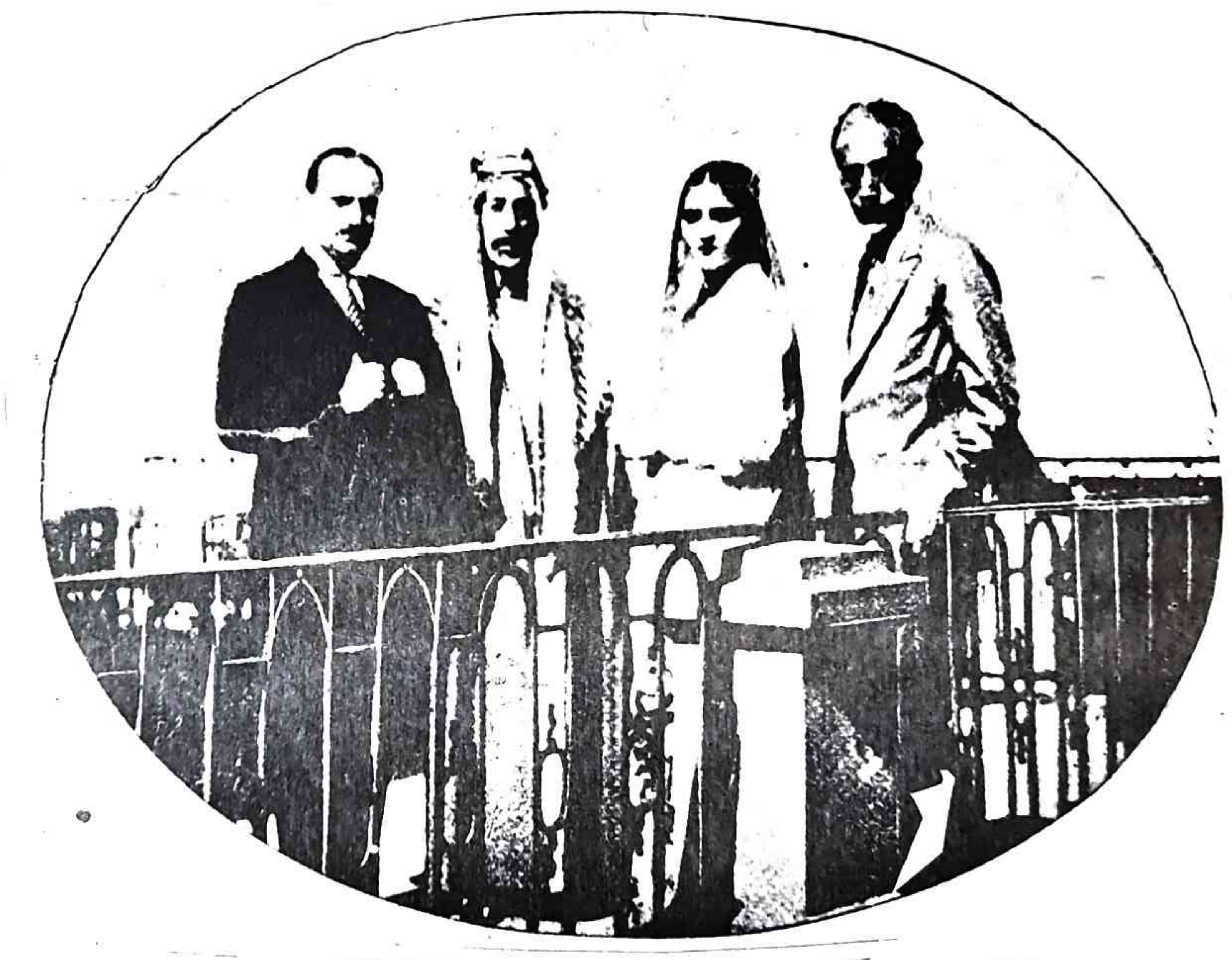

A000.000
A000.000


A000.000

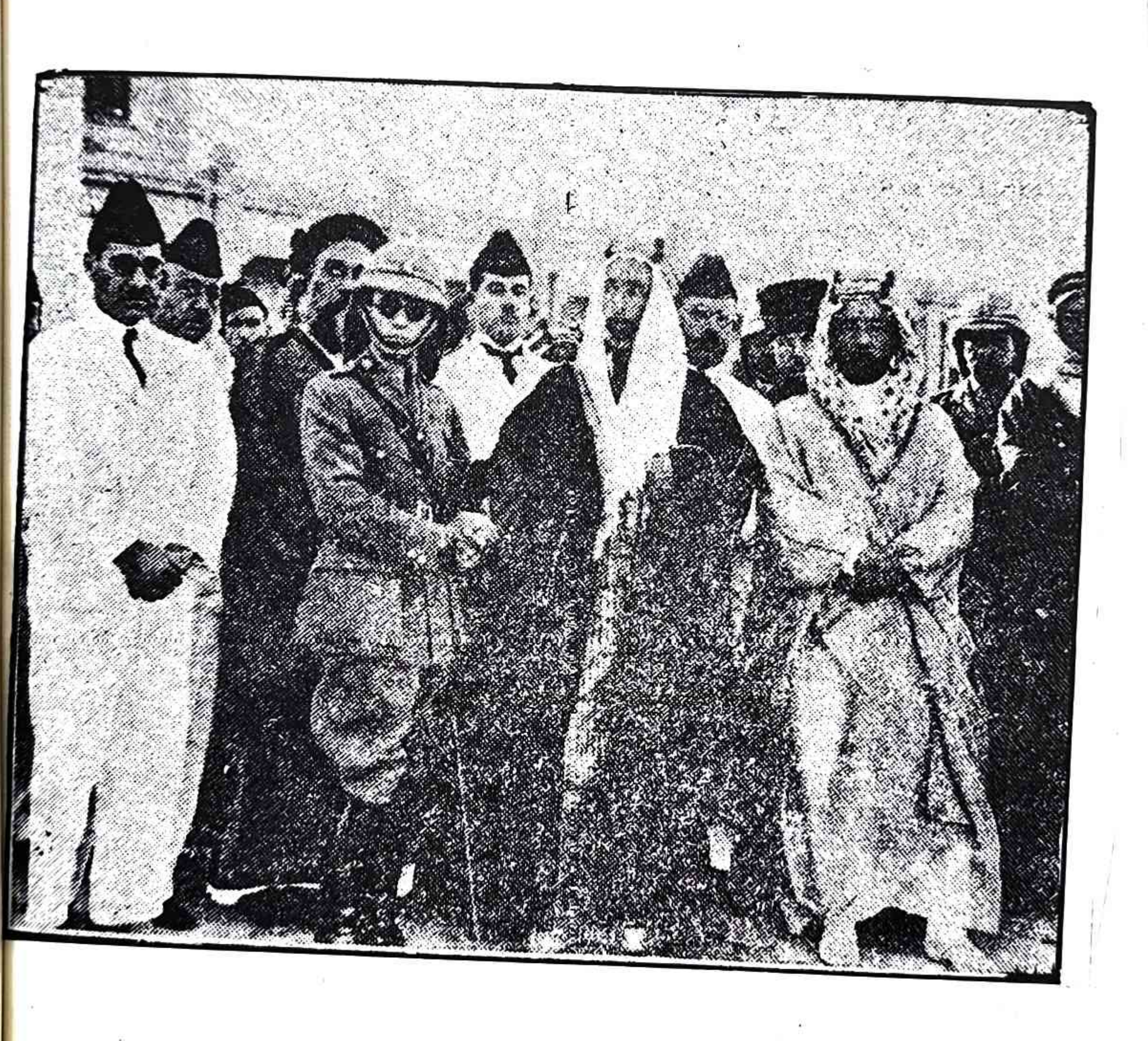

A000.000
A000.000



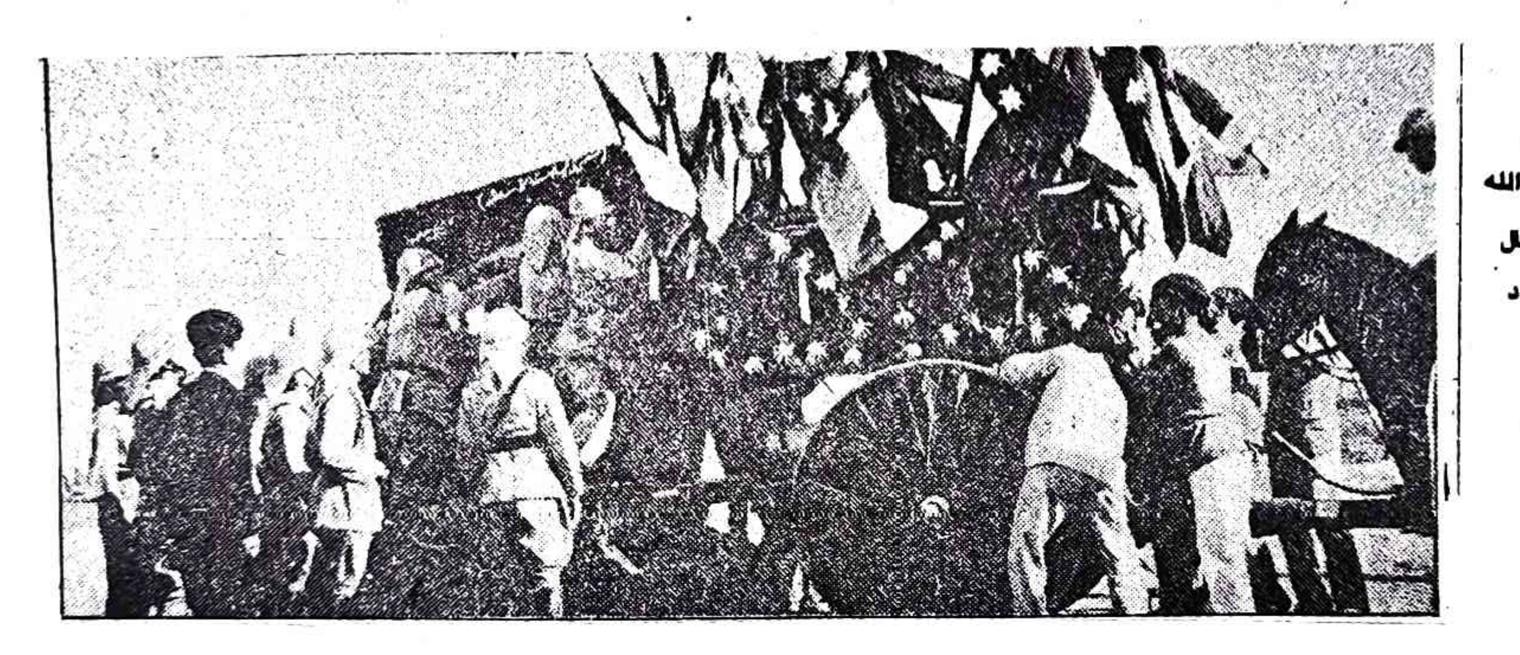
يلعب التنس مع عقيلة كريم ثابت. وقد رفع يده معترفا بالخسارة



مع المرأة الهندية التي اتهمت بقتله وشقيقها جمال بافري وكذلك الملك علي
من المكوار الى الطائرة



الملك غازي يحيط به الملك علي والامير (الملك) عبدالله والاسرة الهاشمية ورجال القصر الملكي في المطار ببغداد بانتظار وصول جثمان الملك فيصل الاول



الملك غازي يحيط بـه الملك علي والامير (الملك) عبد الله والاسرة الهاشمية ورجـال القصر الملكي في المطار ببغداد بانتظار وصول جثمان الملك فيصل الاول

الملك غازي يحيط به الملك علي والامير (الملك) عبدالله والاسرة الهاشمية ورجال القصر الملكي في المطار ببغداد بانتظار وصول جثمان الملك فيصل الاول



تصدر للمؤلف حديثاً دراسة تأريخية بعنوان

[رجال العراق الملكي في الميزان]

تتناول نشأة وحياة الرجال الذين قاموا بدور كبير في رسم الخطوط العامة للسياسة العراقية في العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨ . وسيتتبع القارىء من خلال هذه الدراسة تدرج هؤلاء السياسيين في الوظائف ودخولهم المعترك السياسي، مع اعطاء تقييم عام لشخصياتهم ومواقفهم السياسية . كما تتناول الدراسة شخصيات فكرية وعسكرية مثل الأستاذ ساطع الحصري وبعض قادة إنتفاضة نيسان ـ مايس ١٩٤١ .



الفهرست

الفصل الرابع

رشيد عالي الكيلاني

ودوره في السياسة العراقية

حتى عام ١٩٤١

تأليف

قيس جواد علي الغريري

بإشراف

الدكتور عبد الوهاب عباس القيسي

طه الهاشمي

ودوره العسكري والسياسي في العراق

حتى عام ١٩٥٨

تأليف

يحيى كاظم محمود المعموري

بإشراف

الدكتور عبد الأمير هادي العكام

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧) لسنة ١٩٩٠



بغداد ـ هاتف ٨٨٨٢٧٢٦

أول دراسة أكاديمية شاملة عن الملك فيصل الاول

يعد الملك فيصل الاول واحدا من أبرز الشخصيات السياسية التي ظهرت على مسرح التاريخ العربي خلال النصف الاول من القرن العشرين، لما قام به من دور متميز في احداث سياسية وعسكرية مهمة في تاريخنا المعاصر. فقد كان له الفضل الكبير في الاعداد والتخطيط للثورة العربية الكبرى التي فجرها والده الشريف حسين ضد السيطرة العثمانية، عام ١٩١٦. كما قاد الجيش الشمالي للثورة، الذي أخذ على عاتقه تحرير الحجاز وبلاد الشام، حتى تمكن أخيرا من دخول دمشق في نهاية الحرب العالمية الاولى.

ثم رأس فيصل بن الحسين الوفد العربي في مؤتمر الصلح الذي عقد في العاصمة الفرنسية عام ١٩١٩. وفي ٦ آذار ١٩٢٠ تم انتخابه ملكا على سورية، حتى اخرجه الفرنسيون منها في تموز من العام نفسه أثر معركة ميسلون. وفي ٢٣ آب ١٩٢١ تُوج ملكا على العراق، باقتراح من كبار رجال الحركة الوطنية في البلاد، وبتأييد شعبي واسع، فضلا عن دعم بريطانيا له، لتحسين صورتها امام الرأي العام، وامتصاص نقمة الشعب العراقي الذي ثار ضدها عام ١٩٢٠. وكانت بريطانيا تتوقع ان خروج فيصل من سورية مغلوبا على أمره سيجعله يسير وفق سياستها، وكما تشاء، لكن سرعان ما بدأ صراع خفي ومرير بينهما، اذ أصر الملك على حصول البلاد على الاستقلال التام، وكان يحرض بنفسه العناصر الوطنية ضد المعاهدات التي تفرضها بريطانيا على العراق، وقد أكدت المس بيل، سكرتيرة المندوب السامي البريطاني، المعروفة بدورها السياسي في العراق، ان الملك كان يقرِّب العناصر المؤذية وتعني العناصر الوطنية. وهذا مما دفع بعض الساسة البريطانيين الى عرض فكرة أقصائه عن العرش. بعد ان خيّب آمال بريطانيا. وحين وجد ان سياسته بدأت تثير البريطانيين انتهج سياسة معتدلة وعمل على مجاملتهم، اذ ان البلاد مهددة بالاخطار فالايرانيون لم يعترفوا بالدولة العراقية بعد، واطماعهم في اراضيها واضحة. ومشكلة الموصل بين العراق وتركيا كانت لا تزال قائمة، والفرنسيون في سوريا يناصبونه العداء وعملوا على طرده من العراق خوفا من ان يثير لهم المشاكل حتى انهم خططوا لاغتياله. وحين كان يجد الظرف مؤاتيًا يسعى للحصول على مكاسب سياسية مهما كانت ضئيلة انطلاقا من الشعار الذي رفعه (خذ وطالب)، وقد أجمع السياسيون والمؤرخون المنصفون، على أن الفضل الاول في تكوين الدولة العراقية الحديثة يعود الى جهود الملك فيصل الاول وسياسته الحكيمة، حتى عدّ مؤسس دولة العراق وباني كيانها.

ان هذه الدراسة التي أضعها بين يدي القارىء الكريم، حصيلة جهد شاق استغرق قرابة اربع سنوات من البحث والدراسة بين الوثائق والكتب والصحف والمجلات العربية والاجنبية، ومقابلات الشخصيات التي عاصرت الملك فيصل الاول أو كانت قريبة منه.

علاء جاسم محمد
الجامعة المستنصرية



الطبعة الاولى ١٩٩٠م



السعر ٥٫٠٠٠ دينار
مكتبة اليقظة العربية - بغداد - شارع الرشيد - سنك - هـ ٨٨٧٧٠٢٨
تصميم: النقد - هاتف: ٧١٩٤٦١٢